من كليات رسائل النور

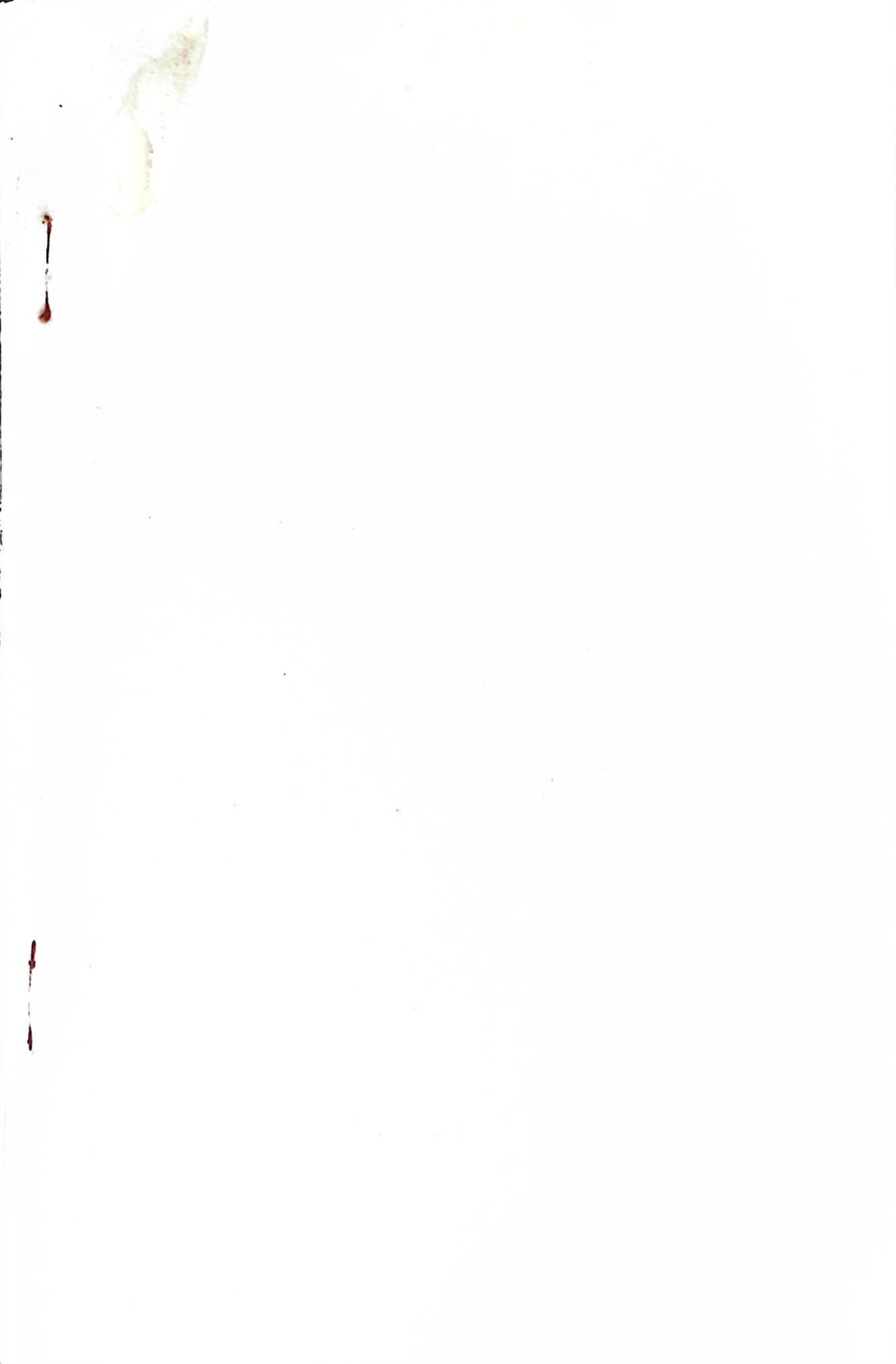


على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي

خرّج احاديثه فلاح عبد الرحمن عبد الله




المعجزات الأحمدية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

● الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م
● الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

من كليات رسائل النور



على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

بديع الزمان

سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي

خرّج احاديثه فلاح عبدالرحمن عبدالله



بين يدي
« المعجزات الأحمدية »

لاغرو أن يكون محمد ﷺ مَحَطَّ أنظار الوجود، وموضع تكريم الموجودات، وموئلَ أنس الكائنات، وَمَدَارَ جذل المخلوقات.

فهو ﷺ رحمةُ الله المهداة إلى عبيده المعانين من عذاب التيه والضلال، وأنداء كرمه فوق جدب النفوس وقحط الارواح، ولمسته الحانية على ظهر العالم المثقل بالهموم والأحزان... وهو أيضاً العقل الرشيد للشعوب والامم، والعلمُ المنير لجهالات الأرض، والميزان الدقيق الذي به تُصحَّح موازين النفوس، واختلاجات الضمائر والقلوب.

وكان لابُدَّ - وهو المرسَل من رب العالمين إلى العالمين طُرَّاً - أن تُدركه عناية الله فتيسِّر له سُبل التعارف والصداقة والودّ مع مخلوقات الله وموجوداته على اختلاف درجاتهم من سُلَّم الحياة والوجود، ليتسنّى له تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة على الوجه الأكمل والأتمّ.

فارتقب «الكُلُّ» مبعثَه، واستبشروا بقدومه، وأصاخوا له السمع، وَمَثُلَ البعضُ منهم بين يديه معلنين ولاء هم ومحبتهم، وشاهدين له بالنبوة والرسالة. فحفظتْ لنا سيرتُه العطرة مواقف ومشاهدَ وصوراً أخَّاذةً من تفجرات القلوب بالودّ والمحبّة والتعاطف حتى في الجمادات الصمَّاء فضلاً عن ذوي الارواح من مخلوقات الله، وَرَوَتْ ما دار بينه وبينها من أحاديثَ غايةً في الجمال بلسان الحال أو المقال، كما اعتمدتها كتب الحديث الصحاح مدرجةً ضمن معجزاته الكثيرة التي فاقت معجزات الانبياء «عليهم السلام» من قبله.

ولئن كان «القرآن الكريم» المذهل بنجوم بلاغته، وشموس أفكاره، وسماوات معانيه - هو أعظمَ معجزاته ﷺ، واخلدَها على الزمن، واشملها واوسعها مدىً، واعلاها صوتاً، وأقواها تحدياً لعالَمي الأنس والجن... فانَّ معجزاته الكونية الاخرىٰ كان لها ايضاً شأنها الأعجازي المدوّي الذي هَزَّ اركان الكفر والجحود في عقول المنكرين المعاندين وقلوبهم، واثرها البيِّن في زيادة اليقين وتثبيت اركان الدين لدىٰ المؤمنين المصدقين.

وهذا النوع الأخير من المعجزات إنما هو إنعطاف مفعم بالودّ والأنس بين ذات الكون وذات محمد ﷺ، وهي تعني - في جملة ما تعنيه - الشهادة من جزئيات الكون وكلياته على صدق نبوّته وصدق دعوته ورسالته، وكأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ - ملك الأزل والأبد ومالك زمام الأشياء جميعاً - يومىء الى الكون أن:

كُنْ مع محمد... وَصدِّق دعوتَه... وأطِع إشارته... وصِرْ في خدمته.. لأنه الحبيب المحبوب الذي أكرَمْتُهُ بأعظم رسالة... وشَرَّفْتُهُ باكرم نبوة.

وفي هذا المعنىٰ يقول «النورسي» في الأشارة البليغة الثالثة من هذا الكتاب:

«إنَّ معجزات الرسول ﷺ كثيرة جداً، ومتنوعة جداً، وذلك لأنَّ رسالته عامّة وشاملة لجميع الكائنات، لذا فله في أغلب أنواع الكائنات معجزات تشهد له، ولنوضح ذلك بمثال:

لو قدِم سفير كريم من لدن سلطان عظيم لزيارة مدينة عامرة بأقوام شتّى، حاملاً لهم هدايا ثمينة متنوعة، فإن كل طائفة منهم ستوفد - في هذه الحال - ممثلاً عنها، لاستقباله باسمها والترحيب به بلسانها.

فكذلك لمّا شرُف العالَم السفير الأعظم ﷺ لملك الأزل والأبد، ونَوَّرَهُ بقدومه، مبعوثاً من رَبِّ العالمين إلىٰ أهل الارض جميعاً، حاملاً معه هدايا معنوية، وحقائق نيرة تتعلق بحقائق الكائنات كلها، جاءه مِن كُلِّ طائفة مَن يرحبّ بِمَقْدَمِهِ، ويهنؤه بلسانه الخاص، ويُقدِّمُ بين يديه معجزة طائفته تصديقاً بنبوته، وترحيباً بها، إبتداء من الحجر والماء والشجر والانسان،

وانتهاء بالقمر والشمس والنجوم، فكأنَّ كُلًّا منها يردد بلسان الحال: أهلًا ومرحباً بمبعثك!»

* * *

ورغم هذا الأكرام العظيم الذي حظي به رسولنا الكريم ﷺ من لدن الله سبحانه وتعالىٰ، بتسخيره الكون له، وخرقه لنواميسه لأجله، وربما تعطيل هذه النواميس لوقت معلوم، ولهدف مطلوب... ورغم أن الكون غدا - بأمر الله - رهن إشارته، وطوع إرادته، فانشقَّ القمر بأيماءة من أصبعه... رغم هذا كله فانه ﷺ كان وَقّافاً عند هذه النواميس فلم يتجاوزها إلّا في أحوال معدودة، وحين الجأته الضرورة القصوىٰ لذلك.

فبلغ من احترامه لهذه السنن، وإكباره لها، أنه أنكر علىٰ مَنْ قال! إنَّ الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم عليه السلام، فخطب الناس ليقرر هذه الحقيقة، وليعلِّمَ اصحابه الوقوف باحترام أمام هذه السنن قائلاً: «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبِّروا، وصلّوا، وتصدّقوا»(١)

ولأنه القدوة والمثال للمسلمين في عصره وفي كل عصر، فأنَّ هذه النواميس والسنن جَرَت عليه كما تجري على أي بشري آخر. فخسر المعارك وربحها، وجُرِحَ وكُسِرَت رباعيته، وجاع وعطش، وصام وأفطر، وصلّىٰ ونام، وتزوج النساء، ومشىٰ في الاسواق. الىٰ آخر شؤونه البشرية الأخرىٰ، كما هو مدوّن في كتب السيرة.

و «النورسي» يقرر هذا الأمر، ويعتبره الركن الأساس الذي ينبغي أخذه بنظر الاعتبار عند أي بحث في معجزاته ﷺ، فيقول في «الاساس الاول» من هذا الكتاب:

«إنَّ جميع أحوال الرسول ﷺ، وأطواره يمكن أن تكون دليلًا على صدقه، وشاهداً علىٰ نبوته، إلَّا أنَّ هذا لا يعني أن تكون جميع أحواله وأفعاله خارقةً للعادة، ذلك لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أرسله بشراً رسولاً، ليكون

---

(١) جزء من حديث. رواه البخاري في الكسوف ومسلم (٩٠١، ٩٠٣)، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها

بأعماله وحركاته كلها إماماً ومرشداً للبشر كافّة، وفي أحوالهم كافّة، ليحقق لهم بها سعادة الدنيا والآخرة، وليبيّن لهم خوارق الصنعة الربّانية، وتصرف القدرة الألهية في الامور المعتادة، تلك الأمور التي هي بحدّ ذاتها معجزات.

فلو كان ﷺ في جميع أفعاله خارقاً للعادة، خارجاً عن طور البشر، لما تسنّى له أن يكون أسوة يُقتدى به، وما وسعه أن يكون بأفعاله وأحواله وأطواره إماماً للآخرين، لذا ماكان يلجأ إلى إظهار المعجزات إلّا بين حين وآخر، عند الحاجة، إقراراً لنبوته أمام الكفار المعاندين...»

والسؤال الذي يراود الذهن هنا:

لماذا لم تستطع معجزات الرسول - رغم كثرتها - أن تُرغم الكفار على التصديق والأيمان، والتبرؤ من الكفر والجحود والعصيان؟

يجيب «النورسي» على هذا السؤال مقرراً إحدى الحقائق الكبرى في حكمة التكليف في الحياة الدنيا، فيقول في خاتمة «الأساس الأول»:

«ولما كان الأبتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الألهي، فلم تعد «المعجزة» مُرْغمةً على التصديق - سواء أراد الانسان أم لم يرد - لأن سرّ الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً:

فتح مجال الأختيار أمام العقل من دون سلب الأرادة منه، فلو ظهرت المعجزة ظهوراً بديهياً مُلزماً للعقل - كما هو شأن البديهيات - لما بقي للعقل ثمة اختيار، ولصدّق أبو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، ولانتفت الفائدة من التكليف، والغاية من الامتحان، ولتساوى - في القيمة - الفحم الخسيس مع الماس النفيس»

ومع هذا الذي ذكرناه عن بشرية شؤون الرسول ﷺ، وكونه نموذج الانسان الحق بكل أبعاده، وكما ينبغي أن تكون عليه إنسانية الانسان الاصيلة.. يلزم الّا نوغل بعيداً في بشريته الى حدّ الذهول الذي بسببا نبوّته ورسالته، والّا نشتطَّ في ابراز جوانب هذه البشرية العظيمة على حساب عظمة الرسالة والنبوة، كما فعل بعضُ مَنْ تصدى للكتابة في سيرته ولا سيما في هذا العصر.

فماهية الرسول ﷺ ماهية سامية فريدة، فلا تقبل هذه الماهية الشريفة

السامية التجزئة والانقسام، وأي عمل في تاريخه او سيرته يغفل هذه الحقيقة يأتي مبتوراً وناقصاً عاجزاً عن ابراز ملامح هذه الشخصية الفذّة كما هي عليه في الحقيقة والواقع.

و«النورسي» هنا يشير الى هذه الحقيقة في «الاساس السادس» فيقول:

«إنّ أحوال الرسول ﷺ. وأوصافه قد بُينت على شكل سيرة وتاريخ. إلاّ أنّ اغلب تلك الأحوال والأوصاف تعكس بشريته فحسب، إذ إن الشخصية المعنوية لتلك الذات النبوية المباركة سامقة، وماهيته المقدّسة نورانية إلى حدٍّ لا يرقى ماذُكِرَ في التاريخ والسيرة من اوصاف واحوال الى ذلك المقام السامي والدرجة الرفيعة العالية، لأنه ﷺ على ضوء قاعدة «السبب كالفاعل» -أي في الأجر- تضاف يومياً - حتى الآن - الى صحيفة كمالاته عِبادةٌ عظيمةٌ بقدر عبادات أمته بأكملها، وكما تحفّه نفحات الرحمة الألٰهية غير المتناهية بشكل غير متناه، وبقدرة غير متناهية، كذلك يناله يومياً دعاء لا محدود من ملايين لا تُحدّ من امته.

فهذا النبي الكريم المبارك ﷺ الذي هو انبل نتائج الكائنات، وأكمل ثمراتها، والمبلّغ عن خالق الكون، وحبيب رب العالمين، لا تبلغ احوالُهُ واطوارُهُ البشريةُ التي ذكرَتها كتبُ السيرة والتاريخ الأحاطة بماهيته الكاملة، ولا تصلُ الى حقيقة كمالاته.

فأنّى لهذه الشخصية المباركة الذي كان كُلٌّ من «جبرائيل» و «ميكائيل» مرافقين أمينين له في «غزوة بدر» أن تنحصر في حالة ظاهرية أو ان تظهرها بجلاء، حادثة بشرية كالتي وقعت له ﷺ مع «صاحب الفرس» الذي ابتاعه منه ولكنه أنكر عليه هذا البيع وطلب منه شاهداً يصدّقه فتقدم الصحابي الجليل «خزيمة» بالشهادة له.

فلئلا يقع أحد في غائلة الخطأ، يلزم مَنْ يسمع الأوصاف الاعتيادية البشرية له ﷺ أن يرفع بصره دوماً عالياً لينظر الى ماهيته الحقيقية، والى شخصيته المعنوية النورانية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، وإلاّ أساء الأدب ووقع في الشبهة والوهم».

* * *

فالاعجاب بأية جزئية من جزئيات حياته، وبأي جانب من جوانبها، يقود بالضرورة إلى الأعجاب بكلية هذه الحياة، وبجميع جوانبها على الأطلاق، وإنّ الايمان بصدقه في مفردة من مفردات حياته اليومية يجرُّ إلى تصديقه في كل مايصدر عنه من قول وعمل. وقريش التي لا تكذبه فيما لو أخبرها أن وراء هذا الجبل جيشاً يريد أن ينقضّ عليها لأنها لم تجرب عليه كذباً. ينبغي لها ألّا تكذبه كذلك بما يخبرها به من اخبار السماء كما ورد في الأثر. فصدقُه اعجازي منقطع النظير بكل مقاييس علوم الاخلاق والنفس والحكمة، وهو اعجازي ايضاً لأنه لم تنقطع شواهدُه وآثارُه بوفاته ﷺ. بل ظلّ تحقُّقه مستمراً وسارياً في الاحقاب والعصور، وسيظلُّ مستمراً وسارياً حتى قيام الساعة، فما أخبر عنه من امور المستقبل التي ستقع لأفرادٍ من صحابته وآل بيته ولأمته من بعده تتحققّ عياناً عصراً بعد عصر، ويوماً بعد يوم. فمعجزاتُه ﷺ - إذن - ليست مقصورة على عصره، فهي تحمل - بسرّ صدقها - قوة إختراقٍ عجيبة تخترق بها الأزمان، وتواكب بها العصور. وهي بالحق الصراح الذي تنطوي عليه لها قدرة الحضور في كل وقت وحين. وبعنصر الخلود الذي يطبع رسالته - عليه السلام - تكتسب معجزاتُه صفة الدوام والاستمرارية والامتداد والتعاقب في الاجيال الآتية تعاقب الليل والنهار، فيشهدها المؤمنون بعيون خيالهم، ويحسُّونها بحسّهم الأيماني المرهف، ويبصرونها بأشواق بصائرهم، ويستعيدون وقائعها كما يرويها رجال الحديث الثقات الصادقون وكأنها تقع الآن، وتتشكل - امام أعينهم - في اللحظة والتو، فتؤدي وظيفتها اليوم - وكُلَّ يوم - كما أدّتها في زمانه ﷺ في زيادة ايمان المؤمنين وفي زعزعة اوهام المنكرين.

وإنه لممّا يزيد هذا الامر توكيداً مايطالعنا به علماء، مرموقون في شتى العلوم من تصريحات - بين يوم وآخر - يعترفون بها بسبق الأسلام في إشارته الى كثير من حقائق العلم التي انتظرت البشرية اربعة عشر قرناً قبل أن تصل اليها، وإنّ هذه الاعترافات لممّا يورث قناعةً اعظم باستمرارية المعجزات وعدم توقفها إلّا بتوقف الحياة نفسها.

و«النورسي» شرع في تصنيف هذه الرسالة من منعزله على سفوح الجبال وفي أحضان الحقول والبساتين، ولم يكن في متناول يده أي مرجع في

الحديث، فاعتمد في الاستشهاد بالحديث على ذاكرته وحفظه المذهل، ومع ذلك فهو يتحرّى - جهده - المتواتر والصحيح من كتب الصحاح الستة المعتمدة كما هي في حافظته، ونظرة متأملة إلى مئات الاحاديث التي اوردها هنا تزيدنا ثقةً برسوخ قدمه في «علم الحديث» وإلمامه الجيد بالسيرة ووقائعها، ورغم أنه كان ينتسخ من الذاكرة، ويقلب صفحات الحافظة، فأغلب الظن أنّ صيارفة «الحديث» ونَقَدَتَهُ لا يقعون على مغمز يمكن أن يغمزوا به من قناة الرجل، وإن وجدوا فسبحانَ الذي لا يسهو ولا يخطأ.

ونظرة اخرى إلى هذا الجهد الجهيد في تحقيق الاحاديث الواردة في هذه الرسالة القيمة يزيدنا إطمئناناً إلى أننا امام عمل في شأن «المعجزات» يرسو على قواعد علمية رصينة وضوابط منهجية لا مطعن فيها.

ولا تفوتني الأشارة الى أنّ الرجل لم يقصر بحثه في هذا الكتاب على المعجزات فقط، بل كان يعلق احياناً ويفسر حيث تقتضي المناسبة ذلك، ويأتي بتخريجات لأحداث تاريخية مثيرة ومحيرة قد غابت عنّا حكمة حدوثها، فأذا بهذه التخريجات تروي غلّة التساؤل، وتطفىء حرقة الألم الذي نحسه في قلوبنا، فأذا قرأنا تخريجاته أحسسنا بالراحة والاطمئنان.

وهو إذ يتناول «في الاشارة البليغة الخامسة» الفتنة الدموية الرهيبة التي أصابت الأمة الاسلامية في عصر الراشدين وخير القرون، يبين أن يدَ القَدَر تمسك بالأمم وتهزها هزاً عنيفاً، وتخضها خضاً لتساقط ثمار عبقريتها، وتنتشر ازاهير حضارتها، وتتفرق بذور صلاحها الى أرجاء المعمورة محمولةً على رياح الفتن واعاصيرها الهوج، وبذلك تظلُّ اعصاب الروح في الأمة مُسْتَوْفِزَةً، ومشدودة ومتيقظة لما يحيق بأيمانها من كوارث واخطار.

* * *

وختاماً آمل ان يأخذ هذا الكتاب مكانه المرموق في المكتبة العربية الاسلامية التي تفتقر الى كتاب مستقل في «المعجزات الأحمدية» بهذا الثوب الجديد في اسلوب العرض، وطريقة الاداء، وعلمية المنهج... والله من وراء القصد.

اديب ابراهيم الدباغ
الموصل

خطة العمل في الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومَن والاه، وبعد:

فهذه الرسالة التي تضم اكثر من ثلاثمئة معجزة من معجزات الرسول ﷺ، قد أجرى الاستاذ النورسي بعض رواياتها كما هي في سياقها العربي، بينما اورد قسماً منها بالمعنى. وجلّ الاحاديث التي ساقها هي من الكتب المعتمدة المشهورة. وحيث ان الروايات تخص كلام سيد المرسلين ﷺ وتمس احواله واطواره فلا ريب من ان تكون ترجمتها بحاجة الى تقصّي النص - ان كانت الرواية لفظاً - أو تحرّي أنسب العبارات في الترجمة واكثرها مطابقة واستيعاباً للمعنى - ان كانت الرواية بالمعنى - ومن هنا كنت كلما ترجمت قسماً من الرسالة قابلت ترجمة ما فيه من الروايات مع ماذكره القاضي عياض في كتابه المشهور «الشفا، بتعريف حقوق المصطفى» وهو كتاب موثوق معروف لدى اهل العلم، حيث لاحظت تشابهاً في الروايات رغم الاختلاف في المواضع، فثبتّ عبارات القاضي عياض بدلاً من عباراتي المترجمة وجعلت عباراته محصورة بين قوسين مزدوجين للتمييز، فجاءت الفقرات مطابقة للنص التركي مرصّعة بعبارات القاضي عياض الموجزة

ولقد ذكر الاستاذ النورسي اسماء رواة الاحاديث واسماء الصحابة الكرام الذين رووا حوادث المعجزات، وبيّن في مواطن من الرسالة اقوال العلماء على روايات مختلف عليها، وقدّم في مستهل كل اشارة أو في ثناياها مقدمات مقتضبة يهيء بها اذهان القراء ويعدّ قلوبهم ونفوسهم للاقبال على استيعاب تلك الروايات ومن ثم الاذعان لها. وهو في كثير من الاحيان يلجأ الى المثال - كما هو دأبه - لتقريب المعنى الى النفوس وتحبيبه الى القلوب، مما يجعل القارىء في اطمئنان كامل وقناعة تامة لدى قراءته الرسالة.

وحيث أن أغلب المصادر التي ذكرها الاستاذ النورسي متوفرة لدى معظم القراء، لذا آثرت ان اعزو كل رواية الى مصدرها الاساس ليسهل على القارىء الكريم استخراجها من مظانها الاصلية بسهولة ويسر، ولتزداد ثقته

واطمئنانه بالروايات المذكورة، فراجعت اول ماراجعت شرحَيْ «الشفا» المشهورين وهما: «نسيم الرياض شرح الشفا للقاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي» و «شرح الشفا للمحدث الصوفي على القاري الهروي». وهما يوردان - غالباً - اسماء الرواة من دون ان يحكما على صحة الرواية أوضعفها.

ثم وفقني المولى الكريم الى التعرف بشاب محبّ للعلم هو الأخ «فلاح عبدالرحمن عبدالله» فعهدتُ اليه مراجعة الروايات الواردة في الرسالة، وكتابة هوامش مختصرة جداً على كل رواية. فواصل - جزاه الله خيراً - عمله ليلاً ونهاراً فكانت حصيلة جهده المبارك ما يجده القارىء الكريم من تخريجات علمية ختام كل اشارة.

وادرج ادناه ما سجله الأخ الكريم من ملاحظات:

«العبد الفقير الى الله تعالى ليس بالمحدث بل ولا من طلابه المتبحرين، ولكن عندما رفع اليّ الأخ احسان قاسم هذه الباقة من النفحات، وانا اعجز من ان اسلك هذا المسلك الصعب، توكلت على العلي القدير وباشرت العمل لظني ان تخريج الاحاديث بهذا الشكل المتواضع افضل من ابقائها دون تخريج. وكانت الخطوات التي سار فيها التخريج تتلخص في النقاط الآتية:

١ -لقد بذلت جهدي في ارجاع النصوص الواردة في الرسالة الى اصولها في مصادر السنة والسيرة، في حدود المصادر المتوفرة.

٢ - بيّنت درجة كل رواية من حيث الصحة والحسن والضعف اعتماداً على ما ثبته ذوو اختصاص ومحققون لهم الباع الطويل في هذا الميدان، وتركت بعضها دون ترجيح.

٣- لقد ذكر الاستاذ النورسي بعض المعجزات بالمعنى، ونحن بدورنا تركنا النص على ماهو عليه لأن سياق الحديث في الأصل طويل جداً وان الاستاذ قد ساقه بما لا يخل بشيء من معناه الاصلي، فاقتصرنا على تخريجه وبيّنا ذلك في الهامش.

٤- ربما يرد بعض النصوص في الرسالة بسياق لايطابق كليا ما في

المصادر المتوفرة لدينا فنضطر الى تغييرها من دون اخلال بالمعنى، مبيّنين ذلك في الهامش.

٥- وردت احاديث في الرسالة باسانيد ضعيفة، وقد نبّه الى بعضها الاستاذ نفسه، ولكن لورود سياقات اخرى مقاربة لها بالمعنى وباسانيد صحيحة أو حسنة يقوى ذلك الضعيف، فنذكر تلك السياقات في الهامش.

٦- وربما يستغرب القارىء من اننا نرجع الى اقوال محققين محدثين وقدماء قاموا بتحقيق كتب علماء اجلاء كالترمذي والحاكم وابن حبان والسيوطي وغيرهم، وذلك لأن تصحيح هؤلاء الاجلاء غير نهائي اذ القاعدة العامة المعروفة عنهم هو التساهل في التصحيح. وهذا لايعنى بحال أنه عندما يقول الترمذي - مثلاً - هذا حديث حسن صحيح أن الحديث فيه ضعف، كلا، فلربما يكون الحديث صحيحاً أو ضعيفاً تبعاً لقول المحدث المحقق، بل ربما اذا قال الترمذي حسن عقبّه المحدث المحقق بقوله: بل صحيح أو هو كما قال أو أعلى، كما سيرى القارىء الكريم ذلك في الهوامش.

٧- نسأله تعالى أن يهيء لنا في قابل ايامنا ما نستطيع ان نؤدي حق هذه الرسالة من التخريج الكامل في ضوء ما سيتحفنا به علماؤنا الافاضل من ملاحظات ونصائح قيمة.

٨- وختاماً اقول للقارىء الكريم:

ان الاستاذ النورسي الذي سطر هذه المعجزات النبوية وعرضها بكلمات نورانية، كان لايملك مصدراً - أياً كان - من مصادر السنة الشريفة. ومع هذا فقد رسمها لوحة مشرقة للمعجزات وهو يمليها على طلابه في قمم الجبال وبطون الاودية حذراً من عيون رصد حاقدة وقيود جور تحاول حجب نور نفحات الاعجاز النبوية المستمرة ماستمرت الحياة على الارض.

كل هذه الظروف والعوائق تجعل تسجيل هذا السيل الهادر من المعجزات خارقاً للعادة، وارتقاء نحو نيل المبرات، وتجعلنا نحن ننظر الى الاستاذ النورسي نظرة اكبار وتقدير، ونعذره ان كان ضمن هذا السيل من الاحاديث الصحيحة والحسنة اخبار لا تثبت لدى اهل الحديث ذلك لأن هذا

المجال ليس من إختصاصه إذ آن النفحات التي تهبّ على الأمة بين آونة وأخرى بالعلماء العاملين، تجعل كلًا منهم يبرز في مجال معين فهذا متفوق في الصنعة الحديثية وذاك في المسائل الفقهية وآخر يلهب الروح الجهادية، وآخر يشعل الجذوة الروحية، وذاك يحفز الحرارة الايمانية وينميها. . وهكذا. فالاستاذ النورسي له النصيب الأوفر في هذا المجال الأخير.

وخلاصة ماأودّ ان اقوله: ان لكل فن رجاله. وواجبنا نحن تحرّي السنة الصحيحة. فقد نقل ائمة سابقون أخباراً ربما فيها اخبار موضوعة. ومع هذا فهم معذورون حيث أن علمهم قد انتهى الى هذا وانهم بلا شك لايتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ، فهذا الامام ابن الجوزي - مثلًا - على تشدده وحكمه على احاديث صحيحة بالوضع، تراه يورد في مصنفاته اخباراً موضوعة قد حكم هو عليها بالوضع. ورغم هذا فهو معذور ومأجور. فالاستاذ النورسي من الأولى ان نقول بحقه انه مأجور ومعذور، ولاسيما قد تعرّفنا على ظروفه، وبخاصة انه قد نبّه في مستهل الرسالة بقوله: «فإن اخطأتُ في لفظ الاحاديث الواردة فليصحح او ليُحمل على الرواية بالمعنى. . . .»

أما نحن - ياأخي القارىء - فليس لنا العذر في ايراد تلك الاخبار، لذا آثرنا التنبيه عليها»

جزى الله أخانا «فلاح» خيراً، ونرجو له الفلاح والسداد في خدمة السنة المطهرة. والله نسأل أن يوفقنا الى حُسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

احسان قاسم الصالحي

« تقريظ »

لقد أعجبني جداً هذا الكتاب القيم « المعجزات الأحمدية » ، وهو كتاب وحيد في اسلوبه وجميل في ترتيبه ووضعه وتنسيقه . كتبه الشيخ النورسي أوصله الله الى ما يتمناه من مراتب القرب عند مليك مقتدر والجواد في فراديس جنانه بحبيبه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، كتبه من قلب مليء بالايمان والحب للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، والتقدير لمقامه العظيم ، والاحترام والتعظيم والتبجيل لشأنه الاعلى - عليه صلوات الله وسلامه - . فهو جمع لمعجزاته المباركة على اسلوب تخضع لقبولها ، ذوو العقول السليمة واصحاب الفكر الصائب ، ويزيد حسنه وبهائه بما جمع فيه من الامثلة البديعة والأدلة العقلية المقنعة . وفي الحقيقة هذا الكتاب كرامة له حيث قضى في تأليفه اثنتى عشرة ساعة واستعان في ذلك - بعد فضل الله تعالى وتوفيقه اياه - بحافظته بدون المراجعة الى كتاب أو شيء ، فهو عمل عظيم وخدمة كبيرة وعلاقة لتقواه ، ومعرفته بالله تعالى وحبه للمصطفى - عليه أفضل الصلوات وأبهى التسليمات وازكى التحيات .

نشكر مؤلف هذا الكتاب المبارك ومترجمه ومن كتب عليه من المقدمة ، ومن خرّج احاديثه . وندعو للجميع التوفيق والقبول عند الله .

الحافظ محمد حسن
شيخ الحديث - جامعة امداد العلوم
الباكستان
٢٢/١٠/١٩٨٩ م
٢١/٣/١٤١٠ هـ

المكتوب التاسع عشر





المكتوب التاسع عشر

تبيّن هذه الرسالة اكثر من ثلاثمئة «معجزة» من معجزات الرسول الاكرم ﷺ الدالة على صدق رسالته، وهي في الوقت الذي تبيّنها تعلن عن نفسها ايضاً بأنها «كرامة» من كرامات تلك المعجزات، وعطية من عطياتها، فاصبحت - هي بذاتها- خارقة واضحة باكثر من ثلاثة وجوه:

الاول: ان تأليفها حَدَثٌ خارق بلاشك، حيث أُلّفت من دون مراجعة لمصدر، اعتماداً على الذاكرة فقط رغم ماتشتمل عليه من روايات للاحاديث الشريفة في أكثر من مئة صحيفة. علاوة على أنها كُتبت في زوايا الجبال وبواطن الوديان والبساتين، خلال ما يقرب من اربعة ايام وبمعدل ثلاث ساعات يومياً، أي في اثنتي عشرة ساعة!.

الثاني: ان مستنسخها لايملّ من استنساخها مهما استنسخ منها، ومداومة القراءة فيها لاتُذهب بحلاوتها رغم طولها؛ لذا فقد اثارت همم الكسالى من المستنسخين، فكتبوا - حوالينا - مايقارب السبعين نسخة، خلال سنة واحدة، في هذا الوقت العصيب، مما اعطى للمطلعين على ظروفنا قناعة كافية بأن هذه الرسالة هي واحدةٌ من كرامات تلك المعجزات.

الثالث: ان كلمة «الرسول الاكرم» ﷺ في الرسالة كلها، ولفظ «القرآن الكريم» في القطعة الخامسة منها، قد توافقت عند أحد المستنسخين دون أن يكون له علم بالتوافق، وحصل التوافق نفسه لدى المستنسخين الثمانية الآخرين دون ان يلتقي هؤلاء بعضهم ببعض وقبل ان ينكشف التوافق المذكور حتى بالنسبة لنا. فمن كان على شيء من الانصاف لايحمل هذا

على المصادفة البتة ، بل حَكم كلُ مَن اطلع عليه أن هذا سرٌ من اسرار الغيب، وان الرسالة كرامة من كرامات المعجزة الاحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

هذا وان الاسس التي تتصدر الرسالة مهمة جداً، وان الاحاديث الواردة فيها فضلاً عن كونها صحيحة ومقبولة لدى ائمة الحديث، فهي تبين الاكثر ثبوتاً وقطعية من الروايات .

فلو اردنا تبيان مزايا هذه الرسالة لاحتجنا الى رسالة اخرى مثلها، لذا نهيب بالمشتاقين اليها قراءتها ولو مرة واحدة كي يلمسوا بأنفسهم تلك المزايا .

سعيد النورسي

تنبيه

لقد أوردتُ احاديث شريفة كثيرة في هذه الرسالة . ولم يكن لديّ شيء من كتب الحديث . فإن أخطأت في لفظ الاحاديث الواردة فليُصحح أو ليُحمل على الرواية بالمعنى، اذ القول الراجح انه تجوز رواية الحديث الشريف بمعناه ، اي أن يذكر الراوي معنى الحديث بلفظ من عنده . فما وجد في هذه الرسالة من اخطاء في الالفاظ . فلينظر اليها باعتبارها «رواية بالمعنى»

سعيد النورسي

باسمه سبحانه ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾

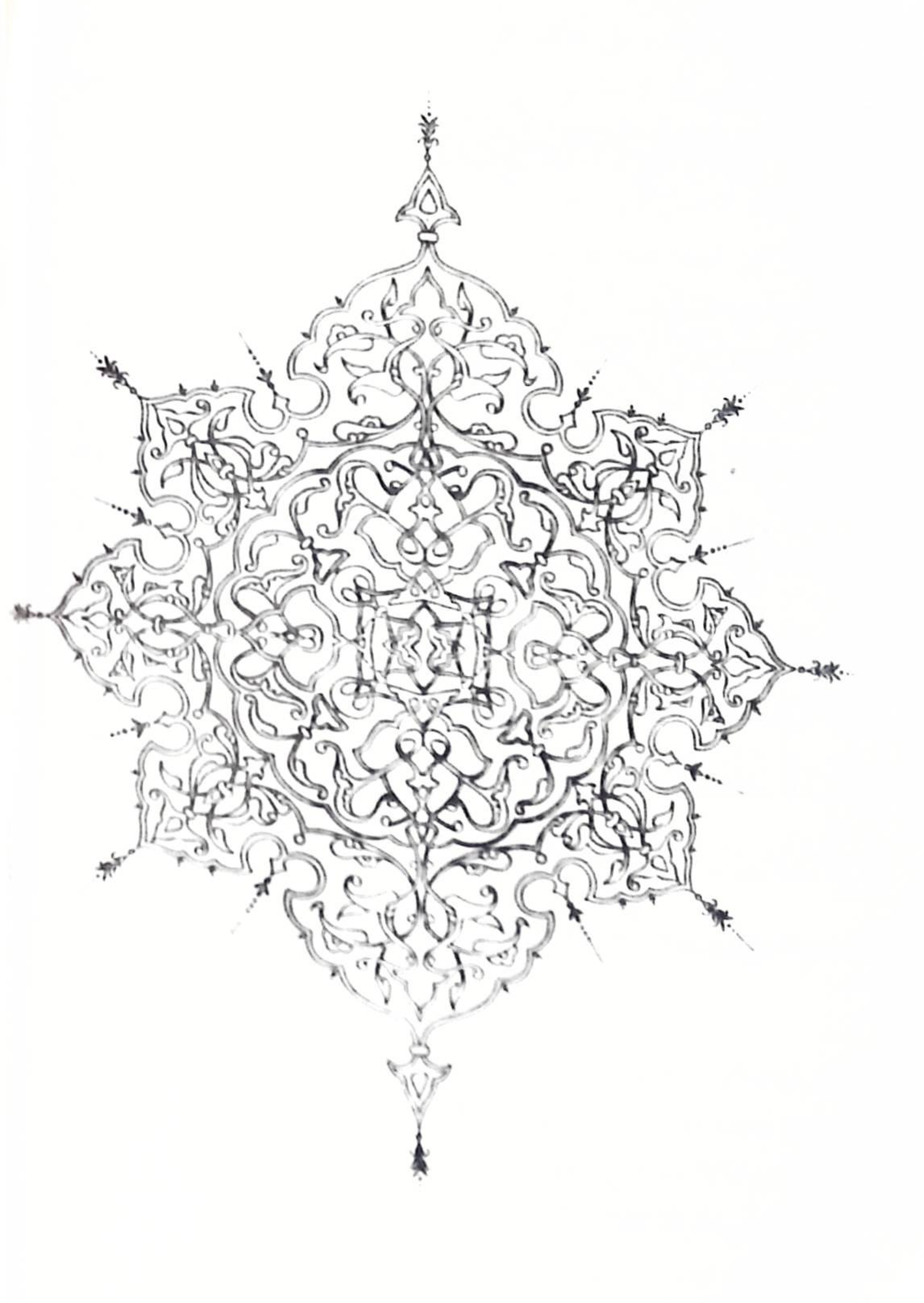
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ۝ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ۝﴾ (الفتح ٢٨ - ٢٩)

[نظراً لقيام الكلمتين التاسعة عشرة والحادية والثلاثين الخاصتين بالرسالة الأحمدية اثبات نبوة محمد ﷺ بدلائل قاطعة، نحيل القارىء اليهما في قضية الاثبات [1] ونبين هنا -تتمة لهما- لمعات من تلك الحقيقة الكبرى ضمن «تسع عشرة اشارة بليغة ذات مغزى»].

---

(١) انظر الذيل الأول والثالث لهذه الرسالة (المترجم)



الاشارة البليغة الاولى

لاريب ان مالك هذا الكون وربّه يخلق ما يخلق عن علم، ويتصرف في شؤونه عن حكمة، ويدبر كل جهة عن رؤية ومشاهدة. ويربي كل شيء عن علم وبصيرة، ويدبّر الأمر قاصداً اظهار الحكم والغايات والمصالح التي تتراءى من كل شيء. فما دام الخالق يعلم، فالعالِمُ يتكلم. وحيث انه سيتكلم، فسيكون كلامه حتماً مع من يفهمه من ذوي الشعور والفكر والادراك، بل مع الانسان الذي هو أفضل انواع ذوي المشاعر والفهم وجمعهم لتلك الصفات. ومادام كلامه سيكون مع نوع الانسان، فسيتكلم اذاً مع من هو أهل للخطاب من الكاملين من بني الانسان الذين يملكون أعلى استعداد وأرفع أخلاق والذين هم أهلٌ لأن يكونوا قدوة للجنس البشري وأئمة له. فلاريب اذاً انه سيتكلم مع محمد ﷺ الذي شهد بحقه الاولياء والخصماء بانه صاحب أسمى أخلاق وأفضل استعداد، والذي اقتدى به خمس العالم، وانضم تحت لوائه المعنوي نصف الارض، واستضاء المستقبل بالنور الذي بُعث به طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان، والذي يصلّي عليه أهل الايمان والنورانيون من الناس دوماً ويدعون له بالرحمة والسعادة والثناء والحب، ويجددون معه البيعة خمس مرات يومياً - وقد تكلم معه فعلاً. وسيجعله رسوله حتماً وقد جعله فعلاً، وسيجعله قدوة وإماماً للناس كافة وقد جعله فعلاً

الإشارة البليغة الثانية

لقد اعلن الرسول الكريم ﷺ النبوة، وقدّم برهاناً عليها، وهو القرآن الكريم، واظهر نحو الفِ من المعجزات الباهرة، كما هو ثابت لدى أهل التحقيق من العلماء.[1] هذه المعجزات بمجموعها الكلي ثابتة قطعية كقطعية ثبوت دعوى النبوة، حتى ان اسناد المعجزات الى السحر الذي يورده القرآن الكريم في مواضع كثيرة على لسان الكفار الألداء ليشير الى انهم لم ينكروا وقوع المعجزات - ولم يسعهم ذلك - وانما اسندوها الى السحر خداعاً لأنفسهم وتغريراً باتباعهم.

نعم، أن للمعجزات الأحمدية قطعية تامة تبلغ قوة مئة تواتر، فلا سبيل الى انكارها قط.

والمعجزة بحد ذاتها تصديقٌ من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم، أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه.

مثال للتوضيح:

لو كنت في حضرة سلطان أو في ديوانه، وقلتَ لمن حولك: لقد عينني السلطان عاملاً في الأمر الفلاني، وحينما طلبوا منك دليلاً على ادعائك أومأ السلطان بنفسه: أنْ نعم، اني جعلته عاملاً. الا يكون ذلك شهادة صدقٍ لك؟. فكيف اذا خرق السلطان - لأجلك - عاداته وبدّل قوانينه لرجاء منك؟ أفلا يكون ذلك تصديقاً أقوى لدعواك وأثبت من قول: نعم؟.

وكذلك كانت دعوى الرسول ﷺ، اذ قال: انني رسول من رب العالمين. وأما دليلي فهو: انه سبحانه يبدّل قوانينه المعتادة بالتجائي ودعائي وتوسلي اليه. وهاكم انظروا إلى أصابعي: انه يفجّر منها الماء كما يتفجّر من خمس عيون.. وانظروا الى القمر: انه يشقّه لي شقين باشارة من اصبعي.. وانظروا الى تلك الشجرة كيف تأتي اليّ لتصدقني وتشهد لي.. وانظروا الى

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٦/٥٨٢ - ٥٨٣) وصحيح مسلم شرح النووي (١/٢) (المترجم)

هذه الحفنة من الطعام كيف انها تُشبع مئتين أو ثلاثمئة رجل ! وهكذا أظهر ﷺ مئات من المعجزات أمثال هذه.

واعلم .ان دلائل صدق الرسول ﷺ وبراهين نبوته لا تنحصر في معجزاته. بل يرى المدققون ان جميع حركاته وافعاله وأحواله وأقواله وأخلاقه وأطواره وسيرته وصورته، كل ذلك يثبت اخلاصه وصدقه. حتى آمن به كثير من علماء بني اسرائيل بمجرد النظر الى طلعته البهية، أمثال: عبدالله بن سلام الذي قال: «فلما استَبَنتُ وجهَهُ عرفتُ ان وجهه ليس بوجه كاذب». [1]

وعلى الرغم من ان العلماء المحققين قد ذكروا ما يقارب الألف من دلائل نبوته ومعجزاته فان هناك ألوفاً منها، بل مئات الألوف. ولقد صدّق بنبوته مئات الألوف من الناس المتباينين في الفكر بمئات الألوف من الطرق. والقرآن الكريم وحده يظهر ألفاً من البراهين على نبوته ﷺ، عدا اعجازه البالغ أربعين وجهاً.

ولما كانت النبوة محققة وثابتة في الجنس البشري، وان مئات الألوف من البشر جاءوا فاعلنوا النبوة، وقدّموا المعجزات برهاناً وتأييداً لها، [2] فلا شك ان نبوة محمد ﷺ تكون اثبت واكد من الجميع، لأن مدار نبوة الانبياء وكيفية معاملاتهم مع اممهم والدلائل والمزايا والأوضاع التي دلت على نبوة عامة الرسل أمثال: موسى وعيسى عليهما السلام توجد بأتم صورها وافضل معانيها لدى الرسول الكريم ﷺ. وحيث ان علة حكم النبوة وسببها أكمل وجوداً في ذاته ﷺ، فان حكم النبوة لا محالة ثابت له بقطعية اوضح من سائر الانبياء عليهم السلام.

---

(١) وردت قصة اسلام عبد الله بن سلام في صحيح البخاري (انظر المشكاة ٥٨٧٠). والشفا (٢٤٧/١) عن الترمذي وغيره (المترجم)

(٢) عن ابي أمامة، قال أبو ذر: (قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة الف وأربعة وعشرون الفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً») رواه الامام احمد (مشكاة المصابيح ٣/١٢٢ ت ٥٧٣٧ قال المحقق: حديث صحيح). وانظر زاد المعاد تحقيق الارناؤوط (١/٤٣ - ٤٤) (المترجم)

الاشارة البليغة الثالثة

ان معجزات الرسول ﷺ كثيرة جداً ومتنوعة جداً، وذلك لأن رسالته عامة وشاملة لجميع الكائنات؛ لذا فله في أغلب أنواع الكائنات معجزات تشهد له. ولنوضح ذلك بمثال:

لو قدِم سفير كريم من لدن سلطان عظيم لزيارة مدينة عامرة بأقوام شتى، حاملاً لهم هدايا ثمينة متنوعة، فان كل طائفة منهم ستُوفد -في هذه الحال- ممثلاً عنها لاستقباله بأسمها والترحيب به بلسانها.

فكذلك لما شرَّف العالم السفير الأعظم ﷺ لملك الأزل والأبد، ونوَّره بقدومه، مبعوثاً من لدن رب العالمين الى أهل الأرض جميعاً، حاملاً معه هدايا معنوية وحقائق نيِّرة تتعلق بحقائق الكائنات كلها، جاءه من كل طائفة مَن يرحب بمقدمه ويهنؤه بلسانه الخاص، ويقدِّم بين يديه معجزة طائفته تصديقاً بنبوته، وترحيباً بها، ابتداء من الحجر والماء والشجر والانسان، وانتهاء بالقمر والشمس والنجوم، فكأن كلاً منها يردد بلسان الحال: أهلاً ومرحباً بمبعثك.

ان بحث تلك المعجزات كلها يحتاج الى مجلدات لكثرتها وتنوعها، فقد ألف العلماء الأصفياء مجلدات ضخمة حول تفاصيل دلائل النبوة والمعجزات، الاّ أننا هنا نكتفي باشارات مجملة الى ما هو قطعي الثبوت والمتواتر معنىً من الأنواع الكلية لتلك المعجزات.

ان دلائل نبوة الرسول ﷺ قسمان:

الأول: الحالات التي سُميت بالأرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

الثاني: دلائل النبوة الاخرى وهذا ينقسم الى قسمين:

أحدهما: الخوارق التي ظهرت بعده ﷺ تصديقاً لنبوته.

ثانيهما: الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة ﷺ. وهذا ايضاً قسمان:

الأول: ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

الثاني: ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة، أي في الآفاق والكون. وهذا أيضاً قسمان:

قسم معنوي وقرآني. وقسم مادي وكوني. وهذا الأخير قسمان أيضاً:

القسم الأول:

المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي إما لكسر عناد الكفار أو لتقوية أيمان المؤمنين: كانشقاق القمر، ونبعان الماء من بين أصابعه الشريفة، وإشباع الكثيرين بطعام قليل، وتكلم الحيوان والشجر والحجر. . . وأمثالها من المعجزات التي تبلغ عشرين نوعا، كل نوع منها بدرجة المتواتر المعنوي. ولكل نوع منها نماذج عدة مكررة.

القسم الثاني:

الحوادث التي أخبر عنها ﷺ قبل وقوعها- بما علّمه الله سبحانه - وظهرت تلك الحوادث وتحققت، كما أخبر.

ونحن الآن نستهل بهذا القسم الأخير للوصول الى فهرس متسلسل عام[1].

---

(١) أسف لأني لم أستطع الكتابة كما كنتُ أنوي، فقد كتبتُ كما خطر على القلب دونما أختيار ولم اتمكن من مراعاة التسلسل الذي في هذا التقسيم. (النورسي)

الاشارة البليغة الرابعة

ان ما أنبأ به الرسول الكريم ﷺ من أنباء الغيب بتعليم من الله علام الغيوب كثيرٌ لا يعد ولا يحصى، وقد أشرنا الى أنواعه في «الكلمة الخامسة والعشرين» الخاصة باعجاز القرآن، وسقنا هناك براهينه؛ لذا فالأخبار الغيبية المتعلقة بالازمنة السالفة والانبياء السابقين وحقائق الألوهية وحقائق الكون، وحقائق الآخرة يُراجع في شأنها تلك الكلمة.

أما هنا فسنورد بضعة أمثلة من اخبار غيبية صادقة تتعلق بالحوادث التي ستصيب الآل والاصحاب -رضوان الله عليهم أجمعين- من بعده ﷺ وما ستلقاه أمته في مُقبل أيامها.

ولأجل الوصول الى ادراك هذه الحقيقة ادراكاً كاملاً نبين بين يديها أسساً ستة مقدّمة لها.

الاساس الاول

ان جميع احوال الرسول الكريم ﷺ وأطواره يمكن ان تكون دليلاً على صدقه وشاهداً على نبوته، الاّ ان هذا لا يعني ان تكون جميع احواله وافعاله خارقة للعادة؛ ذلك لأن الله سبحانه قد أرسله بشراً رسولاً، ليكون باعماله وحركاته كلها إماماً ومرشداً للبشر كافة، وفي احوالهم كافة، ليحقق لهم بها سعادة الدنيا والآخرة وليُبين لهم خوارق الصنعة الربانية وتصرف القدرة الألهية في الأمور المعتادة، تلك الأمور التي هي بحد ذاتها معجزات.

فلو كان ﷺ في جميع أفعاله خارقاً للعادة، خارجاً عن طور البشر، لما تسنّى له ان يكون أسوةً يُقتدى به، وما وَسعه ان يكون بأفعاله وأحواله وأطواره إماماً للآخرين؛ لذا ما كان يلجأ الى اظهار المعجزات الاّ بين حين وآخر، عند الحاجة، اقراراً لنبوته أمام الكفار المعاندين. ولما كان الابتلاء والاختبار من مقتضيات التكليف الألهي، فلم تعُد المعجزة مُرغِمةً على التصديق - اي سواء أراد الانسان أم لم يرد - لأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً: فتح مجال الأختيار أمام العقل من دون سلب الارادة منه. فلو ظهرت

المعجزة ظهوراً بديهياً ملزماً للعقل - كما هو شأن البديهيات-لما بقي للعقل ثمة إختيار، ولصدَّق ابو جهل كما صدّق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ولأنتفت الفائدة من التكليف والغاية من الامتحان، ولتساوى الفحم الخسيس مع الماس النفيس!

بيد ان الذي يثير الدهشة والحيرة؛ انه في الوقت الذي آمن ألوف من أجناس مختلفة من الناس بارشاد منه ﷺ أو بكلام منه أو بالنظر الى طلعته البهية، أو ما شابهها من دلائل صدق نبوته ﷺ، وآمن به ألوف العلماء المدققين والمفكرين المحققين بما نُقِل اليهم من صدق أخباره وجميل آثاره نقلًا صحيحاً متواتراً، أقول: أفلا يدعو الى العجب ان يرى أشقياء هذا العصر جميع هذه الدلائل الواضحة كأنها غير وافية لايمانهم وتصديقهم فتراهم، ينزلقون الى هاوية الضلال؟.

الاساس الثاني

ان الرسول الكريم ﷺ بشر، فهو يتعامل مع الناس انطلاقاً من بشريته هذه. وهو كذلك رسول، وبمقتضى الرسالة فهو ناطق أمين باسم الله تعالى ومبلّغ صادق لأوامره سبحانه، فرسالته تستند الى حقيقة الوحي. والوحي قسمان:

الأول: الوحي الصريح، كالقرآن الكريم وبعض الأحاديث القدسية. فالرسول ﷺ في هذا مبلّغ محض لا غير، من دون أن يكون له تصرف أو تدخل في شيء منه.

الثاني: الوحي الضمني، وهو الذي يستند في خلاصته ومُجمَله الى الوحي والالهام، الاّ انه في تفصيله وتصويره يعود الى الرسول ﷺ. فتفصيل الحادثة الآتية مُجملاً من هذا الوحي وتصويرها إما يبينه الرسول ﷺ - أحياناً- استناداً الى الالهام أو الى الوحي، أو يبينه بفراسته الشخصية. وهذه التفاصيل التي يبينها الرسول ﷺ باجتهاده الذاتي. اما أنه يبينها بما يتمتع به من قوة قدسية عليا - بمقتضى وظيفة الرسالة - أو يبينها بخصائصه البشرية وبمستوى عرف الناس وعاداتهم وافكارهم.

وهكذا لايُنظر الىٰ جميع تفاصيل كل حديث شريف بمنظار الوحي المحض. ولايُتحرىٰ عن الآثار السامية للرسالة في معاملاته ﷺ وافكاره التى تجري بمقتضيات البشرية. وحيث أن بعض الحوادث يوحى اليه وحياً مجملاً ومطلقاً وهو بدوره يصوّره بفراسته الشخصية أو حسب نظر العرف العام، لذا يلزم أحياناً التفسير وربما التعبير لهذه المتشابهات والمشكلات التي ينطوي عليها ذلك التصوير. مثال ذلك:

سمع الناس - ذات مرة- وهم جلوس عند الرسول ﷺ دوياً هائلاً فقال الرسول ﷺ موضحاً الحدث: «ان هذا صوت حجر ظل يتدحرج سبعين عاماً حتىٰ وصل الآن الىٰ قعر جهنم»[1]... ولم تمض ساعة حتىٰ جاء الجواب، اذ أتىٰ أحدهم يقول: ان المنافق المشهور الذي ناهز السبعين من عمره قد مات وولّىٰ الىٰ جهنم وبئس المصير، فكان هذا تأويلاً للتشبيه البليغ الذي ذكره الرسول ﷺ.

الاساس الثالث

ان الآثار المنقولة إن كانت متواترة فهي قطعية الثبوت وتفيد اليقين. والتواتر قسمان:

الأول: التواتر الصريح، أو التواتر اللفظي.

الثاني: التواتر المعنوي وهذا قسمان:

الأول: سكوتي؛ أي ابداء الرضا بالسكوت عنه. مثال ذلك:

لو أخبر شخصٌ جماعته عن حادثة وقعت أمامهم ولم يكذّبوه في خبره بل قابلوه بالسكوت، فان ذلك يعني قبولهم لوقوعها، ولاسيما اذا كانت الحادثة المروية ذات علاقة بالجماعة، والجماعة مستعدة للانتقاد والرد والتجريح، وممن لايقبلون بالخطأ أصلاً، بل يرون الكذب أمراً قبيحاً بشعاً. فان سكوتهم عنها يدل علىٰ وقوع تلك الحادثة دلالة قاطعة.

القسم الثاني من التواتر المعنوي: هو اتفاقهم علىٰ القدر المشترك بين أخبارهم وان كانت الروايات متنوعة. مثال ذلك:

اذا قيل ان أوقية من الطعام أشبعت مئتي رجل. فالذين حدّثوا بهذا

يروونه في صور متنوعة وبعبارات مختلفة متباينة. فهذا ذكر مئة رجل وذاك ثلاثمئة رجل والآخر أوقيتين من الطعام، وهكذا. فترى ان الجميع متفقون على وقوع الحادثة، وهو ان الطعام القليل أشبع أناساً كثيرين. فالحادثة اذن بشكلها المطلق متواتر معنىً، وهو يفيد اليقين، ولاتضرّ به صور الاختلاف.

وفي بعض الاحيان يفيد خبر الآحاد (★) ضمن بعض الشروط - حكم القطعي كقطعية التواتر، وقد يفيد القطعية احياناً تحت امارات خارجية.

وهكذا، فالقسم الأعظم مما نقل الينا من دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ هو: بالتواتر الصريح أو المعنوي أو السكوتي، وقسم منها: بخبر الآحاد، الآ انه ضمن شروط معينة ممحّصة أخذ وقُبل من قبل أئمة الجرح والتعديل من أهل الحديث النبوي فاصبحت دلالته قطعية كالتواتر. ولا شك اذا ما قبل بصحة خبر الآحاد محدِّثون محققون من أصحاب الصحاح الستة(★★) وفي مقدمتهم البخاري ومسلم وهم الحفاظ الجهابذة الذين كانوا يحفظون ما لا يقل عن مئة ألف حديث، واذا ما رضي به ألوف من الأئمة العلماء المتقين، ممن يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء زهاء خمسين سنة من عمرهم.

أقول: اذا ماقبل أمثال هؤلاء بصحة خبر الآحاد، فلاريب اذاً في قطعيته ولايقلُّ حكمُه عن التواتر نفسه.

نعم، ان علماء علم الحديث ونقّاده قد تخصصوا في هذا الفن الى درجة انهم اكتسبوا مَلَكَةً في معرفة سمو كلام الرسول ﷺ وبلاغة تعابيره، وطراز افادته. فاصبحوا قادرين على تمييزه عن غيره، بحيث لو رأوا حديثاً موضوعاً بين مئةٍ من الأحاديث لرفضوه قائلين: هذا موضوع!. هذا لا يمكن ان يكون حديثاً شريفاً! فقد أصبحوا كالصيارفة البارعين الأصلاء يعرفون جوهر الحديث النبوي من الدخيل فيه.

بيد ان قسماً من المحققين قد أفرط في نقد الحديث كابن الجوزي الذي حكم على أحاديث صحيحة بالوضع(٢). علماً أن «الموضوع» يعني:

(★) هو الحديث الذي نقله عدد من الصحابة يقل عن عدد المتواتر (المترجم)

(★★) وهم البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وكذا الامام احمد والدارمي والبيهقي والطبراني والحاكم. (المترجم)

ان هذا الكلام ليس بكلام الرسول ﷺ، ولا يعني انه باطل وكلام فاسد.

سؤال: ما فائدة السند الطويل: عن فلان.. عن.. فلان.. عن فلان.. حيث لا جدوى من ذكرهم في حادثة معلومة؟.

الجواب: فوائده كثيرة، اذ ان ذكر هذا السند الطويل يبين نوعاً من الاجماع فيمن هم في السند من الموثوقين الصادقين من الرواة الذين يعتد بهم، فيظهر لنا نوعاً من الأتصال والاتفاق لأهل العلم المحققين في ذلك السند، فكأنما كلُّ أمامٍ وعلاّمة في السند يوقّع على حكم ذلك الحديث الشريف ويختم على صحته بختمه.

سؤال: لماذا لم تُنقل «المعجزات» باهتمام بالغ مثلما نُقلت الأحكام الشرعية الضرورية الأخرى نقلاً متواتراً وبطرق متعددة؟.

الجواب: لأن معظم الناس في أغلب الأوقات محتاجون حاجة ماسة الى الاحكام الشرعية، فهي «كفروض عين» لهم، لما لها من علاقة بكل شخص. بينما المعجزات لايحتاجها كل انسان كل حين. حتى لو فرضنا الحاجة اليها، فيكفي سماعها مرة واحدة، فهي «كفروض كفاية» اذ يكفي ان يَعلم بها عادةً قسمٌ من الناس.

ولهذا السبب قد يحدث ان نرى وقوع أحدى المعجزات ثابتاً بقطعية أقوى من قطعية ثبوت حكم شرعي أضعافاً مضاعفة، الاّ ان راويها شخص واحد أو شخصان، بينما يكون عدد رواة ذلك الحكم الشرعي عشرة أو عشرين.

الأساس الرابع

ان قسماً من حوادث المستقبل الذي أخبر عنه الرسول ﷺ هو حوادث كليّة، تتكرر في أوقات مختلفة، وليس بحادثة جزئية مفردة. فالرسول ﷺ قد يُخبر عن جزء من تلك الحادثة مبيناً بعض حالاتها، حيث ان لمثل هذه الحادثة الكلية وجوهاً كثيرة، فيبين ﷺ في كل مرة وجهاً من وجوهها. ولكن لدى جمع هذه الوجوه من قبل راوي الحديث في موضع واحد، يبدو هناك مايشبه الخلاف للواقع. مثال ذلك:

هناك روايات مختلفة حول «المهدي» تتباين فيها التفاصيل والتصويرات. وقد أخبر الرسول ﷺ عن ظهور المهدي مستنداً الى الوحي، ليصون قوة أهل الإيمان المعنوية في كل عصر، وليحول دون سقوطهم في اليأس والقنوط ازاء مايرونه من حوادث مهولة، وليربط الأمة ربطاً معنوياً بالسلسلة النورانية لآل البيت.وقد أثبتنا ذلك في أحد اغصان الكلمة الرابعة والعشرين.* بل هذا ترى أن كل عصر من العصور قد وجد نوع من «المهدي» من آل البيت كالذي يظهر في آخر الزمان بل مهديين حتى وجد في المهدي العباسي - الذي يعدّ من آل البيت - كثيراً من أوصاف ذلك المهدي الكبير.

وهكذا، فأوصاف الذين يسبقون المهدي الكبير ممن يمثلونه في عهودهم - كالخلفاء المهديين والأقطاب المهديين - اختلطت وتداخلت مع أوصاف ذلك المهدي الكبير. فوقع الاختلاف في الروايات[٣].

الأساس الخامس

لم يكن الرسول الأعظم ﷺ يعلم الغيب مالم يعلّمه الله سبحانه، اذ لايعلم الغيب الاّ الله. فهو ﷺ يبلّغ الناس ماعلّمه الله أياه. وحيث ان الله حكيم ورحيم، فحكمته ورحمته تقتضيان ستر أغلب الأمور الغيبية وابقاءها في طي الخفاء والابهام. لأن مالايسرّ الانسان من حوادث في هذه الدنيا هو اكثر مما يسره. فمعرفته تلك الحوادث قبل وقوعها أليم جداً.

ولأجل هذه الحكمة ظل الموت والأجل مبهمَين مستورَين عن علم الانسان. وبقي ماسيصيب الانسان من مصائب ونكبات محجوباً في ثنايا الغيب. فكان من مقتضى هذه الحكمة الربانية والرحمة الألهية الاّ يُطلع سبحانه نبيه ﷺ اطلاعاً كلياً على ماسيلقاه آله وصحبه من بعده من حوادث مؤلمة ومصائب مفجعة، بل أخبره سبحانه عن بعض من الحوادث المهمة بناء على حكم معينة - إخباراً غير مفجع رفقاً بما يحمله من رحمة عظيمة ورأفة شديدة نحو أمته وتجاه آله واصحابه. كما انه سبحانه قد بشّره بحوادث

(*) مقتطفة من: الأصول في فهم أحاديث الساعة وثواب الأعمال.

مفرحة أيضاً بشارة مجملة لبعضها ومفصلة للأخرى (★). فأخبر ﷺ أمته بما علّمه ربّه ونقله المحدّثون الصادقون العدول بروايات صحيحة الينا، اولئك الذين كانوا أشد تقوى وخشية من ان يصيبهم الزجر المخيف في قوله ﷺ: «من كذب عليَّ مُتعمّداً فلْيتبوأ مَقعده من النار»[٤]. والذين كانوا يهربون خوفاً من ان تنالهم الآية الكريمة: ﴿فمَنْ أظْلَمُ ممّن كَذَبَ على الله﴾ (الزمر: ٣٢).

الاساس السادس

ان احوال الرسول ﷺ واوصافه قد بُيّنت على شكل سيرة وتاريخ. الا ان اغلب تلك الاحوال والاوصاف تعكس بشريته فحسب، اذ ان الشخصية المعنوية لتلك الذات النبوية المباركة سامقة وماهيته المقدسة نورانية الى حد لا يرقى ماذكر في التاريخ والسيرة من اوصاف واحوال الى ذلك المقام السامي والدرجة الرفيعة العالية، لأنه ﷺ على ضوء قاعدة «السبب كالفاعل» اي في الاجر. تضاف يوميا - حتى الان - الى صحيفة كمالاته عبادةٌ عظيمةٌ بقدر عبادات امته بأكملها. وكما تحفّه نفحات الرحمة الالهية غير المتناهية بشكل غير متناهٍ وبقدرة غير متناهية، كذلك يناله يوميا دعاء لا محدود من ملايين لاتحد من امته.

فهذا النبي المبارك ﷺ الذي هو انبل نتائج الكائنات واكمل ثمراتها والمبلّغ عن خالق الكون، وحبيب رب العالمين، لا تبلغ احواله واطواره البشرية التي ذكرتْها كتب السيرة والتاريخ الاحاطة بماهيته الكاملة ولاتصل الى حقيقة كمالاته.

فأنّى لهذه الشخصية المباركة الذي كان كلٌّ من جبرائيل وميكائيل مرافقين امينين[٥]له في غزوة بدر ان تنحصر في حالة ظاهرية أو ان تظهرها بحلاء حادثة بشرية كالتي وقعت له ﷺ مع صاحب الفرس الذي ابتاعه منه

(★) ان الدليل على أن الله سبحانه لم يُطلع رسوله ﷺ اطلاعا كاملا على أن الصديقة عائشة رضي الله عنها ستكون في وقعة الجمل هو أنه ﷺ قال لزوجاته الطاهرات «ايكن تنبح عليها كلاب الحوأب» اي من منكن ستشترك في تلك الواقعة، وذلك لئلا يجرح سبحانه ما يكنه الرسول ﷺ من حب شديد ورأفة كاملة تجاه عائشة رضي الله عنها. الا انه سبحانه اطلعه بعد ذلك اطلاعا مجملا بالأمر حيث قال ﷺ لعلي رضي الله عنه «فارفق بها وبلّغها مأمنها» (النورسي).

ولكنه أنكر هذا البيع وطلب منه شاهداً يصدّقه فتقدم الصحابي الجليل «خزيمة» بالشهادة له.[٦]

فلئلا يقع أحد في غائلة الخطأ يلزم من يسمع الاوصاف الاعتيادية البشرية له ﷺ ان يرفع بصره دوماً عالياً لينظر الى ماهيته الحقيقية، والى شخصيته المعنوية النورانية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، والا أساء الادب، ووقع في الشبهة والوهم.

ولايضاح هذه المسألة تأمل في هذا المثال:

نواة للتمر وضعت تحت التراب فانفلقت عن نخلة مثمرة باسقة، وهي في توسع ونمو مطرد، او بيضة للطاووس فقست عن فرخ الطاووس بعدما سلطت عليها الحرارة، وكلما نما وكبر اصبح اجمل وازهى، بما زيّن قلمُ القدرة على كل جهاته من نقوش بديعة رائعة.

فهناك صفات وحالات خاصة تعود لكل من تلك النواة ولتلك البيضة، ويحوي كل منهما مواد دقيقة لطيفة جدا. والنخلة والطاووس كذلك لهما صفات عالية وكيفيات واوضاع راقية بالنسبة لصفات البذرة والبيضة. فعندما تُربط اوصاف النواة والبيضة بأوصاف النخل والطير وتُذكران معا، يلزم ان يرفع العقل الانساني بصره عن النواة الى النخلة وينظر اليها، ويلزم ان يتوجه من البيضة الى الطاووس ويمعن فيه، كي يقبل تلك الاوصاف التي يسمعها. والا فانه ينساق الى التكذيب حين يسمع احدهم يقول: «لقد اخذتُ طناً من التمر من حفنة من النوى، او هذه البيضة هي سلطان الطيور».

وهكذا فان بشرية الرسول الاكرم ﷺ تشبه تلك النواة أو البيضة «في المثال». وماهيته المشعة بمهمة الرسالة مَثلُها كمثل شجرة طوبى الجنة وطير الجنة في سمو ورقي.

لذا ففي الوقت الذي نفكر في النزاع الذي حصل في السوق مع البدوي، يلزم ان نرفع عين الخيال عالياً ونتصور الذات النورانية الممتطية الرفرف «البُراق» والمنطلقة سعيا الى قاب قوسين أو أدنى، تاركة خلفها جبريل عليه السلام. والا فان النفس الامارة بالسوء إما ستسيء الادب وتنحط الى درك قلة التوقير والاحترام، أو ستزل قدماها الى عدم التصديق.

هوامش على الاشارة الرابعة

(١) روى مسلم في كتاب الزهد، وصفة الجنة، والإيمان، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ اذ سمع وجبة (اي سقطة) فقال النبي ﷺ: تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى الى قعرها» زاد في رواية «فسمعنا وجبتها» (٤/ ٢١٨٤-٢١٨٥ رقم ٢٨٤٤).

وروى ايضا عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد ان تدفن الراكب. فزعم ان رسول الله ﷺ قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق. فلما قدم المدينة فاذا منافق عظيم من المنافقين قد مات».

(٤/ ٢١٤٥ رقم ٢٧٨٢). ورواه أحمد بغير هذا اللفظ (٣/ ٣٤١، ٣٤٦). وانظر شرح الشفا لعلي القاري (١/ ٦٩٧).

(٢) راجع اقوال الائمة الحفاظ كالسيوطي والسخاوي وابن صلاح وابن تيمية واللكنوي وغيرهم حول افراط ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» وتحامله فيه تحاملا كثيرا حتى انه ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة، في كتاب (الاجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة لعبد الحي اللكنوي وتحقيق عبدالفتاح ابو غدة) في الصفحات: ٨٠، ١٢٠، ١٦٣، ١٧٠ وكذا في كتاب (الرفع والتكميل) ص ٥٠-٥١) وقد ذكرت امثلة على حُكمه بالوضع لاحاديث صحيحة، وذلك في كتاب «الرد على من ضعف الحديث الصحيح» وقد اكملت الجزء الاول منه، بيسّر الله طبعه.

(٣) واحاديث المهدي عند الترمذي، وابي داود، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وابي يعلى الموصلي، واسندوها الى جماعة من الصحابة. قال الشوكاني في التوضيح: والاحاديث الواردة في المهدي التي امكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ماهو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الاصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرّحة بالمهدي فهي كثيرة ايضا، لها حكم الرفع، اذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. اهـ. (الاذاعة لمحمد صديق حسن خان ١١٣-١١٤)

(٤) صحيح متواتر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، قال المحقق: حديث صحيح متواتر (٥/ ٣٠٢) وعد واحدا وسبعين صحابيا نقلوا الحديث، وممن اطلق عليه التواتر ابن الصلاح والنووي والعراقي وابن الجوزي وغيرهم (النظم المتناثر في الحديث المتواتر ٢٠-٢٤)

(٥) انظر صحيح البخاري (٥/ ١٠٣) باب شهود الملائكة بدرا، والفتح الرباني للساعاتي في تحقيقه المسند للامام أحمد (٢١/ ٢٦).

(٦) عن عمارة بن خزيمة «ان عمه حدثه وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتاع فرسا من اعرابي، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقضيه ثمن فرسه، فاسرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشي وابطأ الاعرابي، فطفق رجال يعترضون الاعرابي فيساومونه بالفرس لا يشعرون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتاعه، فنادى الاعرابي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ان كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته. فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع نداء الاعرابي فقال: او ليس قد ابتعته منك؟ قال الاعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بلى قد ابتعته. فطفق الاعرابي يقول: هلم شهيدا. قال خزيمة: انا اشهد انك قد بايعته. فاقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل شهادة خزيمة شهادة رجلين»

حديث صحيح: رواه ابو داود برقم (٣٦٠٧) والنسائي واحمد (٢٢/ ٢٣٣-٢٣٤). وفي المجمع (٩/ ٣٢٠) من حديث خزيمة بن ثابت، قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله كلهم ثقات اهـ. واورده الحافظ في المطالب العالية (٢/ ٤٠٥) ورمز المحقق لصحته. وانظر الاصابة (٢٢٦٠) وسير الأعلام (٢/ ١٨٠)

الإشارة البليغة الخامسة

وهي تخص الحوادث المتعلقة بامور غيبية، نذكر منها بضعة أمثلة:

المثال الاول:

■ قال رسول الله ﷺ في خطبة بين جمع من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ونقل الينا الحديث نقلاً صحيحاً ومتواتراً: «ان إبني هذا سَيّدٌ ولَعلَّ الله انْ يُصلحَ به بين فِئتين من المسلمين»[1] وفي رواية «عظيمتين». وبعد مرور أربعين سنة التقى جيشان عظيمان للمسلمين، فصالح الحسنُ معاوية رضي الله عنهما، وصدَّق بهذا الصلح المعجزةَ الغيبية لجدِّه الأمجد ﷺ.

المثال الثاني:

■ ثبت بنقل صحيح انه ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[2]. فأخبر عن وقعة الجمل وصفين وعن الخوارج.

■ وقال ﷺ للزبير: «لتقاتلَنّه وانتَ ظالمٌ له»[3]. عندما رآه وعلياً يتحابّان.

■ وقال ﷺ لأزواجه الطاهرات: «كيف بأحداكُنّ تنبح عليها كلاب الحوأب»[4] «يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة..»[5] وبعد ثلاثين سنة تحققت هذه الأحاديث الصحيحة فعلاً، وذلك في وقعة الجمل التي جرت بين عليّ وعائشة ومعها الطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين، كما تحققت في وقعة صفين التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد تحققت في وقعة حروراء ونهروان التي كانت بين عليّ رضي الله عنه والخوارج.

■ وأخبر ﷺ علياً عن الذي يقتله فقال: «الذي يضربك يا عليّ على هذه حتى تبلّ منها هذه»[6] اي تبلّ لحيته من دم رأسهِ وكان عليّ يعرفه، وهو؛ عبدالرحمن بن ملجم الخارجي.

■ وأخبر كذلك عن ذي الثُدية بعلامة فارقة فيه، انه سيكون بين قتلى الخوارج وفعلا كان ذو الثدية فيهم وهو «رجل أسود أحدى عضديه مثل ثدي

(الناكثين): الذين نكثوا البيعة. (القاسطين) الجائرين (المارقين): وهم الخوارج الذين مرقوا من الدين. (حوأب): قرية فيها الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة.

المرأة» فجعله عليٌ حجةً على انه المُحِقُّ،وأعلن عن معجزة الرسول الأكرم ﷺ.[7]

■ وأخبر ﷺ برواية صحيحة عن أم سلمة وغيرها : ان الحسين يُقتل بالطَّفْ[8] أي في كربلاء. وبعد خمسين سنة وقعت تلك الفاجعة الأليمة، فصدّقت ذلك الاخبار الغيبي.

■ وأخبر ﷺ : «ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً»[9]، فكان كما أخبر.

* * *

هنا يرد سؤال مهم :

يُقال: ان علياً رضي الله عنه كان أحرى بالخلافة وأولى بها، فهو ذو قرابة مع النبي ﷺ، وذو شجاعة نادرة خارقة، وذو علم غزير. فلماذا لم يُقدِّموه في الخلافة؟ ولماذا اضطربت أحوال المسلمين في عهده؟.

الجواب:

لقد قال قطب عظيم من آل البيت: كان الرسول ﷺ قد تمنّى ان يكون عليّ هو الخليفة، ولكن أُعلِم من الغيب أن إرادة الله غير هذا، فتخلى عن رغبته تبعاً لما يريده الله سبحانه وتعالى.

وفيما يأتي حكمةٌ واحدة مما تنطوي عليه ارادة الله تعالى في هذا الأمر: كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين أحوج الى الانفاق والاتحاد بعدما ارتحل النبي ﷺ الى الرفيق الأعلى، فلو كان عليّ رضي الله عنه قد تولّى الخلافة، لكان هناك احتمال قوي ان تثير أطواره المتسمة بعدم مسايرة الآخرين واستقلالية آرائه مع زهده الشديد وبسالته النادرة واستغنائه عن الناس فضلاً عن شجاعته الفائقة، فتحرك - هذه المزايا - عرق المنافسة لدى كثير من الأشخاص والقبائل، فتنجم الفرقة بين صفوف المسلمين، مثلما حدث في عهد خلافته من حوادث وفتن.

أما سبب تأخر خلافة عليّ رضي الله عنه فأن احد أسبابه هو ما يأتي:

لقد هبّت أعاصير الفتن في أوساط أمة الاسلام التي تضم أقواماً متباينة في الفكر والتي يحمل كلٌ منها بذور الفرقة الى ثلاث وسبعين فرقة - مثلما أخبر بذلك الرسول ﷺ [10] - فكان ينبغي وجود شخصية قوية فذة، مهيبة

الجانب، ذات شجاعة فائقة وفراسة نافذة ونسب عريق أصيل من أهل البيت وس بني هاشم، كي يُثَبِّت أمام هذه الفتن. فمثل هذه الشخصية الفذة كانت تتمثل في علّي رضي الله عنه، فثبت فعلاً أمام تلك الأعاصير الهوجاء.. ولقد أخبره الرسول ﷺ بذلك أنه سيحارب في سبيل تأويل القرآن كما حارب هو ﷺ في سبيل نزوله.(١١)

ثم انه لولا علي رضي الله عنه لربما كانت سلطنة الدنيا تعصف بالأمويين وتفتنهم كلياً، وتزلّهم عن الصراط السوي، ولكن لأنهم كانوا يرون ازاءهم علياً وآل البيت، فقد حاولوا ان يبلغوا شأوهم ويوازوهم في مكانتهم لئلا يفقدوا منزلتهم في نظر الأمة، فاضطر أغلبُ رؤساء الدولة الأموية الى حضّ اتباعهم على القيام بحفظ حقائق الايمان ونشرها وصيانة أحكام القرآن والاسلام رغم أنهم لم يفعلوا شيئاً بأنفسهم، لذا نشأت في ظل دولتهم مئات الألوف من العلماء المحققين المجتهدين وأئمة الحديث والأولياء الصالحين والأصفياء والعاملين، فلولا كمالات يتصف بها آل البيت وصلاحهم وولايتهم لله لزلّ الأمويون وابتعدوا كلياً عن طريق الصواب، كما آل اليه أمرهم في أواخر أيامهم، وكما حدث في أواخر أيام العباسيين.

واذا قيل:

لماذا لم تستقر الخلافة في آل البيت، علماً انهم كانوا أحق بها؟

الجواب:

ان سلطنة الدنيا خدّاعة، بينما أهل البيت مكلفون بالحفاظ على حقائق الاسلام واحكام القرآن. فينبغي لمن يتسلم زمام الخلافة الاّ تغره الدنيا، كأن يكون معصوماً كالنبي، أو يكون عظيم التقوى عظيم الزهد كالخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز والمهدي العباسي لئلا يغتر. فسلطنة الدنيا لاتصلح لآل البيت، اذ تنسيهم وظيفتهم الاساس؛ وهي المحافظة على الدين وخدمة الأسلام. وخلافة الدولة الفاطمية التي قامت باسم آل البيت في مصر، وحكومة الموحدين في أفريقيا، والدولة الصفوية في إيران، كل منها غدت حجة على ان سلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت. بيما نراهم متى ما تركوا السلطة، فقد سعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظير في خدمة

الأسلام ورفع راية القرآن.

فان شئت فتأمل في الأقطاب الذين أتوا من سلالة الحسن رضي الله عنه، ولا سيما الأقطاب الأربعة(★)، وبخاصة الشيخ الكيلاني. وان شئت فتأمل في الأئمة الذين جاءوا من سلالة الحسين رضي الله عنه، ولا سيما زين العابدين وجعفر الصادق وأمثالهم.. فكلٌ من هؤلاء قد أصبح بمثابة مهدي معنوي، بدّدوا الظلم والظلمات المعنوية بنشرهم أنوار القرآن وحقائق الأيمان، واثبتوا حقاً أنهم وارثو جدهم الأمجد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فان قيل:

ما حكمة تلك الفتنة الدموية الرهيبة التي أصابت الأمة الاسلامية في عصر الراشدين وخير القرون، حيث لايليق باولئك الابرار القهر ونزول المصائب وأين يكمن وجه الرحمة الألهية فيها؟

الجواب:

كما ان الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع تثير كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكشفها فتنثر البذور وتطلق النوى، فتتفتح أزهارها الخاصة بها، ويتسلم كلٌ منها مهمته الفطرية، كذلك الفتنة التي أبتلي بها الصحابةُ الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، أثارت بذور مواهبهم المختلفة، وحفّزت نوى قابلياتهم المتنوعة، فانذرتْ كلَّ طائفة منهم وأخافتهم من أن الخطر مُحدقٌ بالاسلام، وان النار ستنشب في صفوف المسلمين؛ مما جعل كلَّ طائفة تهرع الى حفظ الدين والذود عن حياض الأيمان، فأخذ كلٌ منهم على عهدته مهمةً من مهمات حفظ الايمان وشمل الاسلام، كلٌ حسب قابليته، فانطلق بكل جدٍ واخلاص في هذا السبيل

(★) هم الاولياء العظام من اهل السنة المعروفون لدى العلماء الاعلام
١-السيد عبدالقادر الكيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ)
٢-السيد احمد الرفاعي (٥١٢ - ٥٧٨ هـ)
٣-السيد احمد البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ)
٤-السيد ابراهيم الدسوقي (٦٣٣ - ٦٧٦ هـ). واعلم ان لفظ القطب لفظ اصطلاحي لامشاحة فيه (المترجم)

فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوي الشريف، ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء، ومنهم من قام بحفظ العقائد والحقائق الايمانية، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم.. وهكذا انضوت كلُّ طائفة تحت مهمةٍ وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الايمان وصيانة الأسلام، وسَعَتْ في سبيل اداء مهمتها سعياً حثيثاً، فتفتحت - من البذور التي نشرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الارجاء - زهورٌ بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الاسلام، حتى غدا العالم الاسلامي رياضاً يانعة بالورود والرياحين. الآّ انه - للأسف - ظهرت بين تلك الرياض البديعة أشواكُ أهل البدع أيضاً. وكأن يد القَدَر الألهي قد خصَّتْ ذلك العصر بجلال وهيبة، وادارته بشدة وعنف، فأثارت الهمم وألهبت المشاعر لدى أهل الهمة والغيرة، فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز، كثيراً من أئمة المجتهدين والمحدّثين والحفاظ والأصفياء والأقطاب الأولياء الى أنحاء العالم الأسلامي وألجأتهم الى الهجرة. وهيّجت المسلمين شرقاً وغرباً وفتحت بصيرتهم ليغنموا من كنوز القرآن وخزائنه... والآن لنرجع الى صددنا.

* * *

ان ما أخبر عنه الرسول ﷺ من امور الغيب ووقع فعلاً كما أخبر، يبلغ الألوف بل يزيد، الآّ اننا نشير الى امثلة منها فقط، تلك التي اتفق على صحتها أصحاب الكتب الستة الصحيحة، وفي مقدمتهم البخاري ومسلم، حتى ان كثيراً منها نقلت نقلاً متواتراً من حيث المعنى، واتفق العلماء وأهل التحقيق على صحة بعضها انه بمثابة التواتر الصريح.

■ «... خرَّج أهلُ الصحيح والأئمة: ما أعلَمَ به ﷺ أصحابَه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة[١٢] وبيت المقدس[١٣] واليمن والشام والعراق[١٤]... وتُفتح خيبر[١٥] وأخبر عن « قسمتهم كنوز كسرى وقيصر»[١٦] أكبر دولتين في العالم في ذلك العهد. ثم أنه ﷺ حينما كان يخبر بهذا الخبر الغيبي لم يقل: أظن، أحسب، ربما.. وانما أخبر عن علم يقيني كأنه واقع يراه.. وقد وقع كما أخبر، علماً انه عندما أخبر بهذا الخبر كان مأموراً بالهجرة، واصحابه قليلون، والعالم كله ومَن حول المدينة أعداء

يحدقون به من كل جانب.

■ وفي رواية صحيحة، أخبر الرسول ﷺ مراراً: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[١٧]»، فأفاد بهذا ان أبا بكر وعمر سيعمُران بعده، وسيكونان خليفتين، وسيؤديان الخلافة حقها اداءاً كاملاً بما يرضي الله سبحانه ورسوله. ثم ان ابا بكر سيتولى الخلافة لفترة قصيرة، بينما عمر سيتولاها لمدة أطول، فضلاً عن انه سيقوم بكثير من الفتوحات.

■ وقال الرسول ﷺ: «ان الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلُغ مُلكاً ما زوي لي منها»[١٨]، وكان كما قال.

■ واخبر ﷺ قبل غزوة بدر- في رواية صحيحة -[١٩] عن مصارع الكفار في بدر وأشار الى محال قتلهم ومصارع رؤسائهم: هذا مصرع ابي جهل، هذا مصرع عتبة، وهذا مصرع أميّة، هذا مصرع فلان وفلان «واعلم بانه سيقتل أُبي بن خلف»[٢٠]، وكان كما أعلم.

■ وثبت في الصحيح انه قال كمن يشاهد أصحابه وينظر اليهم في غزوة مؤتة، وهي على بُعد مسيرة شهر من حدود الشام: «أخذ الراية زيدٌ فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان.. حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[٢١]، وبعد مرور بضعة أسابيع عاد يعلى بن مُنبّه من ساحة المعركة، وقبل ان يخبر عما جرى هناك بيّن رسول الله ﷺ ما دار في المعركة مفصلاً. فأقسم يعلى، وقال: «والذي بعثك بالحق ما تركتُ من حديثهم حرفاً واحداً»[٢٢].

■ وفي رواية صحيحة انه ﷺ أخبر عن ان الخلافة بعده ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوضا[٢٣]؛ «وان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأمة»[٢٤]، فاخبر ﷺ عن مدة الخلافة الراشدة وهي؛ ثلاثون سنة، وتكمل هذه المدة بالأشهر الستة لخلافة الحسن رضي الله عنه، ثم تتعاقب السلطة والجبروت وفساد الأمة، وفعلاً تحقق مثلما قال.

■ وثبت برواية صحيحة ان سيدنا عثمان رضي الله عنه يُقتل وهو يقرأ المصحف[٢٥]، وان الرسول ﷺ قد قال: «ان الله عسى ان يلبسه قميصاً

وانهم يريدون خلعه»[٢٦] فكان كما قال.

■ وفي رواية صحيحة أخرى أنه؛ عندما احتجم الرسول ﷺ شرب عبدالله بن الزبير دمه الطاهر تبركاً، ولم يسكبه فقال له: «ويلٌ للناس منك وويلٌ لك من الناس»[٢٧] فأخبر بأن عبدالله سيتولى أمر الناس بشجاعة فائقة، وسيكون هدفاً لهجوم عنيف وستنزل بالناس بسببه نوائبُ ومصائبُ. وفعلاً وقع كما قال؛ حيث أعلن عبدالله بن الزبير الخلافة في مكة في عهد الأمويين، وحاصره الحجاج بن يوسف الظالم بجيش عظيم في مكة، وبعد قتال عنيف وبسالة نادرة ومعارك دامية سقط شهيداً.

■ وأخبر ﷺ «بمُلك بني أمية»[٢٨] أي بظهور الدولة الأموية «وولاية معاوية، ووصّاه» لما قال له: اذاملكتَ فاسجح أو فأنصح[٢٩] وأخبر عن «اتخاذ بني أمية مال الله دولاً»[٣٠] وسيكون ملوكها ورؤساؤها ظلمة، وسيظهر منهم أشخاص أمثال يزيد[٣١] والوليد.

■ كما أخبر ﷺ عن «خروج وَلَد العباس بالرايات السُّود ومُلْكِهم أضعاف ما مَلكوا»[٣٢] من ان الدولة العباسية ستظهر بعد الأمويين، وسيظلون في الحكم مدة أطول. وتحقق كل ذلك فعلاً كما أخبر ﷺ.

■ وثبت في الصحيح أنه قال: «ويلٌ للعرب من شرّ قد اقتَربَ»[٣٣] فأخبر بفتن جنكيزخان وهولاكو، وتدميرهم الدولة العباسية العربية، وقد تحقق فعلا كما قال ﷺ.

■ وقال لسعد بن أبي وقاص - في رواية صحيحة - حينما كان في مرض شديد: «لعلك تُخلَّفُ حتى ينتفعَ بكَ أقوامٌ، ويستضرُّ بك آخرون»[٣٤] فأخبر ﷺ أنه سيكون قائداً عظيماً، وسيفتح الله بيده بلداناً وينتفع به أقوام كثيرة بدخولهم حضيرة الأسلام، ويتضرر به آخرون حيث تنقرض دولتهم. وقد كان كما قال؛ اذ أصبح سعد قائداً للجيش الأسلامي ودمرّ دولة الفرس وصار سبباً في دخول كثير من الأقوام والملل في حوزة الأسلام.

■ وثبت كذلك أنه ﷺ «نعى النجاشي[٣٥] في اليوم الذي مات فيه»، في السنة السابعة من الهجرة، وصلّى عليه، وبعد مرور اسبوع جاء الخبر بأنه توفي في اليوم الذي أخبر فيه الرسول ﷺ.

■ وقال ﷺ : «أثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد»[٣٦] عندما كان ﷺ مع صفوة من الصحابة الكرام على جبل أحد -أو على حراء-[٣٧] واهتزّ الجبل من تحتهم، فأفاد أن عمر وعثمان وعلي سيستشهدون، فكان كما قال.

* * *

أيها المسكين ويامن مات قلبه ويا أيها الشقي!.

لعلك تقول ان محمداً ﷺ كان عبقرياً، فعرف بعبقريته هذه الأمور الغيبية وتغمض عينك عن حقيقة النبوة الساطعة كالشمس!.

أيها المسكين! ان ما سمعتَه ليس الاّ جزء من خمسة عشر نوعاً من الأنواع الكلية لمعجزاته ﷺ وقد علمتَ انها جميعاً ثابتة بروايات صحيحة وبتواتر معنوي. وانت لم تسمع بعدُ الاّ نبذةً يسيرة مما يتعلق بالامور الغيبية.. أفبعد ما يسمع الانسان هذه المعجزات يقول لصاحبها: انه عبقري يكشف المستقبل بفراسته؟.

هب اننا قلنا مثلك: انه عبقري! أفيمكن ان تلتبس الرؤية على من يملك مئات الاضعاف من الذكاء المقدس والعبقرية السامية؟ وهل يمكن لمثل هذه الشخصية السامية ان تهبط من سموها الصادق فيخبر أخباراً عارية عن الصحة؟ أليس جنوناً وبلاهةً ما بعدها بلاهة الاعراض عما تخبر به هذه العبقرية الفذة حول سعادة الدارين!؟.

هوامش على الاشارة الخامسة

(١) صحيح : رواه البخاري عن ابي بكرة في كتاب الصلح (٣/٢٤٤) وفي علامات النبوة (٤/٢٤٩) وفي المناقب . ورواه الترمذي في المناقب وقال : حسن صحيح (تحفة الاحوذي ١٠/٢٧٧ - ٢٨٨) ورواه النسائي في الجمعة، وأحمد في مسنده (٥/٣٧، ٤٤، ٤٩، ٥١، ٣٥٤) ورواه الطيالسي (برقم ٨٧٤) وابو داود (٢/٥١٩ - ٥٢٠) باب ترك الكلام في الفتنة

(٢) «عن علي قال : عهد اليّ رسول الله ﷺ في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين» وفي رواية : «أمرت بقتال الناكثين» فذكره، رواه البزار والطبراني في الاوسط، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح ، غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان (مجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ٢٣٨) وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (رقم ٤٤٦٢، ٤٤٦٣) وعزاه لأبي يعلى . اهـ. وابن حبان متساهل بالتوثيق كما هو معروف لدى أهل التحقيق من اهل العلم.

(٣) اورده ابن كثير في البداية والنهاية (٦ / ٢١٣) وقال : رواه البيهقي من طريق الهديل بن بلال وفيه ضعف . واورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابي حريز المازني وقال : رواه ابويعلى ، وفيه عبد الملك بن مسلم ، قال البخاري : لم يصح حديثه (٧/٢٣٥) . وانظر شرح الشفا لعلي القاري (١/٦٨٦ - ٦٨٧) وفيه : رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق . وفي المطالب العالية لابن حجر بالفاظ اخرى وباسانيد اخرى متفرقة (رقم ٤٤٧٠، ٤٤٧٥، ٤٤٧٦).

(٤) صحيح : رواه احمد وغيره عن يحيى بن سعيد وغيره، ولفظ يحيى : «قال : لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا ، نبحت الكلاب ، قالت : اي ماء هذا؟ قالوا : ماء الحوأب . قالت : ماأظني الا اني راجعة . فقال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم . قالت : ان رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم : كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب . . . » الخ والحديث من اصح الاحاديث ، ولذلك تتابع الائمة على تصحيحه قديما وحديث (مختصراً من سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٤٧٥).

(٥)صحيح : قال الهيثمي (٧/٢٣٤) : رواه البزار، رجاله ثقات . وكذا قاله الحافظ في الفتح (١٣، ٥٥) وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٢٩٧) بسياق قريب ، ورمز المحقق لصحته وقال : قال البوصيري : رواه ابن ابي شيبة ورواته ثقات . اهـ . والبوصيري هذا هو غير الامام البوصيري صاحب البردة.

(٦) صحيح : روى الطبراني والحاكم عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال : «الا أحدّثكم باشقى الناس رجلين؟ أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك ياعليُ على هذه، حتى تبل منه هذه» (صحيح الجامع الصغير برقم ٢٥٨٦ قال المحقق : صحيح).

من معرفة علي لقاتله فانظر المجمع (٩/١٣٨) قال الهيثمي : رجاله ثقات . وعزاه لأبي يعلى. وأورده الحافظ في المطالب (٤٥١٣) ورمز المحقق لثبوته.

(٧) صحيح : روى البخاري (٤/٢٤٣) ومسلم (٢/٧٤٤ - ٧٤٥) عن ابي سعيد الخدري : قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال : يارسول الله أعدل . فقال : «ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل؟ قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل» فقال عمر : ائذن لي أن اضرب عنقه . فقال : «دعه، فإن له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصله الى رصافه الى نضيه وهو قدحه، الى قذذه فلايوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم . آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أومثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس» قال ابوسعيد : اشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فأتي به، حتى نظرت اليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته»

(٨) صحيح : أورده الإمام احمد في فضائل الصحابة عن ام سلمة أو عائشة، قال المحقق : اسناده صحيح، (١٣٥٧). قال الهيثمي في المجمع (١٨٧/٩) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح. وانظر المسند ٢٩٤/٦ وأخرجه الطبراني ١١٣/٣ عن عائشة بدون شك واسناده صحيح. اما ما ورد بأن قتله بالطف فقد أورده الهيثمي في المجمع (١٨٨/٩) ويشهد له ما أخبر به ﷺ وحدده بكونه على شاطئ الفرات وفي كربلاء، فهذا ثبت بأحاديث صحيحة. انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢١٧) وفضائل الصحابة (١٣٩١)

(٩)جزء من حديث اخرجه الحاكم٤/١١٦، وقال الذهبي هذا موضوع. والذي ثبت في الحديث الصحيح بنحو بعده

ماروراه الطبراني في الكبير عن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال : «ان اسرع الناس هلاكا قريش، واول قريش هلاكا اهل بيتي» (صحيح الجامع الصغير ٢٥٥٨ قال المحقق : صحيح) وانظر (سلسلة الاحاديث الصحيحة ١٧٣٧).

(١٠) صحيح : احاديث افتراق الامة ثلاثاً وسبعين فرقة والناجية واحدة منها، وردت بعدة سياقات، اسانيدها صحيحة، نذكر منها : عن معاوية «اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لايبقى منهم عرق ولا مفصل الا دخله» رواه احمد وابو داود (مشكاة المصابيح رقم ١٧٢ قال المحقق : سندهما صحيح). ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح، وابن ماجه وابو داود، كلهم عن ابي هريرة (الفتح الرباني للساعاتي ٢٤ / ٦) ورواه ابن ماجه عن انس في الفتن (١٣٢٢) في الزوائد : اسناده صحيح رجاله ثقات. ورواه الترمذي عن ابن عمرو وفيه زيادة «كلهم في النار الا ملة واحدة، ما انا عليه واصحابي» (صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٥٢١٩ قال المحقق حسن).

(١١) صحيح : عن ابي سعيد الخدري قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» رواه احمد واسناده حسن (مجمع الزوائد ٦/ ٢٤٤) واورده الهيثمي ايضاً في (٩ / ١٣٣ - ١٣٤) بسياق أطول من السابق، وقال : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح، غير فطر بن خليفة وهو ثقة. اهـ وهو عند الامام احمد في المسند (٨٣/٣). والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، واقرهما محقق فضائل الصحابة (٦٢٧/٢، ٦٣٧).

(١٢) صحيح : رواه الشيخان وغيرهما (علي القاري ٦٧٨/١ - ٦٧٩)

(١٣)صحيح : رواه البخاري عن عوف بن مالك (علي القاري ٦٧٨/١ - ٦٧٩)

(١٤)صحيح : رواه البخاري ومسلم ومالك عن سفيان بن ابي زهير (علي القاري ٦٧٨/١)

(١٥)صحيح : كما رواه البخاري في علامات النبوة (٢٥٣/٤)، وكما رواه الشيخان عن سهل بن سعد (علي القاري ١/ ٦٧٩)

(١٦)صحيح : صحيح مسلم (٢٢٣٦/٤ - ٢٢٣٧ برقم ٢٩١٨)

(١٧)صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وحسنه الترمذي (تحفة الاحوذي ١٤٧/١٠)ورواه الامام احمد (الفتح الرباني للساعاتي ١٨٢/٢٢) وورد في مشكاة المصابيح (٢٣٢/٣) قال المحقق : قال الترمذي حديث حسن، وهو كما قال أو أعلى. وورد في فضائل الصحابة للامام احمد باسانيد صحيحة وحسنة وضعيفة. قال المحقق : حديث رقم (١٩٨، ٤٧٩) اسنادهما حسن ورقم (٤٧٨ , ٦٧٠) اسنادهما صحيح، وكلهم عن حذيفة.

(١٨)صحيح : رواه مسلم (٢٢١٥/٤ برقم ٢١٨٩) واحمد (٢٧٨/٥ برقم ٢٨٤) والترمذي بهامش تحفة الاحوذي (٣٩٨/٦ - ٤٠٠ برقم ٢٢٦٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه ٣٩٥٢ (١٣٠٤/٢) وابو داود (٤١٢/٢) وكلهم عن ثوبان

(١٩) صحيح: رواه مسلم (برقم ١٧٧٩) وأخرجه أحمد (١ / ٣٩٠ رقم ٤٢٨) والحاكم (٣ / ٣٤٩) وصححه، ووافقه الذهبي (مشكاة المصابيح ٣ / ١٦٧ رقم ٥٨٧١) وزاد المعاد - تحقيق الأرناؤوط (٣ / ١٧٤).

(٢٠) الشفا (١ / ٣٤٣) رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلاً فجرحه في عنقه في أحد فمات (الخفاجي ٣ / ٢٠٧ وعلى القاري ١ / ٦٩٩) وانظر الشفا (١ / ١١٦).

(٢١) صحيح: رواه البخاري (٥ / ١٨٢) عن أنس. ورواه أحمد والنسائي (صحيح الجامع الصغير ١ / ١٢٢).

(٢٢) الخفاجي (٣ / ٢١٠)، زاد المعاد تحقيق الأرناؤوط (٣ / ٣٨٥).

(٢٣) صحيح: عن سفينة أن الرسول ﷺ قال: «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه (صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٣٦ قال المحقق: صحيح) (الفتح الرباني للساعاتي ٢٣ / ١٠) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٠) بعدة سياقات.

(٢٤) صحيح: الشفا (١ / ٣٤٠). وروى الإمام أحمد (٤ / ٢٧٣) أن رسول الله ﷺ قال: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»، والحديث في مسند الطيالسي (٤٣٨)، قال الهيثمي في المجمع (٥ / ١٨٩): رواه أحمد والبزار أتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات، وصححه الحافظ العراقي (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٩ والفتح الرباني للساعاتي ٣ / ١٠).

(٢٥) صحيح: ورد في فضائل الصحابة عن عمرة بنت أرطأة العدوية، قالت: «خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره، فكانت أول قطرة من دمه على هذه الآية: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (البقرة: ١٣٧)، قالت عمرة: فما مات رجل منهم سوياً» قال المحقق: إسناده صحيح (١ / ٥٠١ رقم ٨١٧).

(٢٦) صحيح: عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «ياعثمان إنه لعل الله أن يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم» رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: في الحديث قصة طويلة، وقال: حديث حسن غريب. قال المحقق: وإسناده صحيح وله في المسند (٦ / ١١٤) طريق أخرى (مشكاة المصابيح ٣ / ٢٣٨).

(٢٧) حسن: قال البوصيري: رواه أبو يعلى والبزار بإسناد حسن (المطالب العالية ٤ / ٢١) قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح غير هبيد بن القاسم وهو ثقة (٨ / ٢٧٠) [illegible]

(٢٨) الشفا (١ / ٣٣٨) في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي، ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلاً وفي سنده ضعف (على القاري ١ / ٦٨٣ الخفاجي ١ / ١٧٩).

(٢٩) وفي الحديث: أن معاوية أخذ الإداوة بعد أبي هريرة يتبع رسول الله ﷺ بها، واشتكى أبو هريرة، فبينا هو يوضئ رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين فقال: «يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله عز وجل واعدل» قال: فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت. قال الهيثمي (٥ / ١٨٦): رواه أحمد وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى عن سعيد بن معاوية فوصله ورجاله رجال الصحيح وانظر المطالب العالية (٤٠٨٥).

(٣٠) الشفا (١ / ٣٣٨) رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن أبي هريرة (على القاري ١ / ٦٨٤) وانظر بمعناه في صحيح الجامع الصغير (٤١٢) والمطالب العالية (٤٥٣١).

(٣١) روى أبو يعلى عن أبي ذر أن الرسول ﷺ قال: «أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية»

(صحيح الجامع الصغير ٢٥٧٩ قال المحقق: حديث حسن) (سلسلة الاحاديث الصحيحة ١٧٤٩) ويوضحه بان المقصود يزيد ماجاء في المطالب العالية (٤٥٢٨، ٤٥٢٩).

(٣٢) السند (١٠/٣٣٨) وفي مسند الإمام احمد (١٧٨٦، ٣/٢١٦ ـــ ٢١٨) من حديث ابي ميسرة عن العاص قال: كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: انظر هل ترى في السماء من نجم؟ قال: قلت: نعم، قال: ماترى؟ قال: قلت: ارى الثريا، قال: أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلب، اثنين في فتنة. وقال الهيثمي ٥/١٨٦: رواه أحمد والطبراني وفيه ميسرة مولى العباس، ولم اعرفه الا في ترجمة ابي قبيل، وبقية رجاله احمد ثقات. اهـ

والحديث قال عنه العلامة احمد شاكر: اسناده صحيح انظر كلامه في المسند. وقد خرجه الحاكم ٣/٣٢٦، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/٤٦ـــ٤٧ قال الذهبي: هذا باطل. وتعقبه الحافظ في لسان الميزان.

(٣٣)صحيح: رواه البخاري في كتاب الفتن (٩/٦٠) ومسلم (٤/٢٢٠٧ برقم ٢٨٨٠) والبخاري ايضاً في المناقب (٤/٢٤١).

(٣٤)صحيح: رواه الشيخان (الخفاجي ٣/٢٠٩ وعلى القاري ١/٦٩٩) وحلية الاولياء (١/٩٤).

(٣٥)صحيح: عن ابي هريرة: «ان رسول الله ﷺ نعى النحاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج الى المصلى فصف بهم وكبّر أربعاً» رواه البخاري في كتاب الجنائز، وفي فضائل اصحاب النبي ﷺ وفي باب موت النحاشي. ورواه مسلم وأحمد ومالك والشافعي والبيهقي وابو داود.

(٣٦)صحيح: رواه البخاري (٥/١٥) وابو داود والترمذي عن أنس، والترمذي عن عثمان، وأحمد ابويعلى في مسنده وابن حبان عن سهل بن سعد.

(٣٧)صحيح: روى مسلم عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم. وله رواية اخرى مشابهة (٤/١٨٨٠): «اثبت حراء فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد» رواه أحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن سعيد بن زيد، وأحمد عن انس عن بريرة، والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهم. وهو حديث صحيح (صحيح الجامع الصغير ١/٩٧ برقم ١٣٠)

الاشارة البليغة السادسة

■ ثبت انه ﷺ أخبر فاطمة: أنها «أول أهله لحوقاً به»[١]. . أي أول من يموت بعده ﷺ فيتبعه من أهل البيت. وبعد ستة أشهر وقع ما قال.

■ وثبت أيضاً أنه ﷺ: «أخبر أبا ذر رضي الله عنه بتطريده» أي من المدينة المنورة «وبعيشه وحده وبموته وحده»[٢]، وبعد عشرين سنة وقع الأمر كما أخبر.

■ وأيضاً انه ﷺ استيقظ من النوم في بيت أم حرام (خالة أنس بن مالك) فتبسم قائلاً: «ناسٌ من امتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثَبجَ هذا البحر ملوكً على الأسرَّة، فقالت: ادع يا رسول الله ان اكون معهم، فدعا لها»[٣]. وبعد أربعين سنة اصطحبت زوجها عُبادة بن الصامت لفتح قبرص وتوفيت هناك. وقبرها الآن هناك معروف يزار.

■ وثبت انه ﷺ قال: «ان في ثقيف كذّاباً ومُبيراً»[٤] فاخبر عن المختار المشهور الذي أدعى النبوة، وسفاك الدماء الحجاج الظالم الذي قتل مئة ألف نفس[٥].

■ وثبت ايضاً انه ﷺ قال: «لتُفْتَحنَّ القسطنطينية، فَلَنِعْمَ الأميرُ أميرهُا ولنعمَ الجيشُ ذلك الجيش»[٦] فأفاد بهذا انه ستَفتح مدينة استانبول بيد المسلمين، وسيكون لمحمد الفاتح مرتبة عالية: «نعمَ الأمير». وظهر الأمر كما قال.

■ وثبت كذلك أنه ﷺ قال: «ان الدّين لو كان منوطاً بالثريا لنالهُ رجالٌ من أبناء فارس»[٧] مشيراً الى الذين أنجبتهم بلاد فارس من العلماء والأولياء أمثال الأمام ابي حنيفة النعمان.

■ وقال ﷺ ايضاً: «عالمُ قريش يَملأ طباق الأرض علماً»[٨]، مشيراً بذلك الى الأمام الشافعي.

■ وأخبر ﷺ: «أن الأمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها أهل السنة والجماعة»[٩].

(ثبج البحر): وسطه ومعظمه وقيل ظهره.

■ وقال ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة»[10]، مشيراً بذلك الى طائفة القدرية المنكرين للقدر، والتي هي منقسمة الى شعب وفرق كثيرة.

■ وكذا أخبر عن فرق كثيرة، اذ ثبت انه قال لعليّ ما معناه: ان مثلك مثل عيسى عليه السلام، ستكون سبباً في هلاك فئتين من الناس: احداهما من فرط المحبة والاخرى من فرط العداوة[11]. حيث افرط النصارى في حب عيسى عليه السلام حتى تجاوزوا الحد المشروع وقالوا: انه ابن الله - حاش لله - واليهود أيضاً أفرطوا في العداوة له فانكروا نبوته ومنزلته الرفيعة. وكذلك سيفرط فريق من الناس في الحب لك ويتعدّون الحدّ المشروع، فيهلكون، اذ قال ﷺ في حقهم: «لهم نبزٌ يُقال لهم الرافضة»[12]، وفريق آخر سيفرطون في العداء لك وهم (الخوارج) وقسم من المغالين في موالاة الأمويين وهم (الناصبة).

فان قيل:

ان القرآن الكريم يأمر بحب آل البيت، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فلربما يشكّل هذا الحب عذراً، حيث ان أهل الحب أهل انتشاء وسكر - أي ذاهلون - فلِمَ لاتنتفع الشيعة ولاسيما الرافضة من هذا الحب ولا ينقذهم من العذاب، بل نرى العكس من ذلك فانهم يدانون من فرط الحب كما أشار اليه الحديث الشريف؟!.

الجواب:

ان الحب قسمان

أحدهما: حب (بالمعنى الحرفي) وهو حب عليّ والحسن والحسين وآل البيت محبة لله وللرسول وفي سبيلهما. فهذا الحب يزيد حب الرسول ﷺ ويكون وسيلة لحب الله عز وجل فهذا الحب مشروع، لايضر افراطهُ، لانه لايتجاوز الحدود ولا يستدعي ذم الغير وعداوته.

وثانيهما: حب (بالمعنى الاسمي) وهو حبهم حباً ذاتياً، ولأجلهم، أي حب عليّ من أجل شجاعته وكماله، وحب الحسن والحسين من أجل فضائلهما ومزاياهما الكاملة فحسب، من غير تذكّر للنبي ﷺ، حتى ان منهم من يحبهم ولو لم يعرف الله ورسوله. فهذا الحب لا يكون وسيلةً لحب الله

ورسوله. واذا ما كان في هذا الحب افراط فانه سيفضي الى ذم الغير وعداوته.

وهكذا فمنهم - كما ذكر في الحديث الشريف - افرطوا في الحب لعليّ وتبرأوا من أبي بكر وعمر، فوقعوا في خسارة عظيمة. فكان هذا الحب السلبي - غير الايجابي - سبباً لخسارتهم.

■ ونقل نقلاً صحيحاً انه ﷺ حذّر الأمة من أنهم «اذا مشوا المُطَيطاء وخَدَمَتْهم بناتُ فارس والروم ردَّ الله بأسَهُم بينهم وسلّط شرارَهم على خِيارِهم»[١٣]. وبعد ثلاثين سنة وقع الأمر كما قال.

■ وثبت كذلك انه ﷺ أعلَمَ أصحابه: «بفتح خيبر على يَدي عليّ»[١٤]. وفي غد يومه وقعت المعجزة النبوية - فوق ما كان يُتوقع - فأخذ عليّ باب القلعة بيده وجعله ترساً. ولما تم أمر الفتح رماه في الأرض، وكان الباب عظيماً، حتى انه لم يستطع ثمانية رجال - وفي رواية اربعون رجلاً - رفعه من الارض.[١٥]

■ وقال ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ حتى تَقتَتِلَ فئتان عظيمتان دعواهُما واحدة»[١٦] فأخبر عن الحرب التي وقعت في صفين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما.

■ ومما أخبر به ﷺ: «ان عماراً تَقتُلُه الفئةُ الباغية»[١٧]، وبعد ذلك قُتل في حرب صفين. فاحتج عليّ به من ان الموالين لمعاوية هم الفئة الباغية، ولكن معاوية أوّل الحديث. وقال عمرو بن العاص: البغاة هم قاتلوه فقط، ولسنا جميعاً بغاة.

■ وقال ﷺ أيضاً: «ان الفتنَ لاتَظهر مادام عمر حياً»[١٨]. فكان الأمر كما اخبر.

■ «ولما أسِرَ سُهيل بن عمرو - قبل اسلامه - يوم بدر قال عمر: يارسول الله انه رجل مفوّه فدَعْني انتزع ثنيتيه السفليتين، فلا يقوم خطيباً عليك بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «وعسى ان يقومَ مقاماً يَسرُّك ياعمر»[١٩]. فكان كذلك اذ حينما وقعت وفاة النبي ﷺ، تلك الحادثة العظمى التي كلَّ الصبرُ فيها، قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه مُعزّياً المسلمين في المدينة المنورة ومثبّتاً قلوبَ

(المطيطاء): مشية فيها مدّ اليدين والتبختر والخيلاء

الصحابة فخطب فيهم خطبة بليغة. وقام سهيل أيضاً في مكة المكرمة يحذو حذو أبي بكر، فالقىٰ خطبةشبيهة بخطبة أبي بكر، حتىٰ ان كلمات الخطبتين تواردت علىٰ معنىً واحد، الىٰ حدٍ ما.

■ وقال الرسول ﷺ لسُراقة: «كيف بك. اذا أُلبستَ سوارَيْ كسرىٰ»[٢٠] وفي عهد عمر رضي الله عنه سقطت دولة كسرىٰ وجاءت زينة كسرىٰ وحليه فألبسها عمرُ سراقةَ وقال: «الحمد لله الذي سَلَبهما كِسرىٰ وألْبسهما سُراقة»[٢١] وصدّق ما أخبر به النبي ﷺ.

■ وقال أيضاً ﷺ: «اذا هَلكَ كسرىٰ فلا كسرىٰ بعدَه[٢٢]» فكان الأمر كما أخبر.

■ وأخبر ﷺ رسولَ كسرىٰ: «ان الله سلّط علىٰ كسرىٰ ابنَه شهَرَوَيه فقَتَله في وقت كذا..»[٢٣] فلما حقق ذلك الرسول وقتَ مقتل كسرىٰ، ايقنَ ان قتله كان في نفس الوقت الذي أخبر عنه ﷺ فأسلَم بسبب ذلك. واسمُ ذلك الرسول «فيروز» كما ورد في بعض الروايات.

■ وأخبر عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله سراً الىٰ كفار قريش. فأرسل ﷺ علياً والمقداد رضي الله عنهما بأن في الموضع الفلاني جارية معها رسالة. فأتوني بها، فذهبا واتيا بالرسالة في المكان الذي وصفه الرسول ﷺ، واستدعى حاطباً وقال له: ما الذي حَملك علىٰ هذا؟ فابدىٰ عذره فقبل منه[٢٤]. وهذه رواية صحيحة ثابتة.

■ وثبت أيضاً انه ﷺ قال في عتبة ابن أبي لهب: «يأكله كلبُ الله»[٢٥] فأخبر عن عاقبته المفجعة، وبعد مدة من الزمن ذهب عتبة متوجهاً نحو اليمن فجاءه سبع وأكله. فصدّق دعاءه عليه.

■ ونقل نقلاً صحيحاً: «ان الرسول ﷺ لما فتح مكة أمر بلالاً رضي الله عنه بأن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها. وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وهم رؤساء قريش جلوس في فناء الكعبة. فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً اذ لم ير هذا اليوم.

وقال الحارث: أما وَجد محمدٌ مؤذناً غير هذا الغراب الأسود!

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، ولو تكلمتُ لأخْبَرَتْه هذه الحصباء.

فخرج عليهم النبي ﷺ وقال: لقد علمتُ الذي قلتُم وذكرَ مقالتهم.
فقال الحارث وعتاب: نشهدُ انكَ رسولُ الله، ما اطّلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول به»(٢٦)

* * *

فيامن لايؤمن بهذا النبي الكريم ويا أيها الملحد!
تأمل في هذين العنيدين من رؤساء قريش كيف رأيا نفسيهما مضطرَّين الى الايمان، بما سَمِعاه من إخبارٍ غيبي واحد. فما أفسد قلبك وانتَ تسمع ألوفَ المعجزات من امثالها وكلها ثابتة بطرق التواتر المعنوي ومع ذلك لايطمئن قلبُك. . . . فلنرجع الى الصدد.

* * *

■ وثبت أيضاً انه ﷺ «أخبر بالمال الذي تركه عمُّه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل (زوجه) بعد أن كتمه»(٢٧) «فلما أسر ببدر وطُلبَ منه الفداء فقال: لا مال لي. فقال له ﷺ ما صنع المال الذي وضعتَه عند أم الفضل. فقال: «ما علمه غيري وغيرُها. فأسلَمَ»(٢٨)
■ وثبت أيضاً: ان الساحر الخبيث لبيد اليهودي عمل سحراً ليؤذي النبي ﷺ فشدّ الشعر على مشط، ودسّه في بئر، فأمر الرسول الأكرم ﷺ علياً والصحابة، أن يذهبوا الى البئر الفلانية ويأتوا بأدوات السحر، فذهبوا وأتوا به، وكان كلما انحلَّت منه عقدةٌ وَجد الرسول ﷺ شيئاً من الخفة.(٢٩)
■ وثبت أيضاً، ان الرسول الأكرم ﷺ قال لجماعة فيها أبو هريرة وحذيفة: «ضرسُ أحدكم في النار مثلُ أحُد»(٣٠)، فأخبر عن ردّة واحد من تلك الجماعة وبيّن عاقبته الوخيمة. قال أبو هريرة: «فذهب القوم - يعني ماتوا - وبقيتُ أنا ورحل، فقُتل مرتداً يومَ اليمامة».(٣١)
وظهرت حقيقة خبر النبي ﷺ.
■ وثبت أيضاً «بقضية عُمير مع صفوان حين سارّه وشارطه على قتل النبي ﷺ» مقابل مبلغٍ عظيمٍ من المال «فلما جاء عُمير النبي ﷺ قاصداً لقتله، وأطلعه رسول الله ﷺ على الأمر والسر - ووضع يده على صدره - أسلم»(٣٢).
هذا وقد وقع كثيرٌ من أمثال هذه الأنباءات الغيبية الصادقة، وذكرتها كتب

الصحاح الستة المعروفة مع أسانيدها. واغلب ما ذكر في هذه الرسالة من الحوادث انما هو في حكم المتواتر المعنوي، وهي قطعية الثبوت ويقينية، فقد نقلها البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، على ما هو عليه أهل العلم والتحقيق، علماً أنها بُيّنت في كتب السنن الصحيحة الأخرى كالترمذي والنسائي وابي داود ومستدرك الحاكم ومسند أحمد بن حنبل ودلائل البيهقي مع اسانيدها.

فيا أيها الملحد الغافل! لا تلق الكلام جزافاً فتقول:

ان محمداً ﷺ رجل عاقل ذكي! ثم تَدع الامر هكذا وتنصرف فهذه الاخبار الصادقة التي تمس الامور الغيبية لا تخلو من أمرين اثنين؛ اما انك تقول: ان هذا الرجل له نظرٌ ثاقب وعبقرية واسعة جداً، أي له عينٌ بصيرة ترى الماضي والمستقبل معاً والعالم أجمع، فيعلم بها كل شيء وكل حادث، فاقطار الأرض والعالم كله شرقاً وغرباً تحت نظر شهوده، وله من الدهاء العظيم ما يمكنه ان يكشف جميع أمور الماضي والمستقبل. ! فهذه الحالة لا يمكن -كما ترى- أن تكون في بشر قط. واذا ما وقعت في أي فرد فهو اذاً خارق للعادة وله موهبة رفيعة منحها له ربُّ العالمين. . وهذا الامر بحد ذاته معجزة عظمى، أو ينبغي لك أن تؤمن بأن ذلك الشخص الكريم مأمور وتلميذ يتلقى الارشاد والتعليمات ممن يرى كل شيء، وله القدرة بالتصرف في كل شيء في الكون كله والازمان جميعاً، فكل شيء مكتوب في لوحه المحفوظ، يعلِّم منه تلميذه ماشاء متى شاء، فثبت اذاً ان محمداً ﷺ يتلقى الدرسَ من معلمه الأزلي سبحانه ويبلّغه كذلك.

■ وثبت ايضاً انه ﷺ حينما بعث خالداً بن الوليد ليحارب اكيدر - رئيس دومة الجندل - قال له: «انكَ ستجده يصيد البقر»[٣٣] -أي البقر الوحشي- وأخبره بأنه سيأتي به أسيراً من غير مقاومة منه. وذهب خالد وراه كما وصفه الرسول الكريم ﷺ فأخذه أسيراً وأتى به.

■ وثبت أيضاً انه ﷺ أعلم «قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم، وانها أبقت فيها كل اسم

(دومة الجندل) موضع بين مكة وبرك الغمامة أو بين الحجاز والشام

لله. فوجدوها كما قال[34]. وهي معلقة على الكعبة.

■ وثبت أيضا انه ﷺ أخبر عن ظهور الطاعون عند فتح بيت المقدس. ففي عهد عمر انتشر وباء الطاعون انتشاراً فظيعاً بحيث ان عدد الذين توفوا نتيجة الأمراض سبعون الف شخص خلال ثلاثة أيام.[35]

■ وثبت أيضا انه ﷺ أخبر عن وجود البصرة[36] وبغداد[37] قبل ان تعمُرا، وأخبر عن جبي خزائن الارض الى مدينة بغداد.

■ وأخبرهم ﷺ عن «قتالهم الترك»[38] والأمم التي حول بحر قزوين -الخزر- ثم بعد ذلك يدخل اكثر هؤلاء الأمم في دين الاسلام، وسيحكمون العرب بينهم حيث قال: «يوشكُ ان يَكثُر فيكم العجم يأكلون فيْئكُم ويضربون رقابكُم»[39]

■ وقال ﷺ: «هلاكُ أمتي على يدي أغيلمةٍ من قريش»[40] فأخبر عن يزيد والوليد وأمثالهم من الرؤساء الأشرار في الأمويين.

■ وأخبر ﷺ عن وقوع ردّة في بعض الاماكن كاليمامة[41].

■ وقال في غزوة الخندق: «ان قريشاً والأحزاب لايغزونني أبداً وانا اغزوهم»[42] وكان الأمر كما أخبر.

■ وثبت كذلك انه ﷺ أخبر قبل وفاته بشهرين: «بان عبداً خُيِّر فاختار ما عند الله»[43]

■ وقال في حق زيد بن صوحان: «يسبقُهُ عضوٌ الى الجنة، فقُطعت يدهُ في الجهاد»[44] واصبحت شهيدة، يوم نهاوند، فسبقته الى الجنة.

* * *

وهكذا فان جميع ما بحثناه من امور الغيب انما هو نوع واحد فقط من بين عشرة انواع من معجزاته ﷺ، فنحن لم نعرف بعدُ عُشر معشار هذا النوع، وقد بيّنا مجملاً اربعة أنواع من الاخبار الغيبي في الكلمة الخامسة والعشرين الخاصة باعجاز القرآن.

فتأمل الآن في هذا النوع، وضمّه الى الانواع الاربعة الاخرى التي اخبر عنها ﷺ بلسان القرآن، وانظر كيف يشكل برهاناً قاطعاً لامعاً على الرسالة بحيث يذعن من لم يختل عقلُه وقلبُه ويصدّق بأن هذا النبي الكريم ﷺ انما هو رسول يخبر عن الغيب من لدن خالق كل شيء وعلام الغيوب

هوامش على الاشارة السادسة

(١) صحيح الشفا ١/ ٣٤٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، فسارّها بشيء، فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك فقالت: سارّني النبي ﷺ فأخبرني انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت. ثم سارّني فأخبرني اني أول اهل بيته أتبعه فضحكت، رواه البخاري (٤/٢٤٨ و ٥/ ٢٦) ومسلم (٤/ ١٩٠٤ برقم ٢٤٥٠) والامام احمد في مسنده (٦/ ٧٧، ٢٤٠، ٢٨٢، ٢٨٣) والترمذي في المناقب

(٢) حسن الشفا (١/ ٣٤٣) في حديث رواه احمد وابن راهويه وابن ابي اسامة والبيهقي (على القاري ١/ ٧٠١) واورده الحافظ ابن كثير عن ابن مسعود في حديث طويل فيه قول ابن مسعود عند رؤيته جنازة ابي ذر قال: صدق رسول الله يرحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه، اسناده حسن ولم يخرجوه (البداية والنهاية ٥/ ٨-٩) واورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ١١٦ برقم ٤١٠٩).

وانظر الاصابة (٤/ ٦٤، ٣٨٧) والمجمع (٩/ ٣٣٢) قال الهيثمي: رواه أحمد من طريقين ورجال الطريق الاولى رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه باختصار اهـ.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس ورواه احمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ام حرام (صحيح الجامع الصغير ٦/ ٢٤ رقم ٦٦٢٠)

(٤) صحيح: عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت: أما أن رسول الله ﷺ حدثنا ان في ثقيف كذاباً ومبيراً، رواه احمد ومسلم (٤/ ١٩٧١) واللفظ له.

(٥) صحيح: قال الترمذي: ويقال الكذاب: المختار بن ابي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف (جامع الاصول ١٠/ ٩٩ رقم ٧٥٦٧) وورد ان هشام بن حسان قال: (أحصي ما قتل الحجاج صبراً فوجد مئة الف وعشرين الفاً) اخرجه الترمذي ت (٥٢١) قال المحقق: اسناده الى هشام بن حسان صحيح (جامع الاصول ١٠/ ٩٩ رقم ٧٥٦٨). والقتل صبراً: اي من غير حرب كمن يضرب عنقه أو يحبس الى أن يموت

(٦) صحيح: رواه احمد وابنه في زوائده (٤/ ٣٣٥) ورواه البخاري في التاريخ الصغير (١٣٩) والحاكم (٤/ ٤٢٢) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي ورواه الخطيب في المتفق (١/٩١) وابن عساكر (١٦/ ٢٢٣/ ٢) واورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٢١٨)، وقال: رواه احمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات ورواه ابي خيثمة في التاريخ (٢/ ١٠/ ١٠١) (مخطوط الرباط) وابن قانع في المعجم (ق ١٥/ ٢) واورده الالباني في الاحاديث الصحيحة (٨٧٨) وصححه فما أصاب لانه لم يذكر علة قادحة في سند الحديث يصار اليها

(٧) صحيح: روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة: ولوكان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس، وفي مسلم رواية اخرى مشابهة (وأخرجه البخاري في كتاب التفسير - سورة الجمعة (اللؤلؤ والمرجان ٣/ ١٨٣ برقم ١٦٥٠)

(٨) ضعيف جداً كما في سلسلة الاحاديث الضعيفة (١/ ٣٩٠-٣٩٢) وتذكرة الموضوعات (١١٢)، وقد رواه احمد بصيغة التمريض، ورواه الطيالسي مرفوعاً بلفظ مقارب، وللحديث شواهد كثيرة منها ماذكره الخطيب البغدادي في تأريخه والبيهقي في المدخل والترمذي وقال حسن، والامام احمد بلفظ آخر، وهو منطبق على الامام الشافعي كما قال احمد وغيره قال البيهقي وابن حجر: طرق هذا الحديث اذا ضمت بعضها الى بعض أفادت قوة. وعُلم ان للحديث اصلاً (باختصار من كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٥٣-٥٤)

(٩) صحيح: راجع الهامش (١٠) من الاشارة الخامسة

(١٠) حسن: رواه ابو داود والحاكم عن ابن عمر، (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤/ ١٥٠) وأشار ابن حجر الى تحسينه. كما في المشكاة (٣/ ٣٠٥)

(١١) في حديث رواه احمد (الفتح الرباني للساعاتي ٢٣ / ١٣٤) وقال الساعاتي: رواه الحاكم بزيادة في المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: الحكم وهاه ابن معين. قال الهيثمي: رواه عبدالله والبزار باختصار وابو يعلى أتم منه. وفي اسناد عبدالله وابي يعلى الحكم بن عبدالملك وهو ضعيف. وفي اسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٩ / ١٣٣) وعزاه التبريزي في المشكاة (٣ / ٢٤٦ رقم ٦٩٣) الى الامام احمد. قال المحقق انما رواه ابنه عبدالله في زوائد المسند ١ / ١٦٠ واسناده ضعيف. والحديث له شاهد بالمعنى نفسه وباسناد صحيح «عن ابي السوار قال: قال علي: ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي» اورده الامام احمد في (فضائل الصحابة) قال المحقق: اسناده صحيح (٢ / ٥٦٥ رقم ٩٥٢)

(١٢) ورد في حديث الرسول ﷺ: «انهم سيسمون الرافضة» جزء من حديث رواه الطبراني عن ابن عباس واسناده حسن (مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢) وورد الحديث بعدة الفاظ ومن عدة طرق. راجع المصدر السابق و(الفتح الرباني للساعاتي ٢٤ / ٢٠-٢١) والمسند بتحقيق احمد شاكر (٢ / ١٣٧ رقم ٨٨٠) وقال اسناده ضعيف من طريق حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب

(١٣) صحيح: روى الترمذي عن ابن عمر (٣٦٦٢ تحقيق احمد شاكر) وقال: هذا حديث غريب أي ضعيف وتبعه محقق جامع الاصول (١٠ / ٤٠ برقم ٧٥٠٣) فما خالفهم التوفيق. والحديث صحيح. صححه محقق الجامع الصغير (٨١٣) وفصل القول فيه في سلسلة الاحاديث الصحيحة (٤ : ٩) والحديث له شاهد من حديث ابي هريرة اورده الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٣٧) وقال: رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن

(١٤) صحيح: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله...» الحديث رواه البخاري (٥ / ١٧١) في المغازي باب غزوة خيبر، وفي الجهاد باب دعاء النبي ﷺ الى الاسلام والنبوة، وباب فضل من أسلم على يديه رجل، وفي فضائل اصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي بن ابي طالب. ورواه مسلم (برقم ٢٤٠٦) في فضائل الصحابة باب فضائل علي رضي الله عنه، ورواه احمد (٥ / ٣٣٣) كلهم من حديث سهل بن سعد. ورواه البخاري (٧ / ٣٦٦) ومسلم (برقم ١٨٠٧) واحمد (٤ / ٥٢) عن سلمة بن الاكوع

(١٥) ضعيف: ذكر السيوطي في (الدرر المنتثرة ١١٨): «ان علياً حمل باب خيبر» اخرجه الحاكم من طريق عن جابر بلفظ: «ان علياً لما انتهى الى الحصن اجتذب احد ابوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعد سبعون رجلاً، فكان جهدهم ان اعادوا الباب». قال السيوطي: واخرجه ابن اسحق في سيرته عن ابي رافع: «وان سبعة لم يقلبوه» اهـ قال رافع - مولى رسول الله ﷺ - راوي الحديث: «فلقد رأيتني في نفر معي وانا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه» وقد رويت روايات اخرى كثيرة لاتخلو من ضعف. راجع (البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ١٨٩-١٩٠)، وكشف الخفاء (١١٦٨)

(١٦) صحيح: رواه احمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي عن ابي هريرة (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦ / ١٧٤ رقم ٧٢٩٤)

(١٧) صحيح النسب (١ / ٣٣٩): رواه مسلم عن أم سلمة بلفظ «تقتل عماراً الفئة الباغية» (٤ / ٢٢٣٦) ورواه ايضاً عن ام سلمة بلفظ: «تقتلك الفئة الباغية» (٤ / ٢٢٣٦ برقم ٢٩١٦) كتاب الفتن واشراط الساعة. ورواه أحمد عن ابي سعيد الخدري عن ابي قتادة بنفس هذا اللفظ (الفتح الرباني للساعاتي ٢٢ / ٣٣٠) وروى البخاري هذا الحديث بغير الالفاظ السابقة في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد، وفي كتاب الجهاد: (باب مسح الغبار عن الرأس ١ / ١٢٢) وقد أورده السيوطي في الاحاديث المتواترة عن قرابة ثلاثين صحابيا (الفتح الرباني للساعاتي ٢٣ / ١٤٣) وانظر النظم المتناثر في الحديث المتواتر (١٢٦)

(١٨)صحيح في حديث رواه البخاري (٤/ ٢٣٨) ومسلم (٤/ ٢٢١٨) والترمذي وغيرهم عن حذيفة قال ... [illegible] ... أمير المؤمنين ... [illegible]
(١٩) رواه البيهقي وصححه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (علي القاري ١/ ٧٠٤

الخفاجي ٣/ ٢١٨) وأورده الحافظ في الإصابة (٢٥٧٣/٢، ٩٣-٩٤) وعزاه للبيهقي في الدلائل. وخرجه الحاكم (٤/ ٢٨٢) وسكت عنه هو والذهبي.
(٢٠) رواه البيهقي (علي القاري ١/ ٧٠٣) وأورده الحافظ في الإصابة برقم (٤/ ٣٠١)
(٢١) الشفا (١/ ٣٤٤) انظر الإصابة أيضا
(٢٢)صحيح . رواه البخاري ٢/ ٢٥٤، ومسلم (٤/ ٢٢٣٦-٢٢٣٧) [illegible] والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (تحفة الأحوذي ٦/ ٤٦٢-٤٦٣) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢٣)صحيح . رواه البيهقي (الخفاجي ٣/ ٢١١ علي القاري ١/ ٧٠٠) وعن دحية قال: قال رسول الله ﷺ: اذهبوا إلى صاحبكم فأخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة يعني كسرى رواه أبو نعيم (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٧٥ قال المحقق حديث صحيح) (سلسلة الأحاديث الصحيحة ت ١٤٢٧)

(٢٤)صحيح أصل الحديث رواه البخاري (٥/ ١٨٤-١٨٥) وفي تفسير [illegible] ومسلم (برقم ٢٤٩٤) في فضائل الصحابة، وأبو داود والترمذي وأحمد (١/ ٨٠) من حديث علي
(٢٥) في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن إسحق من طرق صحيحة مسندة (الخفاجي ٣/ ٣٩ علي القاري ١/ ٦٦٤) وورد في كنز العمال (٤٣٨-٤٣٩) وعزاه مصنفه إلى ابن عساكر ... [illegible] وضع شرطا خلاصته أن ما عزاه إلى ابن عساكر فهو من قبيل الضعيف. (١/ ١٠) وقال السيوطي في الخصائص (١/ ٣٦٦) أخرجه ابن إسحاق وأبو نعيم من طرق أخرى مرسلة
(٢٦) (الخفاجي ٣/ ٢١٩-٢٢٠) الشطر الأول أورده الحافظ ابن حجر في [illegible] (٤٣٦٦) أما الحوار بين [illegible] قريش فقد عزاه محقق زاد المعاد (٣/ ٤٠٩-٤١٠) إلى ابن هشام (٢/ ٤١٣)
(٢٧) رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة بسند صحيح (الخفاجي ٣/ ٢٠٦ وعلي القاري ١/ ٦٩٩) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٥) رواه أحمد [illegible] وبقية رجاله ثقات
(٢٨) الشفا (١/ ٣٤٣)، (الخفاجي ٣/ ٢٠٧)
(٢٩)صحيح أصل الحديث رواه البخاري (٤/ ١٤٨)، كتاب [illegible] وكتاب الأدب، ورواه مسلم (٤/ ١٧١٩-١٧٢٠ برقم ٢١٨٩) ورواه ابن ماجه [illegible] (٣٥٤٥) في كتاب [illegible] (٤٥) ورواه أحمد (٤/ ٣٦٧) عن زيد بن [illegible] (٥٧، ٦٣، ٩٧) عن عائشة [illegible] مختلفة [illegible] تعليقات محقق المشكاة على الحديث (٣/ ١٧٤ برقم ٥٨٩٣)
(٣٠) الشفا (١/ ٣٤٢) رواه الطبراني عن [illegible] بسند صحيح (الخفاجي ٣/ ٢٠٣) [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] في مجمعه (١/ ٢١٩-٢٩٠) [illegible] صعيف وفي المجمع أيضا (١/ ٢٩٠) [illegible] قال الهيثمي [illegible] الطبراني [illegible] وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [illegible] الكافر [illegible] مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤/ ٢١٨٩) وانظر المشكاة (٣/ ١٠٣)
(٣١) الشفا (١/ ٣٤٢)
(٣٢) الشفا (١/ ٣٤٢-٣٤٣) وأصل الحديث في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٦-٢٨٧) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وللحديث شواهد أخرى في المجمع أيضا (٨/ ٢٨٤-٢٨٦) من حديث محمد بن جعفر بن الزبير، قال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلا

واسناده جيد. اهـ. وروى عن عروة بن الزبير باسناد حسن مرسل، أفاده الهيثمي. وانظر البداية والنهاية (٣/٣١٣).

(٣٣) الشفا (١/٣٤٤) كما رواه ابن اسحق والبيهقي (الخفاجي ٣/٢١٨) وفي زاد المعاد تحقيق الارناؤوط (٥/٣٨د - ٣٩د) قال المحقق: رواه ابن هشام (٢/٥٢٦) وابن كثير (٤/٣٠،

(٣٤) الشفا (١/٣٤٥): رواه البيهقي عن الزهري (الخفاجي ٣/٢٢٠) (على القارى ١/٧٠٦) (البداية والنهاية ٣/٩٦ - ٩٧).

(٣٥) وردت احاديث عديدة عن هلاك هذه الامة بالطاعون، انظر البخاري عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف (٧/١٦٨) ومسلم عنه (٤/١٧٤٠ برقم ٢٢١٩) ورواه أحمد ومالك (الفتح الرباني للساعاتي ٢٣/٨٦).

(٣٦)صحيح: في حديث عن انس ان رسول الله ﷺ قال: «يا أنس! ان الناس يمصرون امصارا، وان مصرا منها يقال له: البصرة» رواه ابو داود (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦/٢٦٨ برقم ٧٧٣٦ قال المحقق: صحيح) وفي المشكاة (برقم ٥٤٣٣): رواه ابو داود عن ابي بكرة قال المحقق: اسناده جيد.

(٣٧) وفي الشفا (١/٣٤٤) (تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد) رواه ابو نعيم عن جرير، والخطيب في تاريخه (على القارى ١/٧٠٣) وورده ابن كثير في البداية ١٠/١٠٢ من طرق قال عنها انها ضعيفة لا تصح.

(٣٨)صحيح (الشفا ١/٣٣٧) عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ... » الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦/١٧٣).

(٣٩)صحيح: الشفا (١/٣٤١): رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل (الخفاجي ٣/١٩٤) (على القارى ١/٦٩٢). قال الهيثمي في المجمع (٧/٣١٠): رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٤٠)صحيح: رواه البخاري (٤/٢٤٢) كتاب المناقب ورواه ايضاً بلفظ «هلكت» كتاب الفتن (٩/٦٠) عن ابي هريرة ورواه أحمد بهذا اللفظ وغيره (٢/٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٢٤، ٣٧٧، ٥٢٠، ٥٣٦، وفي ٤/٦٦ و٥/٣٨) ورواه الطيالسي (برقم ٢٥٠٨).

(٤١) روى البخاري (٤/٢٤٧) ومسلم (٤/١٧٨١ رقم ٢٢٧٤) عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شأنهما فأوحي الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي. فكان احدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة».

(٤٢) صحيح: عن سليمان بن صرد ان النبي ﷺ قال يوم الاحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا». اخرجه البخاري (٤/...) واحمد ٤/٢٦٢ وغيرها.

(٤٣)صحيح: في حديث رواه الشيخان والترمذي (٣/٣٠٦ - ٣٠٧، التاج). ففي البخاري في فضائل اصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ سدوا الابواب الا باب ابي بكر، وباب هجرة النبي ﷺ الى المدينة. وفي المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد. وفي مسلم (برقم ٢٣٨٢) وعند الترمذي من نفس الطريق وبغير لفظ ٣٦٦١ (تحقيق أحمد شاكر).

(٤٤) ضعيف: الشفا (١/٣٤٣) في حديث رواه ابن عدي والبيهقي مسنداً، ولفظ البيهقي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره ان ينظر الى رجل تسبقه بعض اجزائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان» وفي اسناده هديل بن بلال ضعفه البيهقي (على القارى ١/٧٠٢) (الخفاجي ٣/٢١٤) قال الهيثمي (٩/٣٩٨): رواه ابو يعلى وفيه من لم اعرفهم. وعزاه ابن حجر لأبي يعلى في المطالب العالية (٤/٩١ برقم ٤٠٤٧) قال المحقق: سكت عليه البوصيري.

الاشارة البليغة السابعة

نشير الى بضعة أمثلة من المعجزات النبوية التي تخص بركة الطعام، وثبتت بروايات صحيحة قاطعة وبالتواتر المعنوي. ونرى من الأنسب ان نقدّم بين يديها مقدمة.

المقدمة

ان الامثلة التي سترد حول معجزة بركة الطعام كل منها قد روي بطرق متعددة، بل ان قسما منها روي بستة عشر طريقا، وقد وقع معظم هذه الامثلة امام جماعة غفيرة من الصحابة الكرام المنزّهين عن الكذب والذين لهم المنزلة الرفيعة في الصدق والامانة.

مثال للتوضيح:

يروي احدهم انه: اكل سبعون رجلا من صاع وشبعوا جميعا. فالرجال السبعون يسمعون هذه الرواية التي يحكيها احدهم، ثم لا يخالفونه ولا ينكرون عليه، اي أنهم يصدّقونه بسكوتهم.

فالصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا في ذروة الصدق والحق حيث انهم عاشوا في خير القرون وهم محفوظون من الاغضاء على الباطل. فلو كان يرى احدهم شيئا ولو يسيراً من الكذب في اي كلام كان لما وسعه السكوت عليه قطعاً، بل كان يردّه حتماً.

لذا فالروايات التي نذكرها فضلا عن انها رويت بطرق متعددة فقد سكت عنها الآخرون تصديقاً بها، أي كأن الجماعة قد رووها فالساكت منهم كالناطق بها فهي اذن تفيد القطعية كالمتواتر المعنوي.

ويشهد التأريخ -والسيرة خاصة- أن الصحابة الكرام قد وقفوا أنفسهم بعد حفظ القرآن الكريم لحفظ الحديث الشريف، اي حفظ احواله ﷺ وافعاله واقواله، سواء منها المتعلقة بالاحكام الشرعية أم بالمعجزات، ولم

(الصاع) الذي يكال به، وهو اربعة امداد والمد مقدار ٨٧٥ غم

يهملوا -جزاهم الله خيراً- اية حركة مهما كانت صغيرة من سيرته المباركة، بل اعتنوا بها وبرواياتها، ودوّنوها في مدوّنات لديهم، ولا سيما العبادلة السبعة وبخاصة ترجمان القرآن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وهكذا حُفظت الاحاديث في عهد الصحابة الكرام حتى جاء كبار التابعين بعد ثلاثين أو أربعين سنة فتسلّموها غضةً طريةً منهم وحفظوها بكل امانة واخلاص. فكتبوها ونقلها عنهم بعد ذلك الائمة المجتهدون وألوف المحققين والمحدّثين وحفظوها بالكتابة والتدوين، ثم تسلّمها -بعد مضي مئتي سنة من الهجرة- اصحاب الكتب الستة الصحيحة المعروفة وفي مقدمتهم البخاري ومسلم، ثم جاء دور النقّاد واهل الجرح والتعديل، وبرز منهم متشددون -امثال ابن الجوزي- فميّزوا الاحاديث الموضوعة التي دسّها بعض الملاحدة وجهلة الناس عن الاحاديث الصحيحة. ثم اعقبهم علماء أفاضل ذوو تقوى وورع امثال جلال الدين السيوطي وهو العلاّمة الامام الذي تشرف بمحاورة الرسول ﷺ فتمثل له في اليقظة سبعين مرة -كما يصدّقه أهل الكشف من الاولياء الصالحين- فميّزوا جواهر الاحاديث الصحيحة من سائر الكلام والموضوعات.

وهكذا ترى ان الاحاديث - والمعجزات التي سنبحث عنها - قد انتقلت الينا سليمة صحيحة بعد ان تسلّمها مالا يعد ولا يحصى من الأيدي الأمينة «فالحمد لله، هذا من فضل ربي».

وعليه فلا ينبغي أن يخطر بالبال: كيف نعرف أن هذه الحوادث التي حدثت منذ مدة سحيقة قد ظلت مصونة سالمة من يد العبث؟

أمثلة حول معجزات بركة الطعام:

المثال الأول:

■ اتفقت الصحاح الستة، وفي مقدمتها البخاري ومسلم في حديث أنس رضي الله عنه «قال: كان النبي ﷺ عروساً بزينب، فعمدتْ أمي أمّ سُليم الى تمر وسمن وأقط، فصنعت حيساً فجعلته في تور فقالت: يأنس! اذهب بهذا الى رسول الله ﷺ فقل بعثتْ بهذا اليك امي، وهي تقرئك السلام، وتقول:

(التور) اناء كالقدح

ان هذا لك منا قليل يارسول الله! فذهبتُ فقلت، فقال: «ضعْهُ» ثم قال: «اذهب فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً» رجالاً سمّاهم «وادعُ مَن لقيتَ» فدعوتُ مَن سمّى ومَن لقيتُ فرجعتُ فإذا البيت غاص باهله، قيل لأنس: عددكم كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمئة. فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرةً عشرةً يأكلون منه، ويقول لهم: «اذكروا اسم الله، وليأكل كلُّ رجل مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة، ودخلت طائفة، حتى اكلوا كلهم قال لي: «ياأنس! ارفع» فرفعتُ، فما ادرى حين وضعتُ كان اكثر أم حين رفعتُ»[1]

المثال الثاني:

■ نزل النبي ﷺ ضيفاً عند ابي ايوب الانصاري فذات يوم «صنعَ لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زُهاء مايكفيهما. فقال له النبي ﷺ: ادعُ ثلاثين من أشراف الانصار! فدعاهم فأكلوا حتى تركوا. ثم قال: ادعُ ستين، فكان مثلُ ذلك، ثم قال: ادعُ سبعين فاكلوا حتى تركوه، وماخرج منهم أحدٌ حتى أسلم وبايع، قال ابو ايوب: فأكل من طعامي مئة وثمانون رجلاً»[2]

المثال الثالث:

■ «حديث سلمة بن الاكوع، وابو هريرة، وعمر بن الخطاب (وابو عمرة الانصاري) رضي الله عنهم، فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فدعا ببقية الازواد، فجاء الرجل بالحَثْية من الطعام، وفوق ذلك، واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر، فَجمعه على نِطَعٍ. قال سلمة: فحرزْته، كَرَبْضة العنز، ثم دعا الناس باوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاء الّا ملؤه، وبقي منه قدر ما جُعل واكثر، ولو ورده أهلُ الارض لكفاهم.»[3]

(الازواد): جمع زاد - (الحثية): ما يملأ اليدين - (نطع): بساط من ادم - (حرزته): قدرته - (الربضة): جلوس العنز.

المثال الرابع :

■ ثبت في الصحاح وفي مقدمتها البخاري ومسلم أن عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق قال: «كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومئة» في سفر «وذكر في الحديث أنه عُجن صاعٌ من طعام، وصُنعت شاةٌ فشويَ سواد بطنها قال: وايم الله مامن الثلاثين ومئة الآ وقد حزَّ لهُ حزَّةً من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون، وفضل في القصعتين، فحملته على البعير»[٤]

المثال الخامس :

ثبت في الصحاح أيضاً :

■ «حديث جابر في اطعامه ﷺ يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وان بُرمتنا لتَغُط كما هي وان عجيننا ليخبز»[٥]. وكان الرسول الأكرم ﷺ قد وضع في ذلك العجين والقدر من ماء فيه المبارك ودعا بالبركة.فيعلن جابر مقسما بالله معجزة البركة هذه في حضور الف من الصحابة مُظهراً علاقتهم بها.

فهذه الرواية قطعية وكأن الف رجل قد رواها.

المثال السادس :

■ وثبت في الصحاح أن ابا طلحة عمَّ خادم النبي ﷺ أنس رضي الله عنه يقول :

ان الرسول الاكرم ﷺ اطعَمَ مما أتى به أنسٌ تحت ابطه من قليل خبز شعير زهاء ثمانين رجلاً حتى شبعوا. وكان ﷺ أمر بأن يجعل ذلك الخبز ارباً ارباً، ودعا بالبركة، وان البيت ضاق بهم فكانوا يأكلون عشرة عشرة، ورجعوا كلهم شباعاً.[٦]

المثال السابع :

■ ثبت في صحيح مسلم والشفا وغيرهما ان جابراً الانصاري يقول: «ان رجلاً اتى النبي ﷺ يستطعمه، فاطعَمَه شطر وَسْق شعير، فما زال يأكل منه هو وامرأته وضيفُه حتى كالَه» ليعرفوا مانقصَ منه، فرأوا. أنه زالت منه البركة،

(سواد البطن): الكبد - (حز): قطع بالسكين.

(العناق): الانثى من اولاد المعز ولم يتم لها سنة - (برمتنا لتغط): اي قدرنا تغلي غلياناً.

(شطر وسق): نصف حمل.

وصار ينقص شيئاً فشيئاً. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال ﷺ: «لو لم تكلْه لأكلتم منه ولقام بكم»[٧]

المثال الثامن:

■ تبين الصحاح كالترمذي والنسائي والبيهقي وكتاب الشفاء «عن سمرة بن جندب: أتى النبي ﷺ بقصعةٍ فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون»[٨]

وبناء على ماذكرناه في المقدمة، هذه الواقعة الواردة في البركة ليست رواية سمرة فقط، بل كانه ممثلٌ عن تلك الجماعات التي أكلت من ذلك الطعام. فيعلن هذه الرواية بدلاً منهم.

المثال التاسع:

■ يروى رجال ثقاة كصاحب الشفاء وابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد وعلماء محققون: «عن ابي هريرة: أمرني النبي ﷺ ان ادعو له اهل الصفة» وهم فقراء المهاجرين الذين كان ينوف عددهم على مئة. والذين كانوا قد اتخذوا الصفّة في المسجد مأوىً لهم «فتتبّعتهم حتى جمعتُهم. فوُضعت بين ايدينا صحفةٌ، فأكلنا ماشئنا، وفرغنا، وهي مثلها حين وُضعت، الاّ أن فيها أثر الاصابع»[٩].

فابو هريرة يدلي بهذا الخبر باسم اصحاب الصفة مستنداً الى تصديقهم. فهي رواية قطعية اذا وكأن جميع اهل الصفة رووها. فهل يمكن ان يكون هذا الخبر خلاف الحق والصواب ثم لاينكر عليه اولئك الصادقون الكاملون ولايردّونه؟.

المثال العاشر:

■ ثبت برواية صحيحة أن الامام علياً رضي الله عنه قال: «جمع رسول الله ﷺ يوماً بني عبدالمطلب وكانوا أربعين، منهم قومٌ يأكلون الجذعة ويشربون الفرق» اي منهم من يأكل فرع الجمل ويشرب اربع اوقيات من الحليب «فصنع لهم مُدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو. ثم دعا بعسٍّ» اي اناء من خشب حليباً يكفي لثلاثة أو اربعة «فشربوا حتى رووا. وبقي كأنه لم يشرب»[١٠].

فهذا مثال واحد لمعجزة بركة الطعام وهو بقطعية شجاعة على رضي الله عنه وصدقه.

المثال الحادي عشر:

■ ثبت برواية صحيحة «في انكاح النبي ﷺ لعلي فاطمة أن النبي ﷺ امر بلالاً بقصعة من اربعة امدادٍ أو خمسة ويذبح جزوراً لوليمتها. قال: فاتيته بذلك فطعن في رأسها، ثم ادخل الناس رُفقة رفقة يأكلون منها، حتى فرغوا، وبقيت منها فضلةٌ، فبرّك فيها وأمر بحملها الى ازواجه، وقال: «كلن واطعمن مَن غشيكن»[11] حقاً! ان مثل هذا الزواج الميمون لحريٍّ بمثل هذه المعجزة في البركة.

المثال الثاني عشر:

■ روى جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين عن علي رضي الله عنه: «ان فاطمة طبخت قدراً لغدائهما ووجّهت علياً الى النبي ﷺ ليتغذى معهما. فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صفحةً صفحة ثم له ﷺ ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض، قالت: فأكلنا منها ما شاء الله»[12]

فعجباً من أمرك ايها الانسان لِمَ لا تصدّق بهذه المعجزة الباهرة تصديق شهود بعد ما سمعت ان رواتها من السلسلة الطاهرة، فحتى الشيطان نفسه لايجد سبيلاً لأنكارها!

المثال الثالث عشر:

■ روى الأئمة امثال ابي داود وأحمد وابن حنبل والبيهقي عن دُكَين الأحمسي بن سعيد المزين، وعن الصحابي الذي تشرف هو واخوته الستة بصحبة النبي ﷺ وهو نعمان بن مقرن الأحمسي المزين، ومن رواية جرير ومن طرق متعددة ان الرسول الأكرم ﷺ: «أمر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمئة راكب من أحمس. فقال: يا رسول الله ما هي الآ أصوعٌ. قال: اذهب، فذهب فزوّدهم منه. وكان قدر الفصيل الرابض من التمر، وبقي

(جزور): رأس من الابل ناقة أو جملاً سميت بها لأنها مما يجزر.
(اصوع): جمع صاع - (الفصيل): ولد الناقة الصغير.

بحاله»[١٣]

هكذا وقعت معجزة البركة هذه، وهي تتعلق باربعمئة رجل، لاسيما بعمر رضي الله عنه. فهؤلاء جميعاً هم الرواة لأن سكوتهم حتماً تصديق للرواية. فلا تقل انها خبر آحاد ثم تمضي الى شأنك فأمثال هذه الحوادث وان كانت خبر آحاد، الاّ انها تورث الطمأنينة في القلب لانها بمثابة التواتر المعنوي.

المثال الرابع عشر:

■ ثبت في الصحاح وفي مقدمتها البخاري ومسلم حديث جابر رضي الله عنه «في دَين أبيه، وقد كان بَذَل لغرماء أبيه أصلَ مالِهِ فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفافُ دَينهم، فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجدِّها -أي قطعها- وجعلها بيادر في أصولها، فمشى فيها ودعا، فأوفى منه جابر غُرماء ابيه وفَضَل مثل ما كانوا يجدُّون كل سنة، وفي رواية مثل ما اعطاهم، قال: وكان الغرماء يهودَ فعجبوا من ذلك»[١٤].

وهكذا فهذه المعجزة الباهرة في بركة الطعام ليست برواية يرويها جابر واشخاص معدودون فقط وانما هي متواترة من حيث المعنى يرويها جميع هؤلاء الرواة ممثلين لكلّ من تتعلق به هذه الرواية.

المثال الخامس عشر:

■ يروى العلماء المحققون رواية صحيحة، وفي مقدمتهم الأمام الترمذي والبيهقي، عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال: أصاب الناس مخمصةٌ في احدى الغزوات - وفي رواية في غزوة تبوك - «فقال لي رسول الله ﷺ: هل من شيء؟ قلتُ: نعم شيء من التمر في المزود» وفي رواية خمس عشرة تمرة «قال فأتني به، فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة. ثم قال ادعُ عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: خذ ما جئتَ به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبّه، فقبضتُ على أكثر مما جئتُ به، فأكلتُ منه وأطعمتُ حياة رسول الله ﷺ وحياة ابي بكر

(المزود): وعاء الزاد

وعسر الى أن قتل عثمان فانتهبَ مني فذهب. وفي رواية فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وَسق في سبيل الله»[١٥].

وهكذا، فان معجزة البركة التي يرويها ابو هريرة، وهو الذي تتلمذ على معلم الكون وسيده محمد ﷺ ولازم مدرسة الصفة وبزّ فيها بالحفظ بدعاء النبي له، فهذا الصحابي الجليل يروي هذه الرواية في مجمع من الناس - كغزوة تبوك - فلا بد ان تكون هذه الرواية متواترة من حيث المعنى، وقوية متينة بقوة الجيش كله اي كما لو كان الجيش كله يرويها.

المثال السادس عشر:

■ ثبت في صحيح البخاري والصحاح الاخرى: ان الجوع اصاب ابا هريرة، «فاستَتْبَعه النبي ﷺ، فوجد لبناً في قدح قد أهدي اليه، وأمره أن يدعو أهل الصفة. قال: فقلتُ ما هذا اللبن فيهم، كنت أحقَّ أن اصيب منه شربةً أتقوى بها، فدعوتُهم»، وكانوا ينوفون على المئة، فأمر ﷺ أن اسقيهم «فجعلتُ أُعطي الرجل فيشرب حتى يروى. ثم يأخذه الآخر حتى رَوى جميعهم قال: فأخذ النبي ﷺ القدحَ وقال: بقيتُ انا وانت، اقعد فاشرب. فشربت ثم قال: اشرب. وما زال يقولها وأشربُ حتى قُلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً. فأخذ القدح وحمد الله وسمّى وشرب الفضلة»[١٦].

فهنيئاً لك مئة الف مرة يا رسول الله.

فهذه المعجزة السليمة من شوائب الشك والخالصة اللطيفة كاللبن قد روتها كتب الصحاح وفي مقدمتها صحيح الامام البخاري الذي كان حافظاً لخمسمئة الف حديث. فهي اذن رواية لا ريب فيها قط وصادقة وثابتة كأنها مشهودة رأي العين، مثلما رواها تلميذ المدرسة الأحمدية المقدسة مدرسة الصفّة ذلك التلميذ الموثوق الحافظ ابو هريرة، رواها باسم اصحاب الصفة جميعهم وأشهدهم عليها.

فالذي لايتلقى هذا الخبر تلقياً كأنه يشاهده، فهو إما فاسد القلب أو فاقد العقل.

تُرى هل من الممكن أن صحابياً جليلاً مثل ابى هريرة الصادق الذي بذل حياته في حفظ الحديث النبوي، أن يحط من قيمة الحديث فيورد ما يثير الشك والشبهة ويقول ما يخالف الحق والواقع، وهو الذي سمع قول النبى

ﷺ: «مَنْ كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» حاشاه عن ذلك.

فيارب بحرمة بركة هذا الرسول الكريم هب لنا البركة فيما منحتنا من ارزاق مادية ومعنوية.

نكتة مهمة

بديهي انه كلما اجتمعت اشياء واهية ضعيفة تقوّت. واذا أُبرمت خيوط رفيعة واتحدت صارت حبلاً، واذا اتحدت حبالٌ قوية لايمكن لأحد أن يقطعها. وقد اوردنا هنا ستة عشر مثالاً لقسم من خمسة عشر قسماً من نوع معجزة البركة التي تمثل نوعاً من خمسة عشر نوعاً من انواع المعجزات. وكل مثال اوردناه قويٌ في حد ذاته وكاف وحده لاثبات النبوة. ولو فرضنا - فرضاً محالاً - بأن بعضاً منها ضعيف غير قوي في ذاته، فلا يجوز الحكم عليه بأن المثال لايقوى دليلاً على المعجزة لأنه يتقوى بأتفاقه مع القوى.

ثم ان اجتماع هذه الامثلة الستة عشر التي هي في درجة التواتر المعنوي يدل على معجزة كبرى قوية، ولو مُزجت هذه المعجزة مع سائر الاقسام الاربعة عشر من معجزاته ﷺ حول البركة التي لم تذكر هنا، لغدت معجزة هائلة كالحبال المتحدة التي لايمكن لأحد أن يفصمها. ثم انك لو اضفت هذه المعجزة الهائلة القوية الى سائر انواع المعجزات الاربع عشرة لرأيت برهاناً قوياً لايتزلزل، برهاناً باهراً على النبوة الصادقة.

وهكذا فعماد النبوة الأحمدية عماد كالطود الاشم تتشكل من مجموعة هذه المعجزات.

ولاشك انك ادركت الآن - ايها القارىء العزيز - مدى سخافة وبلاهة من يرى هذا البناء الشامخ العامر للنبوة ثم يظن أنها تهوى بشبهات واهية ترد الى ظنه من جزئيات الامثلة.

نعم! ان تلك المعجزات التي تخص البركة في الطعام تدل دلالة قاطعة على نبوة محمد ﷺ وانه مأمور محبوب لدى ذلك الرحيم الكريم الذي يصنع الرزق ويخلقه. وهو عبد كريم لديه بحيث يبعث له مستضافات مملوءة بانواع من الرزق - خلافاً للمعتاد - من العدم ومن خزائن الغيب التي لاتنفد.

ومعلوم أن الجزيرة العربية شحيحة بالماء والزراعة بحيث ان اهاليها- لاسيما في صدر الاسلام - كانوا في ضيق من المعيشة وشدة منها وشحة من الماء والتعرض للعطش. فبناء على هذه الحكمة، فقد ظهرت اهم المعجزات الاحمدية الباهرة ظهوراً من الطعام والماء.

فهذه المعجزات انما هي بمثابة اكرام رباني، واحسان الهي، وضيافة رحمانية للرسول الكريم ﷺ، يكرمه حسب الحاجة، فهي اكرام اكثر من ان تكون دليلاً على النبوة. لأن الذين رأوا هذه المعجزات، كانوا مؤمنين ايماناً قوياً بالنبوة فالمعجزة كلما ظهرت يتزايد الايمان ويتقوى، وهكذا فتزيدهم هذه المعجزات نوراً على نور ايمانهم.

هوامش على الاشارة السابعة

(١)صحيح: رواه البخاري (٤/٢٣٤ - ٢٣٥) ومسلم (٢٠٤٥) وغيرهما.

(٢) الشفا (١/ ٢٩٢) رواه الطبراني وفي اسناده من لم اعرفهم (المجمع ٣٠٣/٨) وزاد الخفاجي نسبته الى البيهقي (٣٣/٣) وعلى القاري (١/٦٠٤).

(٣)صحيح: رواه البخاري في الشركة: باب الشركة في الطعام، وفي الجهاد: باب حمل الزاد في الغزو، ومسلم (برقم ١٧٢٩). وحديث ابي هريرة وعمر رضي الله عنهما رواه مسلم برقم (٢٧)

(٤)صحيح: رواه البخاري في الهبة: باب قبول الهدية من المشركين، وفي البيوع: باب الشراء والبيع مع المشركين واهل الحرب، وفي الاطعمة: باب من اكل حتى شبع. ومسلم (٢٠٥٧) واحمد (الفتح الرباني للساعاتي ٥٥/٢٢).

(٥): صحيح: رواه البخاري في المغازي: باب غزوة الخندق، وفي الجهاد: باب من تكلم بالفارسية، ومسلم (٣٠٢٩).

(٦) عن انس قال: قال ابو طلحة لأم سُليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت اقراصاً من شعير ثم ذهبت الى رسول الله ﷺ فقال: «ارسلك ابو طلحة؟» قلت: نعم، فقال لمن معه: «قوموا» فجئت ابا طلحة فأخبرته. فقال ابو طلحة: يا ام سُليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس، وليس عندنا مانطعمهم. قالت: الله ورسوله اعلم. فدخل رسول الله ﷺ فقال: «هلمي ما عندك يا أم سُليم» فأتت بذلك الخبز، فامر به ففت وعصرت عليه عكة لها فادمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله ان يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى اكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون. (البخاري ٤/٢٣٤ - ٢٣٥ ومسلم كتاب الاشربة ٢٠٤٠ والسياق للبخاري) ورواه أحمد (الفتح الرباني للساعاتي ٥٩/٢٢) وغيرهم.

(٧)صحيح: رواه مسلم (٢٢٨١).

(٨)صحيح: «عن سمرة كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل تقوم عشرة وتقعد عشرة، فقلنا: فما كانت تمد؟ قال: من اي شيء تعجب؟ ما كانت تمد الآ من ههنا وأشار

بيده الى السماء» رواه الترمذي ٢٦٢٩ «تحقيق أحمد شاكر» وقال: هذا حديث حسن صحيح، واقره محقق جامع الاصول (٨٩١٣) والحديث اخرجه الدارمي برقم (١٥٧/٣٢ - ٣٣). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأقرهما محقق المشكاة (٥٩٢٨).

(٩) الشفا (٢٩٣/١) (على القاري ٦٠٦/١) معنى الحديث ورد في المجمع للهيثمي (٣٠٨/٨) عن ابي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات، واورد حديثا بمعناه من طريقين (٣٠٥/٨) عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه. قال الهيثمي في الاول: عند ابن ماجه طرف من آخره، رواه أحمد ورجاله موثقون. وقال في الرواية الثانية، رواه كله الطبراني باسنادين واسناده حسن.

(١٠) الشفا (٢٩٣/١). رواه أحمد والبيهقي بسند جيد (الخفاجي ٣٦/٣) واورده الهيثمي في المجمع (٣٠٢/٨ - ٣٠٣) وقال: رواه البزار واللفظ له واحمد باختصار والطبراني في الاوسط باختصار ايضا ورجال أحمد واحد اسنادي البزار رجال الصحيح، غير شريك وهو ثقة. اهـ. أقول: وشريك القاضي فيه كلام ينبغي ان تكون العبارة أدق فهو صدوق يخطىء. واورد الهيثمي حديثا نحوه (٣٠٢/٨) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. والحديث بنفس المعنى في «فضائل الصحابة» ١٢٢٠ واسناده صحيح كما قال المحقق.

(١١) الشفا (٢٩٧/١).

(١٢) الشفا (٢٩٤/١). رواه ابن سعد منقطعاً لأن محمداً ووالده لم يدركا علياً، فقول الحلبي رواية الباقر عن علي مرسلة فيه نوع مسامحة (على القاري ٦٠٨/١)، وللحديث شاهد بمعناه أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٧٣/٤ برقم ٤٠٠١) وحسّنه المحقق، وفي سنده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ، وحديثه حسنٌ بالمتابعات، فلا يخشى من سوء حفظه، وصحيح اذا كان عن العبادلة الثلاثة لأنه حدّث قبل احتراق كتبه، كما صرح بذلك الحافظ وغيره وهذه منها فعند ابي يعلى عن عبدالله بن صالح عن ابن لهيعة فحديث جابر صحيح.

(١٣) اورده الامام أحمد بسياق طويل عن دُكين. قال الساعاتي: رواه ابو داود، قال المنذري واخرجه البخاري في التأريخ الكبير. قال الساعاتي: وليس لدكين في مسند الامام أحمد سوى هذا الحديث. ورواه الامام أحمد من اربعة طرق اجمعها ما ذكرته هنا وسنده جيد، وسكت عنه ابو داود والمنذري (الفتح الرباني ٥٨/٢٢ باختصار) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح (٣٠٤/٨).

(١٤) صحيح: رواه البخاري (٢٣٥/٤) واحمد (الفتح الرباني ٦٠/٢٢). الشفا (٢٩٥/١).

(١٥) الشفا (٢٩٥/١) واورده الحافظ ابن كثير في تأريخه وعزاه للامام أحمد. ورواه الترمذي وقال: حسن غريب من هذا الوجه (الفتح الرباني ٥٦/٢٢) واورده التبريزي في المشكاة (١٩١/٣ برقم ٥٩٣٣) وقال: رواه الترمذي، قال المحقق: وضعفه بقوله غريب. وحسّنه محقق جامع الاصول، والحديث عند الترمذي (برقم ٣٨٣٨ تحقيق أحمد شاكر)، وانظر جمع الفوائد (٤٨١/١٢).

(١٦) صحيح: رواه البخاري في الاستئذان: باب اذا دعي الرجل فجاء هل يستأذن، وفي الرقاق: باب كيف كان عيش النبي ﷺ واصحابه وتخليهم عن الدنيا، والحديث عند الترمذي (٢٤٧٩ - تحقيق أحمد شاكر) باختلاف يسير في اوله وليس عندها ذكر للمئة رجل. والله اعلم.

الإشارة الثامنة

تبين قسماً من المعجزات التي تتعلق بالماء

المقدمة

ان الحوادث التي تقع بين اظهر الناس، اذا ما نُقلت بطريق الآحاد ولم تُكذَّب فهي دلالة على صدق وقوعها، لان: فطرة الانسان مجبولة على ان يفضح الكذب ويرفضه. ولا سيما اولئك الذين لا يسكتون على الكذب وهم الصحب الكرام، وبخاصة اذا كانت الاحداث تتعلق بالرسول الاكرم ﷺ، وبالاخص ان الرواة هم من مشاهير الصحابة. فيكون راوي ذلك الخبر الواحد حينذاك كأنه ممثل لتلك الجماعة التي شاهَدَتْه شهود عيان. علماً ان كل مثال من امثلة المعجزات المتعلقة بالماء التي سنبحث عنها قد رُوي بطرق متعددة، عن كثير من الصحابة الكرام وتناوله ائمة التابعين وعلماؤهم بالحفظ وسلّموا كل رواية منها بأمانة بالغة الى الذين يأتون من بعدهم في العصور الاخرى، فتلقاه العصر الذي بعدهم بجدّ وامانة ونقلوه بدورهم الى علماء العصر التالي، وهكذا تعاقبت عليه الوف العلماء الاجلاء في كل عصر وكل طبقة، حتى وصل الى يومنا هذا، فضلاً عن ان كتباً للاحاديث قد دوّنت في عصر النبوة وسُلّمت من يد الى يد حتى وصلت الى ايدي ائمة الحديث من امثال البخاري ومسلم فَوعوها وعياً كاملاً، وميّزوا هذه الروايات حسب مراتبها، وقاموا بجمع كل ما هو صحيح خالٍ من شائبة الشبهة في صحاحهم، فارشدونا الى الصواب جزاهم الله خيراً.

مثال: ان فوران الماء من اصابع الرسول ﷺ، وسقيه كثيراً من الناس، حادث متواتر. نقلته جماعة غفيرة لايمكن تواطؤهم على الكذب بل محال كذبهم. فهذه المعجزة اذاً ثابتة قطعاً، فضلاً عن انها قد تكررت ثلاث مرات امام ثلاث جماعات عظيمة.

فقد روت الحادثة برواية صحيحة. جماعة من مشاهير الصحابة، وفي مقدمتهم أنس «خادم الرسول ﷺ» وجابر وابن مسعود ونقلها الينا - بسلسلة

من الطرق - ائمةُ الحديث امثال البخاري ومسلم والامام مالك وابن شُعيب وقتادة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وسنذكر تسعة امثلة فحسب من المعجزات المتعلقة بالماء.

المثال الاول:

■ ثبت في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما: «عن انس بن مالك قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه». «قال: أُتي النبي ﷺ باناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الاناء، فجعل الماء ينبع من بين اصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة، قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة»[1].

فأنت ترى ان انساً رضي الله عنه يخبر عن هذه الحادثة بوصفه ممثلا عن ثلاثمائة رجل. فهل يمكن الاّ يشترك اولئك الثلاثمئة في هذا الخبر معنىً وهل يمكن الا يكذبوه -حاشاه- إن لم تكن هذه الحادثة قد حدثت فعلاً؟.

المثال الثاني:

■ ثبت في الصحاح وفي مقدمتها: «البخاري ومسلم»: «عن سالم بن ابي الجعد عن جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوةٌ، فتوضأ، فجهش الناس نحوهُ، فقال: مالكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولانشرب، الاّ ما بين يديك. قال جابر: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يثور من بين اصابعه، كامثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قال سالم: قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: لوكنا مائة الف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[2] فترى ان رواة هذه المعجزة يبلغون الفاً وخمسمائة رجل من حيث المعنى لأن الانسان مفطور على ان يفضح الكذب ويقول للكذب هذا كذب، فكيف بهؤلاء الصحابة الكرام الذين ضحوا

(الزوراء): مكان مرتفع قريب من المسجد النبوي، وثمة سوقها.

(الركوة): اناء من جلد يستعمل للماء

بارواحهم واموالهم وآبائهم وابنائهم واقوامهم وقبائلهم في سبيل الحق والصدق؟ فضلاً عن انه محال ان يسكتوا على الكذب بعدما سمعوا التهديد المرعب في الحديث الشريف «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فما داموا لم يعترضوا على الخبر بل قبلوه ورضوا به، فقد أصبحوا اذاً مشتركين في الرواية ومصدِّقين لها من حيث المعنى

المثال الثالث:

■ تروى الكتب الصحاح «ومنها البخارى ومسلم»[٣] في ذكر غزوة «بُواطٍ» أن جابراً قال: «قال لى رسولُ الله ﷺ: ياجابر نادِ الوضوء» فقيلَ لايوجد لدينا الماء. فأراد ماء يسيراً «فأُتي به النبي ﷺ فغمزه، وتكلّم بشيء لاادري ماهو. وقال: نادِ بجفنة الركب، فاتيتُ فوضعتها بين يديه، وذكر ان النبي ﷺ بَسَط يده في الجفنة وفرّق اصابعه. وصبَّ جابرٌ عليه وقال: بسم الله! قال: فرأيت الماء يفور من بين اصابعه، ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء، فاستقوا حتى رووا. فقلت هل بقي احدٌ له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى»

فهذه المعجزة الباهرة متواترة من حيث المعنى، لأنه بما أن جابراً كان في مقدمة المشاهدين فمن حقه اذاً ان يتكلم هو فيها، ويعلنها على لسان القوم، لانه هو الذي كان يخدم الرسول ﷺ آنذاك.

■ وفي رواية ابن مسعود في الصحيح: «ولقد رأيتُ الماء ينبعُ من بين اصابع رسول الله ﷺ»[٤]

ياترى اذا روى صحابة ثقاة اجلاء من امثال انس وجابر وابن مسعود وقال كل منهم: «رأيت»، أمن الممكن عدم رؤيتهم؟

وبعد. وحّد هذه الامثلة معاً، لترى مدى قوة هذه المعجزة الباهرة، لأن الطرق الثلاثة اذا ماتوحدت فستثبت الرواية اثباتاً قاطعاً بالتواتر المعنوي، من ان الماء كان يفور من أصابعه. فهذه المعجزة أعظم وأسمى من تفجير موسى عليه السلام الماء من اثنتي عشر عيناً من الحجر لأن انفجار الماء من الحجر

(بواط): هي ثاني غزواته ﷺ، وهي اسم لجبال بقرب الينبع.

(غمزه): اي وضع يده فيها - (الجفنة): كالقصعة لفظاً ومعنى وهي التي تشبع عشرة.

شيء ممكن له نظيره حسب العادة، ولكن لا نظير لفوران الماء من اللحم والعظم كالكوثر السلسبيل.

المثال الرابع:

■ روى الامام مالك في كتابه القيّم (الموطأ)[5] عن أجلة الصحابة «عن معاذ بن جبل في قصة غزوة «تبوك» انهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك» فأمر رسول الله ﷺ أن: اجمعوا من مائها «فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء. ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه واعاده فيها فَجَرت بماء كثير فاستقى الناس» حتى قال في حديث ابن اسحاق «فانخرق من الماء ماله حِسّ كحس الصواعق. ثم قال: يوشِك يامعاذ إن طالت بك حياةٌ ان ترى ما هاهنا قد مليء جناناً» وكذلك كان.

المثال الخامس:

■ روى البخاري عن البراء، ومسلم عن سلمة بن الاكوع، وعن طرق اخرى في كتب الصحاح الاخرى «كنا يوم الحديبية اربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استسقينا حتى روينا ورَوَت أو صَدَرَت ركائبُنا»[6] قال البراء: فأمر ﷺ بدلو من مائها، فأتينا بها، فالقى ريقه من فمه المبارك ودعا، ثم بعد ذلك أفرغ الدلو في البئر ففارت وارتفعت ملء فمها فأرووا أنفسهم وركابهم.

المثال السادس

■ روى ائمة الحديث، امثال مسلم وابن جرير الطبري وغيرهما عن ابي قتادة انه قال: «ان النبي ﷺ خرج بهم ممَداً لأهل مؤتة عندما بلغه قَتْل الامراء»(★) وكانت لديّ مِيضأة. فقال الرسول ﷺ: «احفظ على مِيضأتك فانه سيكون لها نبأ» وبعد ذلك أخذ العطش يشتد بنا وكنا اثنين وسبعين - وفي

(بضّ الماء): اذا سال سيلاناً قليلاً - (الشراك): سير النعل، والتشبيه لقلة الماء.

(★) وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة، وذلك انه ﷺ أرسل بكتاب الى ملك بُصرى فقتل رسوله في مؤته، ولم يقتل رسولٌ له قبله، فعقد للسرية لواء دفعه لزيد واوصاهم وقال: ان قتل زيد فأميركم جعفر فان قتل جعفر فأميركم عبدالله بن رواحة. (الميضأة): آلة الوضوء (الخفاجي ٣ / ٢٦) - المترجم -.

رواية الطبري كنا زهاء ثلاثمائة - فقال الرسول الكريم ﷺ: «ائت ميضأتك. فأتيتُها فأخَذَها ووضع فمه في فمها ولم ادر أتنفسَ فيها أم لا؟ ثم بعد ذلك جاء أثنان وسبعون رجلاً فشربوا منها وملأوا اوعيتهم ثم بعد ذلك أخذتها - أي الميضأة - فبقيت مثل ماكان»[٧] -فتأمل في هذه المعجزة الباهرة وقل:

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلىٰ آله بعدد قطرات الماء.

المثال السابع:

■ روى البخاري ومسلم عن عمران بن حُصين حين اصاب النبي ﷺ واصحابه عطشٌ في بعض اسفارهم «كنا في سفرمع النبي ﷺ ... فاشتكىٰ اليه الناس من العطش فنزل.... ودعا عليا فقال: اذهبا فابتغيا الماء، فانطلقا فتلقيا امرأة بين مُزادتين... فجاءا بها الى النبي ﷺ... ودعا النبي ﷺ باناء ففرّغ فيه من افواه المزادتين، ونودي في الناس اسقوا فاستقوا... وانه ليُخيَّل الينا انها اشدّ ملأة منها حين ابتدأ فيها».

وقال النبي ﷺ: اجمعوا لها فجمعوا لها... حتىٰ جمعوا لها طعاماً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها... قال لها: تعلمين مارُزئنا من مائكِ شيئاً ولكن الله هو الذي أسقانا... الى اخر الحديث»[٨]

المثال الثامن:

■ روى ابن خزيمة حديث «عمر رضي الله عنه في جيش العسرة، وذكر مااصابهم من العطش حتىٰ ان الرجل لينحُر بعيرَه فيعصر فَرْثَه فيشرَبُه، فرغب ابو بكر رضي الله عنه الىٰ النبي ﷺ في الدعاء. فرفع يديه فلم يُرجعهما حتىٰ قالت السماء فانسكبت فملأوا مامعهم من آنية ولم تجاوز العسكر»[٩]

فهذه معجزة احمدية محضة لادخل للمصادفة فيها قط.

المثال التاسع:

■ عن عمرو بن شعيب (حفيد عبدالله بن عمرو بن العاص) الذي وثّقه الائمة الاربعة من اصحاب السنن في تخريجه الاحاديث: «أن ابا طالب قال للنبي ﷺ وهو رَديفُه بذي المجاز: عطشتُ وليس عندي ماء. فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الارض فخرج الماء، فقال اشرب»[١٠]

(قالت): غيّمت - (رديفه): راكب خلفه. (ذي المجاز): سوق عند عرفة.

قال احد العلماء المحققين: هذه الحادثة كانت قبل النبوة لذا فهي من الارهاصات. وتفجّر عينُ عَرَفة بعد مضي الف سنة يُعدّ من الاكرامات الالهية للرسول الكريم ﷺ.

* * *

وهكذا فالمعجزات المتعلقة بالماء، وان لم تبلغ تسعين مثالاً من امثال هذه التسعة الاّ انها رويت بتسعين وجهاً.

والامثلة السبعة الاولى قوية، وقطعية، كالتواتر المعنوي.

اما المثالان الاخيران - وان لم تكن طرقهما قوية ومتعددة ورواتهما كثيرة الاّ ان اصحاب الحديث كالامام البيهقي والحاكم رووا عن عمر رضي الله عنه معجزة ثانية حول السحاب تأييداً للمعجزة في المثال الثامن التي رواها سيدنا عمر. والرواية هي أنه: «اصاب الناس في بعض مغازيه ﷺ عطش فسأله عمر الدعاء، فدعا، فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت»[11] وكأن السحاب كان مأموراً لأن يروى الجيش وحده - حيث امطر حسب الحاجة - فكما تؤيد هذه الحادثة المثال الثامن وتقويّه، وتبينه رواية ثابتة قاطعة. فان ابن الجوزي - الذي يتشدد ويرّد حتى بعض الاحاديث الصحيحة ويجعلها في عداد الموضوعات - يقول: ان هذه الحادثة وقعت في غزوة بدر ونزلت في حقها الآية الكريمة: ﴿وينزّل عليكم من السّماء ماء ليُطهّركم به﴾ (الانفال: ١١)

فما دامت هذه الآية قد نزلت في حقها وبيّنتها بوضوح، فلاشك اذاً في وقوعها.

وقد تكرر كثيراً نزول المطر بدعاء النبي ﷺ قبل ان تنزل يداه المرفوعتان وهي معجزة مستقلة بحد ذاتها. وقد استسقى النبي ﷺ احياناً وهو على المنبر، ونزلت الامطار قبل ان يخفض يده. وقد ثبت هذا عن طريق متواتر.

هوامش على الاشارة الثامنة

(١) صحيح : رواه البخاري في الوضوء: باب التماس الوضوء اذا حانت الصلاة، وفي الانبياء: باب علامات النبوة في الاسلام. ومسلم (٢٢٧٩). والحديث وردت بروايات اخرى من نفس الطريق في الموطأ (٣٢/١) والنسائي (٦٠/١) والترمذي (٣٦٣٥ تحقيق أحمد شاكر).

(٢) صحيح : رواه البخاري في الانبياء: باب علامات النبوة، وفي المغازي: باب غزوة الحديبية، وفي تفسير سورة الفتح: باب: (اذ يبايعونك تحت الشجرة)، وفي الأشربة: باب شرب البركة والماء المبارك. ومسلم برقم (١٨٥٦).

(٣) صحيح : جزء من حديث طويل من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن ابي اليسر وجابر رضي الله عنهم رواه مسلم (٣٠٠٦ الى ٣٠١٤) في الزهد: باب حديث جابر الطويل وقصة ابي اليسر.

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٣٥/٤) في الانبياء: باب علامات النبوة، والترمذي (٣٦٣٧ تحقيق أحمد شاكر) واخرجه ايضا النسائي من نفس الطريق (٦٠/١) وبغير لفظ

(٥) صحيح : ورواه مسلم في صحيحه (١٩٨٤/٤ برقم ٧٠٦).

(٦) صحيح : حديث البراء رواه البخاري (٢٣٤/٤) في الانبياء: باب علامات النبوة، وفي المغازي، وحديث سلمة بن الاكوع رواه البخاري في الشركة: باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، وفي الجهاد: باب حمل الزاد في الغزو. ومسلم برقم (١٧٢٩). ورواه أحمد (الفتح الرباني للساعاتي ٢٢/٦١)

(٧) صحيح : رواه مسلم ٦٨١ ومن نفس الطريق رواه أبو داود (٤٣٧-٤٤١) بلفظ مقارب.

(٨) صحيح : رواه البخاري في التيمم: باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، وباب التيمم ضربة، وفي الانبياء: باب علامات النبوة، ومسلم (٦٨٢)

(٩) اورده الهيثمي في المجمع (١٩٤/٦) عن ابن عباس وقال: رواه البزار والطبراني في الاوسط ورجال البزار ثقات. وزاد في كنز العمال (٣٥٣/١٢) بسنده الى ابن جرير وجعفر الفريابي في دلائل النبوة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي في السنن وشعب الايمان فالحديث صحيح او حسن.

(١٠) في حديث رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق (الخفاجي ٢٩/٣) (الشفا ٢٩٠/١)

(١١) ورواه البيهقي والحاكم وصححه (الخفاجي ١٢٨/٣).

الاشارة التاسعة

ان أحد أنواع معجزات الرسول الاكرم ﷺ هو: امتثال الاشجار لأوامره كامتثال البشر، وانخلاعها من اماكنها ومجيئها اليه . فهذه المعجزة المتعلقة بالاشجار هي متواترةٌ من حيث المعنى كفوران الماء من اصابعه المباركة، ولها صور متعددة وقد رُويت بطرق كثيرة.

نعم! يصح ان يقال ان خبر انخلاع الشجرة من موضعها ومجيئها ممتثلة لأمر الرسول الاكرم ﷺ متواتر تواتراً صريحاً،[1]، حيث قد رويت هذه الرواية من قبل صحابة كرام صادقين معروفين، امثال: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، ويعلىٰ بن مرة، وجابر، وانس بن مالك، وبُريدة، واسامة بن زيد، وغيلان بن سلمة، وغيرهم فأخبر كلٌ منهم عن هذه المعجزة المتعلقة بالاشجار إخباراً ثابتاً قاطعاً. ونقلها عنهم مئات من ائمة التابعين بطرق مختلفة، في بداية كل طريق صحابي جليل، اي كأنها نقلت الينا نقلاً متواتراً مضاعفاً؛ لذا فلا يداخل هذه المعجزة ريبٌ ولا شبهة قط، فهي في حكم المتواتر المعنوي المقطوع به.

فهذه المعجزة وان تكررت مرات عدة، الاّ اننا سنبين عدداً من صورها الصحيحة الكثيرة، ونوردها في بضعة امثلة:

المثال الاول:

■روى ابن ماجة والدارمي والبيهقي عن انس بن مالك وعلي، وروى البزار والبيهقي عن عمر، ان ثلاثة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين قالوا: كان الرسول الاكرم ﷺ قد حزن حزناً شديداً من تكذيب الكفار له «قال: اللهم! أرني آية لا أبالي من كذّبني بعدها. وفي رواية أنس «ان جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ وراه حزيناً: أتحب ان أريك آية. قال: نعم! فنظر رسول الله ﷺ الى شجرةٍ من وراء الوادي، فقال: أدعُ تلك الشجرة، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال: مُرها فلترجع، فعادت الى مكانها»[2]

المثال الثاني:

■ روى القاضي عياض -علّامة المغرب- في كتابه (الشفاء) بسند عال صحيح عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) قال:

«كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه اعرابي، فقال: يا اعرابي: اين تريد؟ قال: الى اهلي. قال: هل لك الى خير؟ قال: وماهو؟ قال: تشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له وان محمداً عبدهُ ورسوله. قال: مَن يشهد لك على ماتقول؟ قال: هذه الشجرةُ السَّمُرة، وهي بشاطِيء الوادي، فاقبلت تخدّ الارض، حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فَشهِدت أنه كما قال. ثم رجعت الى مكانها»[٣].

وعن بُرَيْدَة عن طريق ابن صاحب الاسلمي بنقل صحيح: «سأل اعرابي النبي ﷺ آية، فقال له: قل لتلك الشجرة، رسُول الله ﷺ يدعوك. قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقُها، ثم جاءت تَخُدّ الارض تَجرُّ عروقها مُغبّرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ.

فقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال الاعرابي: مُرها فلترجع الى منبتها، فَرَجَعَت فدلّت عروقها فاستوت. فقال الاعرابي: ائذن لي أسجُد لك. قال: لو امرتُ احداً أن يسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها، قال: فأذنْ لي أن أقبّلَ يديك ورجليك، فأذن له»[٤].

المثال الثالث:

■ روى مسلم واصحاب الكتب الصحاح الاخرى عن جابر رضي الله عنه: أنه قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ، «ذهب رسول الله يقضي حاجته، فلم يرَ شيئاً يستتر به، فاذا بشجرتين بشاطيء الوادي، فانطلق رسولُ الله ﷺ الى احداهما، فأخذ بغصنٍ من اغصانها، فقال: انقادي عليّ بأذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك

السَّمُرة: شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح. تخدّ: تشق. مغبّرة: مسرعة.
(دلت عروقها): ادخلتها الارض. (المخشوش): البعير يجعل في انفه عود عليه حبل لينقاد.

حتى اذا كان بالمنصف بينهما. قال: التئما عليّ باذن الله. فالتأمتا»[٥]، فجلس خلفها، وبعد ان قضى حاجته، أمر أن يعود كل منهما الى مكانها.

■ «وفي رواية أخرى، فقال: يا جابر! قل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله إلحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما. فزحفت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما، فخرجتُ أحضر، وجلستُ احدّث نفسي، فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ مقبلاً، والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فوقف رسول الله ﷺ وقفةً فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً»[٦].

المثال الرابع:

■ روى اسامة بن زيد -احد قواد رسول الله ﷺ وخادمه الامين- : كنا في سفر مع رسول الله ﷺ، ولم يكن لقضاء الحاجة مكان خالٍ يستر عن أعين الناس، فقال: «هل ترى من نخلٍ أو حجارة؟ قلت: أرى نخلات متقاربات، قال: انطلق وقل لهنّ إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله ﷺ وقل للحجارة مثل ذلك. فقلت ذلك لهن، فوالذي بعثهُ بالحق لقد رأيتُ النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاماً خلفهن، فلما قضى حاجته، قال لي: قل لهن يفترقن، فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارةُ يفترقن حتى عُدن الى مواضعهن»[٧].

وقد روى هاتين الحادثتين اللتين رواهما جابر واسامة كل من يعلى بن مرة، وغيلان بن سلمة الثقفي، وابن مسعود في غزوة حنين.

المثال الخامس:

■ ذكر علامة عصره الامام ابن فورك - الذي كان يسمى بالشافعي الثاني كناية عن اجتهاده الكامل وفضله - : «انه ﷺ سار في غزوة الطائف ليلاً وهو وَسِنٌ، فاعترضهُ سدرةٌ، فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين الى وقتنا»[٨].

(المنصف): نصف الطريق. (أحضر): اسرع في العدو.

(مخرج): مكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه - (ركاما): بعضها فوق بعض. (الوسن): قريب من النعاس - (سدرة): من اسماء الاشجار

المثال السادس :

■ ذكر يعلى بن سيابه[٩] : «أن طلحة أو سَمُرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله ﷺ : انها استأذنت ان تسلّم عليّ» . اي استأذنت من رب العالمين .

المثال السابع :

■ روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه قال : «آذنَت النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا له شجرةٌ» وذلك حينما جاء جن نصيبين في بطن النخل الى النبي ﷺ للاسلام ، فأعلَمت شجرةٌ خبر مجيئهم النبي .

« وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث : ان الجن قالوا : مَن يَشهدُ لك ؟ قال : هذه الشجرة» فأمر الشجرَة «تعالي ياشجرة! فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاقع»[١٠]

وهكذا . فقد كفت معجزة واحدة طائفة الجن . أفلا يكون مَن يسمع الف معجزة ومعجزة من امثالها ثم يكابر ولايؤمن اضلَّ من ذلك الشيطان الذي حدّث القرآن عنه بقول الجن : ﴿يقولُ سَفيهُنا على الله شططاً﴾ (الجن : ٤)؟

المثال الثامن :

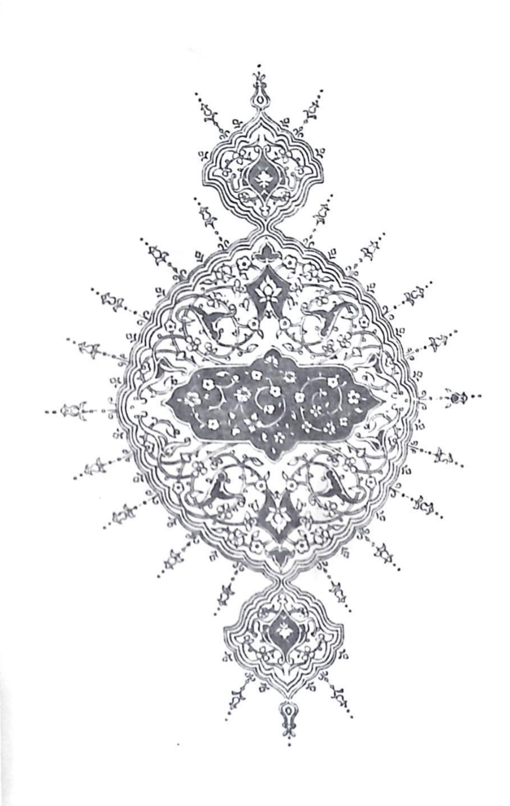
■ روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه «انه ﷺ قال لاعرابي : «أرأيتَ إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد اني رسول الله؟ قال : نعم! فدعاه فجعل ينقر حتى أتاه . فقال : ارجع ، فعاد الى مكانه»[١١]

* * *

وهكذا ، فهناك امثلة غزيرة كالتي ذكرناها رُويت كلها بطرق عديدة ، ومن المعلوم انه اذا اتحدت بضعة خيوط رفيعة صارت حبلاً قوياً . . فمثل هذه المعجزة المتعلقة بالشجرة وقد رويت بطرق متعددة ، وعن مشاهير الصحابة الكرام لابد انها في قوة التواتر المعنوي ، بل انها متواترة تواتراً حقيقياً . ولاريب أنها حينما انتقلت الى التابعين اخذت طابع التواتر ، لاسيما الطرق التي سلكها اصحاب الصحاح كالبخاري ومسلم وابن حبان والترمذي وغيرهم ، انما هي طريق صحيحة لاشائبة فيها . بل أن رؤية اي حديث كان في البخاري انما هو كاستماعه من الصحابة الكرام بعينهم .

(آذنت) : أعلمت (قعاقع) : صوت السلاح .
(العذق) : العرجون من النخلة .
(ينقر) : نبّ صعداً

ترُى اذا عَرفتْ الاشجار رسول الله ﷺ وعرَّفَتْه وصدَّقتْ رسالته وسلّمت غليه، وزارته، وامتثلت أمره - كما رأينا في الامثلة المذكورة آنفاً - فكيف لايَعرف ولايؤمن به ذلك البليد الجماد الذي يسمي نفسَه إنساناً؟ أليس هوعارٍ عن العقل والقلب؟ أفلا يكون أدنىٰ من الشجر اليابس وأتفه من الحطب الذي لايستحق الاّ إلقاءه في النار؟.



هوامش على الاشارة التاسعة

(١) انظر النظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٣٧

(٢) حسن: الشفا (٣٠٢/١). اورده الهيثمي في المجمع (١٠/٩) وقال: رواه البزار وابو يعلى واسناد ابي يعلى حسن. وفي كنز العمال (٣٥٤/٢) زاد نسبته الى البيهقي في الدلائل وحسّن اسناده.

(٣)صحيح

الشفا (٢٩٨/١). وفي مجمع الزوائد (٢٩٢/٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه ابو يعلى والبزار. واورده ابن كثير في البداية (١٢٥/٦) وعزاه للحاكم. وقال الحافظ: وهذا اسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه احمد. وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب (١٦/٤ رقم ٣٨٣٦) قال المحقق: قال البوصيري: رواه ابو يعلى بسند صحيح والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه. وعزاه في المشكاة (٥٩٢٥) الى الدارمي في سننه، وصححه المحقق.

(٤) الشفا (٢٩٩/١). اورده الهيثمي في المجمع (١٠/٩) وليس فيه ذكر السجود، وقال: رواه البزار وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف. وقال الخفاجي: رواه البزار مسندا (٤٩/٣).

(٥)صحيح: جزء من حديث طويل رواه مسلم (٣٠٠٦ - ٣٠١٤) في الزهد: باب حديث جابر الطويل وقصة ابي اليسر.

(٦) الشفا (٢٩٩/١). من غير طريق مسلم (الخفاجي ٥١/٣).

(٧)حسن: الشفا (٣٠٠/١)، وذكره الحافظ في المطالب (٨/٤ - ١٠ رقم ٣٨٣٠) قال الحافظ (لأبي يعلى): اسناده حسن وفيه ضعف ولكن له شاهد من طريق يعلى عند أحمد، قال المحقق: في المسندة: «هذا اسناده حسن، معاوية بن يحيى الصدفي ضعيف، ولكن لحديثه شاهد من طريق يعلى بن مرة، اخرجه أحمد وغيره» وقال البوصيري: رواه ابو يعلى باسناد حسن وتقدم وله شواهد في الباب.

قلت: وحديث يعلى بن مرة اورده الهيثمي في المجمع (٥/٩-٦) وقال: رواه احمد باسادين والطبراني بنحوه وأحد اسنادي احمد رجاله رجال الصحيح.

(٨) الشفا (٣٠١/١) الخفاجي (٥٧/٣).

(٩)صحيح: الشفا (٣٠١/١). في حديث صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني (الخفاجي ٥٣/٣). واورده الهيثمي في المجمع (٦/٩ - ٧) وقال: رواه الطبراني بنحوه الا انه قال: ثم أتى على قبرين، واسناده حسن.

(١٠)صحيح: رواه البخاري في فضائل اصحاب النبي ﷺ: باب ذكر الجن ومسلم (٤٥٠).

(١١) صحيح:

رواه الترمذي (٣٦٣٢ تحقيق أحمد شاكر) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي تحفة الاحوذي (٣٧٠٧): هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي تصحيح الترمذي نظر، فالحديث في سنده شريك القاضي وفيه كلام، ولكن للحديث شواهد يتقوى بها وردت بعدة سياقات وبالفاظ مختلفة، ففي المجمع (١٠/٩): رواه ابو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ابراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة. ورواه ايضا ابو نعيم في الدلائل بنحو ما في المجمع والحديث بغير سياق عند أحمد، وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيقه المسند (٢٩٣/٣).

الاشارة العاشرة

ان الـذي يؤيـد المعجـزات المتعلقـة بالشجرة هو: معجزة حنين الجذع المنقولة نقلاً متواتراً.

نعم! ان حنين الجـذع اليـابس المـوجود في المسجد النبوي الى رسول الله ﷺ لفراقه عنه - فراقاً مؤقتاً - وأنينه امام جماعة غفيرة من الصحب الكرام يؤيـد الأمثلة التي اوردنـاهـا في المعجـزات المتعلقة بالاشجار ويقوّيها. لأن الجـذع من جنس الاشجـار. فالجنس واحـد، الاّ ان هذه المعجـزة متـواتـرة بالـذات، بينمـا الاقسـام الاخـرى متـواتـرة نوعاً، إذ ان اكثر جزئياتها وامثلتها لايرقى الى مستوى التواتر الصريح.

كان المسجد النبوي مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي ﷺ اذا خطب يقـوم الى جذع منهـا، فلمـا صُنِـع له المنبر، وكان عليه، سمع لذلك الجذع صوت كصوت العشار وهويئن ويبكي، حتى جاءه النبي ﷺ ووضع يده عليه، وتكلم معه وعزّاه وسلاّه، فسكت الجذع.

نُقلت هذه المعجزة بطرق كثيرة جداً نقلاً متواتراً.

نعم! ان معجزة حنين الجذع مشهورة ومنتشرة، والخبر بها من المتواتر الصريح،[1] فقد رواها مئات من ائمة التابعين بخمسة عشر طريقاً عن جماعة من الصحـابـة الكـرام رضي الله عنهم، وهكذا نقلوها الى مَن خلفهم. وممن رواهـا من علمـاء الصحـابـة: انس بن مالك -خادم النبي- وجابر بن عبدالله الانصـاري، وعبـدالله بن عمـر، وعبـدالله بن عبـاس، وسهل بن سعد، وابو سعيـد الخـدري، وأبي بن كعب، وبُريدة، وام المؤمنين أم سلمة رضوان الله عليهم وكلٌ من هؤلاء على رأس طريق من طرق رواة الحديث.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب الصحاح هذه المعجزة الكبرى المتواترة ونقلوها الينا.

عن جابـر رضي الله عنـه، يقول: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من

(العشار): النوق الحوامل.

نخلٍ فكان النبي ﷺ اذا خطب يقوم الى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكت»[٢] لم يتحمل الجذع فراقه ﷺ.

وعن انس: [٣] «حتى ارتجّ المسجد لخواره».

وعن سهل بن سعد: [٤] «وكثُر بكاء الناس لما رأوا به من بكاء وحنين».

وعن أُبي بن كعب: [٥] «حتى تصدّع وانشق» لشدة بكائه.

زاد غيره: فقال النبي ﷺ: «ان هذا بكىٰ لما فقد من الذكر»[٦] وزاد غيره: «والذي نفسي بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة» تحزناً على رسول الله ﷺ[٧] وفي حديث بُريدة: لما بكى الجذع وضع الرسول يده الشريفة عليه وقال: «ان شئت اردُّك الى الحائط الذي كنت فيه، ينبت لك عروقك ويكمل خلقُك ويجدّد لك خوص وثمرةً. وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك. ثم اصغى له النبي ﷺ يستمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلىٰ فيه، فسمعه من يليه، فقال النبي ﷺ: قد فعلتُ. ثم قال: اختار دار البقاء علىٰ دار الفناء»[٨].

قال الامام ابو اسحاق الاسفرائني - وهو من ائمة علماء الكلام - ان الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام لم يذهب الىٰ الجذع بل «دعاه الىٰ نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه. ثم امره فعاد الىٰ مكانه»[٩].

يقول ابي بن كعب: وبعد ظهور هذه المعجزة: «أمر النبي ﷺ به فدفن تحت المنبر»، «فكان اذا صلىٰ النبي ﷺ صلى اليه. فلما هدم المسجد لتجديده اخذه أُبى فكان عنده الىٰ ان اكلته الأرض وعاد رفاتاً»[١٠]

وحينما كان الحسن البصري يحدّث بهذا الىٰ طلابه يبكي ويقول:

«ياعباد الله! الخشبةُ تحنّ الىٰ رسول الله ﷺ شوقاً اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه»[١١]

ونحن نقول: نعم! ان الاشتياق اليه ومحبته انما هو باتباع سنته السنية وشريعته الغراء.

(الحائط): البستان.

نكتة مهمة:

فان قيل: لِمَ لم تشتهر تلك المعجزات التي تخص البركة في الطعام والتي اشبعت الفاً من الناس في غزوة الخندق بصاع من طعام. ولاتلك المعجزات التي تخص الماء التي اروت الفاً من الناس بما فار من الماء من اصابع الرسول المباركة ﷺ. فلِمَ لم تنقلا بطرق كثيرة مثلما اشتهرت معجزة حنين الجذع ونقلت. مع ان كلاً من تلك الجماعتين - التي وقعت المعجزة امامهما - اكثر من جماعة معجزة حنين الجذع؟

الجواب:

ان المعجزات التي ظهرت قسمان:

احدهما: ما يظهر على يد النبي ﷺ لتصديق دعوى النبوة، ويكون حجة لها، فيزيد من ايمان المؤمنين ويسوق اهل النفاق الى الاخلاص والايمان، ويدعو اهل الكفر الى حظيرة الايمان. ومعجزة حنين الجذع من هذا القبيل، لذلك رآها العوام والخواص واعتُني بنشرها اكثر من غيرها.

اما معجزة الطعام ومعجزة الماء، فهي كرامة اكثر من كونها معجزة، بل اكرام الهي اكثر من الكرامة، بل ضيافة رحمانية - حسب مادعت اليه الحاجة - اكثر من اكرام الهي. فهما وان كانتا دليلين على دعوى النبوة، ومعجزتين لها، الاّ ان الغاية الاساس هي:

ان الجيش الذي يبلغ قوامه زهاء الف رجل، كان في حاجة ماسة الى الطعام والشراب فأمدّهم الله سبحانه وتعالى من خزائن الغيب بأن اشبع من صاعٍ من طعام الف رجل - كما يخلق سبحانه من نواة واحدة الف رطل من التمر- كذلك أروى زهاء الف من المجاهدين في سبيل الله، حينما اصابهم العطش، ارواهم بماء مبارك كالكوثر، اذ اجراه سبحانه من اصابع قائدهم الاعظم صلوات الله وسلامه عليه. لذلك لم تصل درجة معجزة الطعام والماء الى درجة حنين الجذع. الاّ ان جنس تينك المعجزتين ونوعهما بحسب الكلية متواتر كتواتر حنين الجذع.

ثم ان كل فرد قد لايرى بركة الطعام وفوران الماء من الاصابع بالذات بل يرى اثره، ولكن كل من كان في المسجد النبوي قد سمع بكاء الجذع، لذا ذاع اكثر.

■ **فان قيل**:

ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم اهتموا اهتماماً بالغاً بملاحظة جميع احواله ﷺ وحركاته ونقلوها بأمانة واعتناء، فلِمَ رُويت امثال هذه المعجزة العظيمة بعشرين طريقاً فقط ولم ترو - في الاقل - بمئة طريق؟ ولِمَ تأتي اكثر الروايات عن أنس وجابر وابي هريرة، ولم يأتِ عن طريق ابي بكر وعمر الاّ القليل منها.

الجواب: الشق الاول من السؤال مضى جوابه في الاساس الثالث من الاشارة الرابعة.

أما جواب الشق الثاني فهو: انّ الانسان اذا احتاج الىٰ الدواء يراجع الطبيب، واذا احتاج الىٰ بناء يراجع المهندس واذا احتاج الىٰ تعلم الشريعة يأتي المفتي ويستفتيه.. وهكذا فقد كانت مهمة بعض علماء الصحابة منحصرة في حمل الحديث ونشره ونقله الىٰ العصور الاخرىٰ. فكانوا يسعون بكل ماآتاهم الله من قوة في هذه الغاية. فابو هريرة رضي الله عنه كرّس جميع حياته لحفظ الحديث النبوي في الوقت الذي كان عمر رضي الله عنه منهمكاً في حمل اعباء الخلافة وسياسة الدولة. لذا اعتمد على هؤلاء الصحابة: ابي هريرة وانس وجابر وامثالهم في نقل الحديث الشريف الى الامة، فندرت الرواية عنه، ثم ان الراوي الصادق المصدَّق من قبل الجميع يُكتفىٰ بروايته ولاداعي الى رواية غيره، ولذلك ينقل بعض الحوادث المهمة بطريقين او ثلاث.

هوامش على الاشارة العاشرة

(١) انظر النظم المتناثر في الحديث المتواتر ١٣٤-١٣٥

(٢)صحيح : البخاري (٤ / ٢٣٧ - ٢٣٨)، والنسائي (٣/١٠٢)، كلهم من حديث جابر وبالفاظ مختلفة.

(٣)صحيح : كما رواه الترمذي (٣٦٣١ - تحقيق احمد شاكر) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب قال : وفي الباب عن أبي وجابر وابن عمر وسهل بن سعد وابن عباس وام سلمة اهـ. انظر جامع الاصول (٨٨٩٩).

(٤)صحيح : كما رواه الشيخان (الخفاجي ٣ /٦٢).

(٥)صحيح : كما رواه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي (الخفاجي ٣/٦٢) ورواه عبدالله من زياداته في المسند، وفيه رجل لم يسمّ وعبدالله بن عقيل وفيه كلام وقد وثق (تحفة الاحوذي ٣/٢٢). والحديث تشهد له احاديث الباب السابقة وهي صحيحة كما مرّ.

(٦)صحيح : البخاري (٤/٢٣٧). واحمد (الفتح الرباني ٢٢/٤٩-٥٠)

(٧) في رواية ابن عباس وفيه : «فأتاه فاحتضنه فسكن، قال: ولو لم احتضنه لحنّ الى يوم القيامة» قال العلامة احمد شاكر في تحقيق المسند: اسناده صحيح. ثم قال: ذكر الحافظ ابن كثير في التاريخ (٦/١٢٥) حنين الجذع بالاسانيد الكثيرة الصحاح من رواية ثمانية من الصحابة، ثم ختم الباب بما روى ابو حاتم الرازي عن عمرو بن سواد قال: «قال لي الشافعي : ما اعطى الله نبياً ما اعطى الله محمداً ﷺ، فقلت له: اعطى عيسى احياء الموتى! فقال: اعطى محمداً الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حتى هيء له المنبر، فلما هيء له المنبر حنّ الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من ذلك» (٢٢٣٦) تحقيق المسند. وقد اورد ايضاً احاديث باسانيد صحيحة في حنين الجذع نذكر ارقامها وعلى سبيل المثال: (٢٢٣٧) عن انس (٢٤٠٠) عن ابن عباس، وعن انس (٢٤٠١) عن ابن عباس، عن انس (٣٤٣٠) عن ابن عباس (٣٤٣١) عن انس (٣٤٣٢) عن انس.

(٨) في حديث طويل رواه احمد والشافعي وابن ماجه وفي اسناده عند الجميع عبدالله بن محمد بن عقيل، قال النسائي: ضعيف، وقال ابو حاتم لين، وقال الترمذي: صدوق سمعت محمداً (يعني البخاري) يقول: كان احمد واسحاق والحميد، يحتجون بحديث ابن عقيل (ملخصاً من الفتح الرباني ٢٢/٤٩)

(٩) الشفا (١/٣٠٤)

(١٠) الشفا (١/٣٠٤) رواه عبدالله بن الامام احمد في زوائده وتخريجه في الهامش (٨)

(١١) الشفا ١/٣٠٥ ولله در القائل من اهل الفضائل:

والقى حتى في الجمادات حبه
فكانت لأهداء السلام له نهدى

وفارق جذعاً كان يخطب عنده
فأنّ انين الأم اذ تجد الفقدا

يحنّ اليه الجذع ياقوم هكذا
أما نحن اولى أن نحنّ له وجدا

اذا كان جذعٌ لم يطق بُعد ساعة
فليس وفاء أن نطيق له بعداً

(على القاري ١/٦٢٦)

الاشارة الحادية عشرة

تبين هذه الاشارة: المعجزة النبوية في الاحجار والجبال من الجمادات كما اشارت «الاشارة العاشرة» الى المعجزة النبوية في الاشجار، نذكر من بين امثلتها الكثيرة ثمانية امثلة:

المثال الاول:

■ روى البخاري وعلاّمة المغرب القاضي عياض عن ابن مسعود - خادم النبي ﷺ - انه قال: «لقد كُنّا نَسْمعُ تَسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكَل»[1].

المثال الثاني:

وثبت كذلك:

■ عن انس وابي ذر رضي الله عنهما، قال أنس[2]: «اخذ النبي ﷺ كفاً من حصىً فسَبَّحنَ في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيحَ، ثم صَبَّهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبّحن، ثم في ايدينا فما سبّحن».

■ وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه، [3] وذكر انهن سبّحن في كف عمر رضي الله عنه ثم وضعن على الارض فخرسن، ثم اخذهن ووضعهن في كف عثمان، فسبّحن ثم وضعهن في ايدينا فخرسن.

المثال الثالث:

■ ثبت بنقل صحيح عن علي وجابر وعائشة رضي الله عنهم انه ماكان يمر النبي ﷺ بجبل ولا حجر الاّ وقال: السلام عليك يا رسول الله، ففي رواية علي رضي الله عنه قال انه: «كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج الى بعض نواحيها، فما استَقْبلَهُ شجرةٌ ولا جبلٌ الاّ قال له: السلام عليك يا رسول الله»[4].

■ وفي رواية جابر رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي ﷺ يمرّ بحجرٍ ولا شجرٍ الاّ سجد له»[5] اي: كل منهما ينقاد له ويقول: السلام عليك يا رسول الله.

■ وفي رواية أخرى «عن جابر بن سمرة رضي الله عنه[6]: عنه ﷺ: اني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ.» اي قبل ان ابعث «قيل: انه اشارة الى

الحجر الاسود».

■ «وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلتُ لا امرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ الا قال: السلام عليك يا رسول الله»[٧].

المثال الرابع:

■ «وفي حديث العباس رضي الله عنه[٨] اذ اشتمل عليه النبي ﷺ وعلى بنيه» وهم عبدالله وعبيدالله والفضل وقثم «بُملاءة ودعا لهم بالسَّتر من النار» اذ قال: يا رب هذا عمي صنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي. «فأمّنت أسكُفَة الباب وحوائط البيت: آمين آمين» واشتركن في الدعاء.

المثال الخامس:

■ روت الكتب الصحاح متفقة وفي المقدمة البخاري وابن حبان وابو داود والترمذي عن انس[٩] وابي هريرة[١٠] وعن عثمان ذي النورين[١١] وسعيد بن زيد[١٢] احد العشرة المبشرين بالجنة انه: «صعد النبي ﷺ وابو بكر وعمر وعثمان أُحُداً، فرجف بهم» من مهابتهم أو من سروره وفرحه، «فقال: أثبت أُحُد فانما عليك نبي وصدّيق وشهيدان».

فبهذا الحديث ينبىء النبي ﷺ عن شهادة عمر وعثمان إخباراً غيبياً.

■ وقد نقل - تتمة لهذا المثال - انه لما هاجر الرسول ﷺ من مكة وطلبته كفار قريش صعد على جبل ثُبير، (*) «قال له ثبير: اهبط يا رسول الله فانّي اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذّبني الله. فقال له حراء: اليّ يا رسول الله».

من هذا يستشعر أهلُ القلبِ والصلاحِ الخوفَ في ثبير والأمن والاطمئنان في حراء.

يفهم من مجموع هذه الامثلة ان الجبال العظيمة مأمورة ومنقادة كأي فرد

(الملاءة): الازار أو الملحفة. (اسكفة): العتبة وما يعلوه الداخل من البيت.

(*) (ثبير): جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى. وكان هذا قبل توجهه ﷺ الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة. (الخفاجي ٣ / ٧٥) -المترجم-

من الافراد، وهي كأي عبدٍ مخلوق يسّبح الله تعالى وله وظيفة خاصة به، وانه يعرف النبي ويحبّه. . . فما خُلقت الجبال اذاً باطلاً.

المثال السادس:

■ «وروى ابن عمر رضي الله عنهما [١٣] ان النبي ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (الانعام: ٩١) ثم قال: يمجِّد الجبارُ نفسه يقول: انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال. فرَجَف المنبرُ حتى قلنا ليخرنَّ عنه».

المثال السابع:

■ عن حبر الامة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه، وعن ابن مسعود[١٤] - من علماء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين، انه قال: «كان حول البيت ستون وثلاثمئة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة. فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسّها. ويقول: ﴿جَاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زَهُوقاً﴾[١٥] (الاسراء: ٨١) فما اشار الى وجه صنم الآ وقع لقفاه ولا لقفاه الآ وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم»[١٦].

المثال الثامن:

■ هو قصة بحيراء الراهب المشهورة،[١٧]، وهي: ان النبي ﷺ خرج قبل البعثة مع عمه ابي طالب وجماعة من قريش الى نواحي الشام. ولما وصلوا الى جوار كنيسة الراهب قعدوا هناك «وكان الراهب لايخرج الى أحَد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: «هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمةً العالمين» فقال له أشياخ من قريش: ماعِلمُك؟ فقال: انه لم يبق شجر ولاحجر الآ خرّ ساجداً له ولا يسجد الآ لنبي». «ثم قال واقبل ﷺ وعليه غمامةٌ تظلّه فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مالَ الفيء اليه»[١٨]

* * *

وهكذا فهناك ثمانون مثالاً كهذه الامثلة الثمانية.

فاذا وحِّدَت هذه الامثلة الثمانية لأصبحت قوية لايمكن ان تنال منها شبهة مهما كانت.

فهذا النوع من المعجزات (اي تكلم الجمادات) يشكّل دليلاً جازماً علىٰ اثبات دعوى النبوة، وهو في حكم التواتر من حيث المعنى. فكل مثال يستمد قوة اخرى من قوة الجميع تفوق قوته الفردية. مَثَله في هذا، مثل رجل ضعيف انخرط في سلك الجيش، فيتقوى حتىٰ يستطيع ان يتحدىٰ الفاً من الرجال، او كعمود ضعيف لو ضم مع اعمدة قوية يتقوىٰ.

فكيف اذا كانت الروايات كلها صحيحة ورصينة؟.

هوامش على الاشارة الحادية عشرة

(١) صحيح: جزء من حديث رواه البخاري (٤/ ٢٣٥)، وفي الانبياء: باب علامات النبوة، ورواه الترمذي (٣٧١٢ تحفة الاحوذي) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقدمّ تخريج بعض اجزائه.

(٢) الشفا (١/ ٣٠٦) في حديث رواه ابن عساكر في تأريخه (الخفاجي ٣/ ٧٠). ورواه الطبراني والبزار عن أنس.. وذكر العراقي: انه ضعيف (الاحاديث المشكلة في الرتبة ١١٢). وفي كنز العمال من طريقين الاولى عن الحسن عن أنس والثانية عن ثابت البناني عن أنس وعزاهما لابن عساكر.

(٣) الشفا (١/ ٣٠٦). الحديث في المجمع (٥/ ١٧٩) عن ابي ذر، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الاوسط، وفيه محمد بن ابي حميد وهو ضعيف، وله طريق احسن من هذا في علامات النبوة واسناده صحيح. قال عنه الهيثمي (٨/ ٢٩٨ - ٢٩٩): رواه البزار باسنادين ورجال احدهما ثقات وفي بعضهم ضعف. وفي كنز العمال (٣٥٤٠٩، ٣٥٤١٠) من حديث ابي ذر عزاهما لابن عساكر. وفي الفتح (٦/ ٥٩٠) قال الحافظ: وأما تسبيح الحصى فليست له الا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها (اي من حديث ابي ذر). قلت: تعلم من التخريج السابق ان لحديث تسبيح الحصى اكثر من طريق، ومنه تعلم ان كلام الحافظ غير مسلم.

(٤) رواه الترمذي (٣٦٣ تحقيق أحمد شاكر) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي بعض نسخ تحفة الاحوذي (٣٧٠٥): هذا حديث حسن غريب. ورواه الدارمي (برقم ٢١، ١/ ١٩ - ٢٠) وضعفه محقق جامع الاصول (٨٨٩٣). وفي المجمع (٨/ ٢٦٠) عن الامام علي رضي الله عنه بنحوه، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الاوسط والتابعي ابو عمارة الحواني لم اعرفه، وبقية رجاله ثقات. وفي كنز العمال (٢/ ٣٦٥) زاد نسبته للدورقي والحاكم والبيهقي في الدلائل، ورمز في الكنز لضعفه.

(٥) الشفا (١/ ٣٠٧)، رواه البيهقي (الخفاجي ٣/ ٧١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٧٨٢ برقم ٢٢٧٧)، والترمذي (برقم ٣٧٠٣ تحفة الاحوذي)، واحمد (٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥).

(٧) الشفا (١/ ٣٠٧)، في حديث صحيح رواه البزار في مسنده (الخفاجي ٣/ ٧١). وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٩): رواه البزار عن شيخه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف

(٨) حسن: في المجمع (٩/ ٢٦٩ - ٢٧٠) عن عبدالله بن الغسيل قال: كنت مع رسول الله ﷺ فمر بالعباس وقال ياعم اتبعني ببنيك فانطلق ستة من بنيه الفضل وعبدالله وعبيدالله وعبدالرحمن وقثم ومعبد فادخلهم النبي ﷺ بيتاً وغطاهم بشملة له سوداء مخططة... الحديث

قال الهيثمي : رواه الطبراني في الاوسط وفيه جماعة لم اعرفهم ، وفي المجمع (٩/ ٢٧٠) بنفس المعنى عن ابي اسيد الساعدي . . . الحديث، قال الهيثمي : رواه الطبراني واسناده حسن . اهـ.
وسيأتي تخريج حديث دعاءه ﷺ لأبناء عمه العباس مع عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما في الاشارة الرابعة عشرة - المثال الثالث.

(٩)**صحيح** : حديث انس رواه البخاري في فضائل اصحاب النبي ﷺ وابو داود (٤٦٥١) والترمذي (٣٧٨١ تحفة الاحوذي) وقال : وفي الباب عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس وسهل بن سعد وانس بن مالك وبريدة الأسلمي . هذا حديث صحيح.

(١٠)**صحيح** : حديث ابو هريرة رواه مسلم برقم (٢٤١٧) والترمذي (٣٦٩٨) من نفس الطريق وبأكثر من رواية. راجع هامش (٣٧) للاشارة الخامسة.

(١١)**صحيح** : حديث عثمان رضي الله عنه رواه الترمذي (٣٧٨٣ تحفة الاحوذي) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب، وزاد المباركفوري نسبته الى النسائي والدارقطني وقال ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً.

(١٢)**صحيح**: اخرجه الحاكم ٣/٤٥٠ وقال: هذا حديث غريب صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة. واحمد ١٨٧/١، ١٨٨، ١٨٩، وابو داود وابن ماجة والترمذي ٣٧٨٢ «تحفة» وقال: هذا حديث صحيح غريب. وصحّحه ابن حبان ٢١٩٨، واسناده حسن في الصّحيحة ٨٧٥ والحديث صحيح بشواهده.

(١٣)**صحيح** . في حديث رواه مسلم (٦/ ١٣٢ - ١٣٣) (مسلم هامش النووي)، والنسائي واحمد في مسنده والرواية بلفظه (الخفاجي ٣/ ٧٥)، الشفا (١/ ٣٨).

(١٤)**صحيح** : حديث عبدالله بن مسعود اخرجه البخاري في المغازي : باب اين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ، وفي المظالم : باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أوتخرق الزقاق، وفي تفسير سورة بني اسرائيل باب : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ ومسلم (برقم ١٧٨١) والترمذي (٣١٣٧) وابن حبان (١٧٠٢).

(١٥) الحديث الى هنا عند البخاري ومسلم والترمذي وما بعده عند غيرهم.

(١٦) حديث ابن عباس رضي الله عنه، في المجمع (٦/ ١٧٦) قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار باختصار وفيه ايضاً حديث بمعناه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه : ويسقط الصنم ولم يمسه، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الاوسط والكبير بنحوه وفيه عاصم بن عمر العمري وهو متروك ووثقه ابن حبان وقال : يخالف ويخطىء وبقية رجاله ثقات.

(١٧)**صحيح** . قصة الراهب من حديث ابي بكر بن ابي موسى الاشعري عن ابيه ، والحديث رواه الترمذي (٣٦٩٩ تحفة الاحوذي) وقال : هذا حديث حسن غريب . اهـ قال الجزري : اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح أو أحدهما . قال الحافظ في الاصابة : رجاله ثقات ، والحديث صححه محقق المشكاة (٥٩١٨، ٣/ ١٨٦) وأما ما ذكر ابو بكر وبلال فخطأ ظاهر كما قال أهل العلم . اهـ ويحتمل انها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته كما نقل صاحب تحفة الاحوذي عن المواهب اللدنية ، فالحديث بدون الزيادة الأخيرة صحيح ، ومنه تعلم ان تضعيف الذهبي للحديث غير صواب.

(١٨) الشفا (١/ ٣٠٨).

الاشارة الثانية عشرة

أمثلة ثلاثة مهمة ترتبط بالاشارة الحادية عشرة.

المثال الاول:

■ تصرح الآية الكريمة ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيتَ ولكنّ الله رَمى﴾ (الانفال: ١٧) بنصها القاطع وبتحقيق عموم المفسرين العلماء وائمة الحديث: ان الرسول ﷺ أخذ في غزوة بدر قبضة من تراب وحصيات ورماها في وجوه جيش الكفار وقال: «شاهت الوجوه»(١). فدخلت تلك القبضة من التراب الى اعين كل المشركين، مثلما وصلت كلمة «شاهت الوجوه» الى آذان كلٍ منهم، فصاروا يعالجون عيونهم من التراب، ففرّوا بعدما كانوا في حالة كرّ على المسلمين.

■ ويروي الامام مسلم (٢): ان الكفار في غزوة حنين عندما كانوا يصولون على المسلمين، أخذ النبي ﷺ قبضة من تراب ورمى بها في وجوه المشركين وقال: «شاهت الوجوه» فما من أحدٍ منهم الاّ ملأ عينيه - باذن الله - تراباً كما سمعت اذنُه هذه الكلمة، فولّوا مدبرين.

فهذه الحادثة الخارقة للعادة قد وقعت في بدر وحنين، فهي حادثة تفوق طاقة البشر، كما انها لايمكن اسنادها الى الاسباب العادية، لذا قال تعالى ﴿وما رميتَ اذ رميتَ ولكن الله رَمى﴾ اي انها حادثة نابعة من قدرة الٰهية محضة.

المثال الثاني:

■ تذكر كتب ائمة الحديث وفي مقدمتها البخاري ومسلم: «ان يهودية - واسمها زينب بنت الحرث - اهدَت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصليّة سمّتْها، فاكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم، فقال: ارفعوا ايديكم، فانها اخبرتني انها مسمومة» فرفع الجميع ايديهم، إلاّ ان بشر بن البراء مات من اثر السم، فدعا ﷺ اليهودية وقال لها: «ما حَملَكِ على ما صنعتِ؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرّكَ الذي صنعتُ، وان كنتَ مَلكاً أرحْتُ الناسَ منك. فأمر بها

(مصلية): مشوية.

نُقتلت»[٣]، وفي بعض الروايات انه لم يأمر بقتلها. قال العلماء المحققون: لم يأمر بقتلها بل دفعها لأولياء بشر بن البراء، فقتلوها[٤].

فاستمع الآن الى هذه النقاط الثلاثة لبيان اعجاز هذه الحادثة.

النقطة الاولى: جاء في احدى الروايات: ان بعضاً من الصحابة سمع قولَها حينما أخبرتْ الشاة عن انها مسمومة.[٥]

النقطة الثانية: وفي رواية اخرى انه بعدما أخبر الرسول ﷺ عن القضية قال: قولوا بسم الله ثم كلوا، فانه لايضر السم بعده. هذه الرواية وان لم يقبلها ابن حجر العسقلاني ألاّ ان علماء آخرين قبلوها.

النقطة الثالثة: لقد اطمأن كلُ من سمع كلامه ﷺ: «انها اخبرتني بأني مسمومة» وكأنه سمعه بنفسه، اذ لم يُسْمَع منه ﷺ قولٌ مخالف للواقع قط، وهذه واحدة منه، فبينما يبيّت اليهود الكيد لينزلوا ضربتهم القاضية بالرسول الكريم ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم اذا بالمؤامرة تنكشف على اثر خبرٍ من الغيب وتبطل الدسيسة والمكر السيء، ويقع الخبر كما أخبر عنه ﷺ.

المثال الثالث:

هو معجزة الرسول ﷺ في ثلاث حوادث تشبه معجزة سيدنا موسى عليه السلام، في معجزة يده البيضاء، وعصاه.

الحادثة الاولى:

■ اخرج الامام احمد الحديث الصحيح، عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه:[٦]

ان الرسول ﷺ «اعطى قتادة بن نعمان - وصلى معه العشاء - في ليلةٍ مظلمة مطرة عُرجوناً. وقال: انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً. فاذا دخلتَ بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج، فانه الشيطان. فانطلق، فاضاء له العرجون، حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج».

الحادثة الثانية:

■ انقطع سيف عكاشة بن محصن الاسدي وهو يقاتل به في غزوة بدر الكبرى

(العرجون): العصا القصيرة.

- تلك المعركة التي هي منبع الغرائب - فاعطاه رسول الله ﷺ جذلاً من حطب - اي عوداً غليظاً - « وقال: اضرب به فعاد في يده سيفاً صارماً طويل القامة ابيض شديد المتن؛ فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة» في اليمامة[7]

هذه الحادثة ثابتة قطعاً، وكان عكاشة يفتخر بذلك السيف طوال حياته، وكان السيف يسمىٰ ب «العَوْن»، فاشتهار السيف وافتخار عكاشة به حجتان ايضاً على ثبوت الحادثة.

الحادثة الثالثة:

■ روى ابن عبدالبر[8] - وهو من اعلام عصره من بين العلماء المحققين - : ان عبدالله بن جحش - ابن عمة رسول الله ﷺ «وقد ذهب سيفهُ» في غزوة أحد وهو يحارب، فاعطاه رسول الله ﷺ «عسيب نخل فرجع في يده سيفاً»

يقول ابن سيد الناس في «سيره»: فبقي هذا السيف مدّة ولم يزل يتناقل حتى بيع الى شخص يُدعى بغاء التركي بمئتي دينار.[9]

فهذان السيفان معجزتان كمعجزة عصا موسى، الاّ انه لم يبق وجه الاعجاز لعصا موسىٰ بعد وفاته عليه السلام، وبقي هذان السيفان معجزتان بعد وفاته ﷺ.

(عسيب): جريد النخل لاخوص عليها.

هوامش على الاشارة الثانية عشرة

(١)حسن: اوردها الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤) من حديث حكيم بن حزام وقال: رواه الطبراني في الكبير والاوسط واسناده حسن. واوردها الهيثمي من حديث ابن عباس وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢)صحيح: صحيح مسلم (٣/١٣٩٨ برقم ١٧٧٥ و١٧٧٧) في كتاب الجهاد والسير: باب غزوة حنين. ومنه: «.... فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم. فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم انسان الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة. فولوا مدبرين....»

(٣)صحيح: حديث الشاة المسمومة. اخرجه البخاري في الطب: باب مايذكر في النبي ﷺ. وفي الجهاد: باب اذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم. وفي المغازي: باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ وابو داود (٤٥٠٩) والدارمي (١/ ٣، ٤٠) واحمد (٢/ ٤٥١) من حديث ابي هريرة. ومن حديث انس أخرجه البخاري في الهبة: باب قبول الهدية من المشركين. ومسلم (٢٩٩٠) وابو داود (٤٥٠٨). ومجمل المعنى الذي ذكره الاستاذ النورسي رواه ابو داود (٤٥١٢) من حديث محمد بن عمرو عن ابي سلمة ولم يذكر ابا هريرة.

(٤) حسن: اخرج الحاكم والبيهقي في السنن عن ابي هريرة متصلاً «... انه قتلها لما مات بشر بن البراء» وقد وفق بين الروايتين بانه لم يقتلها اولا. فلما مات بشر قتلها. والحديث حسنه محقق زاد المعاد (٣/ ٣٣٦).

(٥) ورد في تكلم الذراع حديث صحيح رواه ابو داود والدارمي عن جابر، صححه محقق المشكاة (٥٩٣١). وانظر جامع الاصول (٨٨٨٨) ووردت احاديث اخرى في هذا الشأن من طرق اخرى انظرها في المجمع (٨/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٦)صحيح: رواه ابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي واحمد (٢٢/ ٦٦- ٦٧ الفتح الرباني) من حديث ابي هريرة. وفي المجمع (٢/ ١٦٦ - ١٦٧) اورده بسياق طويل. قال الهيثمي: حديث ابي هريرة في الصحيح وحديث ابي سعيد في حث الصاق ايضاً. رواه احمد والبزار بنحوه، وذكر زيادة للبزار. قال الهيثمي ورجالهما رجال الصحيح. وفي المجمع (٩/ ٣١٨-٣١٩) من حديث قتادة بن النعمان ورد فيها ذكر هذه المعجزة. قال الهيثمي: رواه الطبراني. وانظر الاصابة (٧٠٧٦) وكنز العمال (١٢/ ٣٧٦).

(٧)في حديث رواه البيهقي مسندا (الخفاجي ٣/ ١٥٦). الشفا (١/ ٣٣٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٧ (انظر زاد المعاد تحقيق الارناووط ٣/ ١٨٦). وذكره ابن اسحق في سيرته بدون سند (الاحاديث المشكلة ٩٩).

(٨) الشفا (١/ ٣٣٣). وفي الاستيعاب (القسم الثالث ٨٧٩). ورواه البيهقي في حديث مسند (الخفاجي ٣/ ١٥٧).

(٩) انظر عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ٢٠). وذكرها ابن حجر في الاصابة برقم (٤٥٨٣)

الاشارة الثالثة عشرة

ومن معجزاته ﷺ: شفاء المرضى والجرحى بنفثه المبارك. وهذا النوع من المعجزات متواتر معنوي -من حيث النوع- أما جزئياتها فقسم منها بحكم المتواتر المعنوي وقسم آخر آحادي، الآ انه يورث القناعة العلمية والاطمئنان وذلك لتوثيق العلماء له وتصحيح ائمة الحديث.

سنذكر من امثلة هذا النوع من المعجزات بضعة امثلة فقط من بين امثلتها الغزيرة.

المثال الاول:

■يروي القاضي عياض[1] عن سعد بن ابي وقاص وهومن العشرة المبشرين بالجنة وتولى خدمة النبي ﷺ واصبح أحد قواده، وقاد جيش الاسلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انه قال: «إن رسول الله ﷺ لَيُناوِلني السهمَ لا نَصْلَ لَهُ، فيقول: إرمِ به، وقد رمى رسول الله ﷺ يومئذٍ عن قوسه حتى اندقَّت» كانَ ذلك في غزوة أُحد، وكانت السهام التي لا نصلَ لها تَمرقُ كالمريّشة وتثبت في جسد الكفار.

■ وقال ايضاً[2]: «وأصيب يومئذٍ عين قتادة (بن النعمان) حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ» بيده المباركة الشافية «فكانت أحسنَ عينيه».
واشتهرت هذه الحادثة حتى ان أحد احفاد قتادة حينما جاء الى عمر بن عبدالعزيز عرّف نفسَه بانشاده الابيات الآتية: -

انا ابن الذي سالَت على الخدِّ عينُهُ
فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردّ

فعادت كما كانت لأول أمرها
فيا حُسنَ ما عينٍ ويا حُسنَ ما ردّ

■ وثبت ايضاً: انه جعل ريقَه على جراحة: «أثر سهمٍ في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد(★) قال: فما ضرب عليّ ولا قاح»[3] اذ مسحه رسول الله ﷺ بيده

(★) (ذي قرد): غزوة كانت بعد الحديبية (عن زاد المعاد).

المباركة.

المثال الثاني:

■ روى البخاري ومسلم وغيرهما: أن الرسول ﷺ اعطى الراية علياً يوم خيبر، وكان رمداً، فلما تفل في عينه اصبح ترياقاً لعينه فبرئت بأذن الله.[٤]

ولما جاء الغد أخذ علي باب القلعة وهو من حديد وكأنه ترس في يده، وفتح القلعة.

■ «ونفث على ضربةٍ بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت»[٥].

المثال الثالث:

■ «روى النسائي[٦] عن عثمان بن حُنَيف: ان اعمى اتى الى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ادعُ الله ان يكشف لي عن بصري. قال: أوَ أدعك؟ قال: يا رسول الله انه قد شقّ عليّ ذهاب بصري. قال: فانطلق فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل: اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبيّ الرحمة، يا محمد إني اتوجه الى ربك بك، ان يكشف لي عن بصري، اللهم شفّعه فيّ، وشفعني في نفسي فرجع وقد كشف الله عن بصره».

المثال الرابع:

■ «قطع ابو جهل يوم بدر يد معوّذ بن عفراء» أحد الاربعة عشر الذين استشهدوا في بدر «فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ والصقها فلصقت، رواه ابن وهب»[٧] وهو من ائمة الحديث ـ ثم عاد الى القتال فقاتل حتى استشهد.

■ «ومن روايته ايضاً: أن خُبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله ﷺ، بضربة على عاتقه حتى مال شقه، فردّه رسول الله ﷺ، ونفث عليه حتى صحّ»[٨].

فهاتان الحادثتان وان كانتا آحادية الاّ ان تصحيح الامام الجليل ابن وهب لهما، وكون وقوعهما في منبع المعجزات، بدر، ولوجود شواهد كثيرة من امثالهما يجعلهما لايشك أحدٌ في وقوعهما.

وهكذا فهناك الف مثال ومثال قد ثبت بالاحاديث الصحيحة، من ان يد الرسول الاعظم ﷺ اصبحت شفاء ودواء لذوي العاهات والمرضى.

«لو سطرت هذه القطعة بماء الذهب
ورصّعت بالالماس لكانت جديرة»

حقـاً! وكما مرّ سابقاً:

ان تسبيح الحصى وخشوعه في كفه ﷺ . .

وتحول التراب والحصيات فيها كأنها قذائف في وجوه الأعداء حتى ولّوا مدبرين بسر:

﴿وما رَمَيْتَ اذْ رَمَيْتَ ولكن الله رمى﴾

وانفلاق القمر فلقتين بأصبع من الكف نفسها كما هو نص القرآن الكريم: ﴿وانشق القمر﴾

وفوران الماء كعين جارية من بين الاصابع العشر وارتواء الجيش منه . .

وكون تلك اليد بلسماً للجرحى وشفاء للمرضى

ليبيّن بجلاء: مدى بركة تلك اليد الشريفة . .

ومدى كونها معجزة قدرة الهية عظيمة

لكأن كف تلك اليد:

زاوية ذكر سبحانية صغيرة بين الصحاب والاحباب لو دخل الحصى فيها لسبح وذكر . .

وترسانة ربانية صغيرة تجاه الاعداء لو دخل التراب فيها لتطاير تطاير القنابل . .

وتعود صيدلية رحمانية صغيرة للمرضى والجرحى، لو لامست داء لغدت له شفاء . .

وحينما تنهض تلك اليد تنهض بجلال فتشق القمر شقين باصبع منها

واذا التفتت التفاتة جمال فجّرت ينبوع رحمة يدفق من عشرة عيون تجري كالكوثر السلسبيل

فلئن كانت يد هذا النبي الكريم ﷺ موضع معجزات باهرة الى هذا الحد . . الا يدرك بداهةً:

مبلغ صدقه في دعوته

مدى حظوته عند ربه

ما اعظم ما يناله اولئك الذين يبايعون تلك اليد المباركة من سعادة واكرام؟

سؤال:

انك تقول في كثير من الروايات انها متواترة، بينما لم نسمع بها الّا الآن فهل يُجهل التواتر الى هذا الحد؟.

الجواب:

هناك امور كثيرة متواترة لدى علماء الشرع بينما هي مجهولة لدى غيرهم، فلدى علماء الحديث من الاحاديث المتواترة مالايعرف الّا بالاحاد. لدى سواهم.. وهكذا، فبديهيات ونظريات كل علم انمّا تُبيَّن حسب ماتواضع عليه اهل اختصاص ذلك العلم، أما بقية الناس فهم يعتمدون عليهم في ذلك العلم. فإما أنهم يستسلمون لقولهم، أو يعكفون على دراسة ذلك العلم فيجدون ما وجدوه.

فما أخبرنا عنه من المتواتر الحقيقي أو المعنوي، أو ماهو بحكم المتواتر من الحوادث، قد بيّن حكمَها رجالُ الحديث، وعلماء الشريعة وعلماء الاصول، واغلب العلماء الاخرين. فاذا جَهِلَه العوام الغافلون، أو مَن يغمض عينه عن العلم من الجهال، فلا يقع اللومُ الّا عليهم.

المثال الخامس:

■ أخرج الامام البغوي:[9] اصابت «ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت» فمسحها رسول الله ﷺ «فبرىء مكانه، ومانزل عن فرسه»

المثال السادس:

■ روى البيهقي وغيره «اشتكى علي بن ابي طالب، فجعل يدعو، فقال النبي ﷺ: اللهم اشفه أوعافه ثم ضربه برجله، فما اشتكى ذلك الوجع بعدُ»[10].

المثال السابع:

■ «كانت في كف شرحبيل الجعفي سلعةٌ تمنعه القبضَ على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي ﷺ، فمازال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثرٌ»[11].

(سلعة): زيادة تحدث في الجسد كالغدة، تكون على قدر الحمصة الى قدر البطيخة.
(يطحنها): يدير كفه عليها بقوة.

المثال الثامن:

ستة من الاطفال نالوا - كلٌ على حدة - معجزةً من معجزات الرسول الأكرم ﷺ.

الأول:

■ روى ابن ابي شيبة - وهو من ائمة الحديث - أنه: «اتته ﷺ امرأةٌ من خثعم معها صبي به بلاء لايتكلم، فأتي بماء، فمضمض فاهُ وغسل يديه، ثم اعطاها إياه، وأمرها بسقيه ومسّه به، فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضُل عقول الناس»[١٢].

الثاني:

■ «وعن ابن عباس: جاءت امرأة بابنٍ لهابه جنون، فمسح صدرَه فثعَّ ثعَّة فخرج من جوفه مثل الجر والاسود»[١٣] شيء اسود كالخيار الصغير - فشفي.

الثالث:

■ روى الامام البيهقي والنسائي[١٤]: «انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب، وهو طفل فمسح عليه ﷺ ودعا له» ونفخ نفخاً فيه ريقه الشريف فبرأ لحينه.

الرابع:

■ «ان النبي ﷺ أُتي بصبيّ قد شبّ» أي كَبُر «لم يتكلم قط، فقال: من أنا؟ فقال: رسول الله»[١٥] فانطقه الله.

الخامس:

■ اخرج امام العصر جلال الدين السيوطي - الذي تشرّف في اليقظة برؤية النبي ﷺ مراراً- أنه: جاء رسول الله ﷺ رجلٌ من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، فقال له رسول الله ﷺ يا غلام من أنا؟. فقال: انت رسول الله. قال: صدقت بارك الله فيك. ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شبّ فكان يسمى بمبارك اليمامة لدعاء النبي ﷺ له بالبركة.[١٦]

السادس:

■ «ودعا على صبي» خشن الطبع «قطع عليه الصلاة ان يقطع الله أثره

(انكفأت): انقلبت.

فأُقْعِد»[١٧] ونال جزاء فظاظته.

السابع:

■ «سألته جارية طعاماً وهو يأكل، فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحياء، فقالت: انما أريد من الذي في فيك، فناولها ما في فيه، ولم يكن يُسأل شيئاً فيمنعه. فلما استقرّ في جوفها أُلقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأةٌ بالمدينة أشدّ حياء منها»[١٨].

* * *

وهكذا فهناك امثلة غزيرة تربو على الثمانمئة مثال كهذه التي ذكرناها، وقد بيّنت كتب الاحاديث والسير معظمها.

نعم، لما كانت اليد المباركة للرسول الكريم ﷺ كأنها صيدلية لقمان الحكيم، وبصاقه كانه ماء عين الحياة لخضر عليه السلام، ونفثه كأنه نفث عيسى عليه السلام في الشفاء، وان بني البشر يتعرضون للمصائب والبلايا، فلا ريب انه قد أتى اليه مالا يحد من المرضى والصبيان والمجانين ولا شك انهم قد شفوا جميعاً من امراضهم وعاهاتهم. حتى ان طاووساً اليماني وهو من ائمة التابعين المشهور بزهده وتقواه إذ حج اربعين مرة وصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء اربعين سنة، ولقي كثيراً من الصحابة الكرام، هذا العالم الجليل يخبر جازماً فيقول: مامن مجنون جاء الى النبي ﷺ ووضع يده الشريفة على صدره الاّ شفي من جنونه.

فإذا اخبر امام كالطاووس اليماني - الذي ادرك الصحابة الكرام - هذا الخبر الجازم فلا ريب أنه قد جاء الى النبي ﷺ كثير جداً من المرضى، ربما يبلغ الالوف وكلهم شفوا من امراضهم.

هوامش على الاشارة الثالثة عشرة

(١) الشفا (١/٣٢٢). رواه ابن اسحق والبيهقي عن عاصم مرسلاً (على القارى ١/٦٥١). وفي «المجمع» (٦/١١٣) من حديث سعد بن ابي وقاص، قال الهيثمي: رواه البزار وفيه عثمان الوقاصي وهو متروك

(٢) الشفا (١/٣٢٢) حديث ردّ عين قتادة وقعت في بعض الروايات انها في غزوة أحد. ففي «المجمع» (٦/١١٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه وعزاه في «الكنز» (١٢/٣٧٧) لابن عساكر. وورد في بعض الروايات انها في غزوة بدر كما في «الكنز» (١٢/٣٧٦) عزاها لأبي يعلى وابن عدي في «الكامل» والبغوي والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر.. انظر تفصيل

تخريج هذا الحديث في زاد المعاد المحقق (٣/١٨٦-١٨٧).

(٣) الشفا (١/٣٢٢) اي ما ألمي ولا سال منه قيح. وهذا حديث صحيح رواه الترمذي والبيهقي (الخفاجي ١١٣/٣).

(٤)صحيح: انظر البخاري (٤/٥٨، ٦٥، ٧٣، و ٥/٢٣، ١٧١) ومسلم (١٢/١٨٥، ١٧٨/١٥). لمعرفة اصل الحديث.

(٥)صحيح: انظر البخاري (٥/١٧٠)، سنن ابي داود (٢/٣٣٩)، ورواه أحمد (الفتح الرباني للساعاتي (٢٢/٢٥٩).

(٦)صحيح: واللفظ له، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. ورواه الامام أحمد والطبراني في الكبير والصغير وابن السني (صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٩٠).

(٧) الشفا (١/٣٢٤).

(٨) الشفا (١/٣٢٤). ورواه البيهقي عن ابن اسحق (على القارى ١/٦٥٦) وفي البداية والنهاية (٦/١٦٤) رواية الامام أحمد باسناده.

(٩) في معجمه (على القارى ١/٦٥٦) و(الخفاجي ١١٨/٣). الشفا (١/٣٢٣). قال الهيثمي في «المجمع» (٦/١٣٤): رواه الطبراني وفيه من لم اعرفه، ويعقوب محمد الزهري ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان.

(١٠) الشفا (١/٣٢٣). رواه أحمد (١/١٠٧) وبنفس الاسناد في فضائل الصحابة (١١٩٢) وفي المسند ايضاً (١/٨٣) عن يحي عن شعبة، وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيقه المسند (برقم ٦٣٧، ٢/٥٤) و(١/١٢٨) عن وكيع عن شعبة، ورواه الترمذي (٣٦٣٥) «تحفة الاحوذي» وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه العلامة أحمد شاكر (برقم ٦٣٨) وحسنه محقق جامع الاصول (٦٥١٣) وزاد المباركفوري نسبته الى الحاكم وابن حبان، والحديث ضعفه محقق مشكاة المصابيح (٣/٢٤٧). وقد فصّل محقق فضائل الصحابة مدار الاختلاف.

(١١) الشفا (١/٣٢٤). رواه الطبراني ومخلد ومن فوقه لم اعرفهم وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٢٩٨/٨). وزاد على القاري نسبته الى البيهقي (١/٦٥٧).

(١٢) الشفا (١/٣٢٤) رواه ابن ماجه برقم (٣٥٣٢) من حديث ام جندب رضي الله عنها.

(١٣)ضعيف: الشفا (١/٣٢٤). رواه الامام أحمد وابن ابي شيبة والبيهقي، وقد ذكره أحمد من طريقين (على القارى ٦٥٧/١) قال أحمد شاكر في تحقيقه المسند: اسناده ضعيف بضعف فرقد السبخي (٤/١٣٦) واورده الهيثمي في «المجمع» (٩/٢) من حديث ابن عباس قال: رواه أحمد والطبراني وفيه فرقد السبخي وثقه ابن معين والعجلي وضعّفه غيرهما. ورواه الدارمي في سننه (١/١١/١٢) واسناده ضعيف كما قال محقق المشكاة (٥٩٢٣) وورد حديث صحيح بشفاء صبي من الجنون في المسند (٤/١٧٢) صححه محقق المشكاة (٥٩٢٢).

(١٤) الشفا (١/٣٢٤) ورواه الطيالسي مسنداً مصححاً (الخفاجي ٣/١٢١). قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني والحرث بن محمد بن حاطب لم اعرفه وبقية رجاله ثقات (٩/٤١٥). البداية والنهاية (١/٢٩٥) وانظر المستدرك للحاكم ٤/٦٢-٦٣.

(١٥) الشفا (١/٣١٩). رواه وكيع ورفعه عن فهد، ورواه البيهقي ايضاً (الخفاجي ٣/١٠٥) وانظر تفصيل الحديث في البداية والنهاية (٦/١٥٨ - ١٥٩).

(١٦) الشفا (١/٣١٩). قال السيوطي: حديث حسن (الخفاجي ٣/١٠٥). وقد عزاه صاحب كنز العمال (٤ / ٣٧٩) لابن النجار وفيه محمد بن يونس.

(١٧) الشفا (١/٣٢٨). رواه ابو داود والبيهقي وابن حبان (الخفاجي ١٣٧/٣)

(١٨) الشفا (١/٣٢٥). قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٣١٢): رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الالهاني وهو ضعيف واورد له في «المجمع» طريق اخرى.

الاشارة الرابعة عشرة

ومن انواع معجزاته ﷺ نوع عظيم، وهو الخوارق التي ظهرت بدعائه، فهذا النوع لاشك فيه ومتواتر تواتراً حقيقياً، وامثلتها وجزئياتها وفيرة جداً لاتحصر، وقد بلغ كثير من امثلتها درجة المتواتر، بل صارت مشهورة قريبة الى التواتر، ومنها ما نقله ائمة عظام بحيث يفيد القطعية فيه كالمتواتر المشهور.

ونحن هنا نذكر على سبيل المثال بعضاً من امثلتها الكثيرة جداً التي هي قريبة من المتواتر، أو التي هي بدرجة المشهور، كما سنذكر جزئياتٍ من كل مثال:

المثال الاول:

■ روى ائمة الحديث وفي مقدمتهم البخاري ومسلم ان دعاء النبي ﷺ كان يستجاب في الحال، وحدث ذلك مراراً كثيرة، حتى انه كان يرفع يديه احياناً للاستسقاء وهو على المنبر، فيستجاب له قبل ان ينزل، وهذه الروايات ثابتة بلغت حد التواتر. وقد ذكرنا آنفاً: انه اصاب الناس عطش في السفر، فكان السحاب يتراكم في كل مرة يحتاجون الى الماء فيسقوا ثم يقلع.

■ بل كان دعاؤه ﷺ يستجاب حتى قبل النبوة، فكان عبدالمطلب جد النبي ﷺ يستسقي بوجهه الكريم في صباه، فكان المطر ينزل. وقد اشتهرت هذه الحادثة حتى ذكرها عبدالمطلب في بعض اشعاره.

■ ولقد استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس عم النبي بعد وفاته ﷺ فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون»[1]

■ وروى الشيخان ان الرسول ﷺ سئل ان يغيثهم الله بالمطر «فدعا ﷺ في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا»[2].

المثال الثاني:

■ وردت رواية مشهورة قريبة من التواتر انه ﷺ حينما كان المؤمنون قلة

ويكتمون ايمانهم وعبادتهم «دعا بعزّ الاسلام بعمر رضي الله عنه أو بابي جهل فاستجيب له في عمر» اذ قال: «اللهم أعزّ الاسلام بابي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فأصبح فغدا عمر على رسول الله ﷺ فأسلم»[٣] فكان سببا لعزّ الاسلام ولذلك دُعي بالفاروق.

المثال الثالث:

ولقد دعا النبي الكريم ﷺ لبعض الصحابة لمقاصد شتى فاستجيب له استجابةً خارقة، حتى وصلت كرامة تلك الادعية درجة الاعجاز.

■ من ذلك ماروى البخاري ومسلم وغيرهما أنه: «دعا لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل»[٤] فَسُمّي بعدُ الحبر وترجمان القرآن حتى كان عمر رضي الله عنه يأذن لابن عباس - مع حداثة سنّه - ان يجلس في مجلس اكابر الصحابة الاجلاء.[٥]

■ وروى البخاري وغيره «عن انس رضي الله عنه قال: قالت امي: يارسول الله خادمك أنس ادعُ الله له. قال: اللهم أكثر ماله وولَده وبارك له فيما آتيته، وفي رواية عكرمة قال انس: فوالله ان مالي لكثير وان وَلَدي وولد ولدى ليعادّون اليوم على نحو المائة. وفي رواية فما اعلم أحداً اصاب من رخاء العيش ماأصبتُ، ولقد دفنتُ بيديّ هاتين مائة من ولدى لااقول سقطاً ولا ولد ولد»[٦] وكان كل ذلك ببركة دعاء النبي ﷺ.

■ وروى الامام البيهقي وغيره من ائمة الحديث انه ﷺ «دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة» وهو احد العشرة المبشرين بالجنة فاصاب مالاً وفيراً ببركة ذلك الدعاء حتى أنه «تصدّق مرّةً بعيرٍ فيها سبعمائة بَعير وَرَدَتْ عليه تحمل من كلّ شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها واحلاسها»[٧] فما شاء الله في هذه البركة وتبارك الله.

■ وروى البخاري وغيره انه ﷺ دعا لعروة بن ابي الجعد بالبركة في تجارة له. فقال: «فلقد كنت اقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين الفاً. وقال البخاري في حديثه، فكان لو اشترى التراب ربح فيه»[٨]

■ «دعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئاً الاّ ربح

(الكناسة): موضع سوق بالكوفة.

فيه»[٩] حتى اشتهر في زمانه بالثروة والمال بمثل مااشتهر بالكرم والسخاء.

ولهذا النوع امثلة كثيرة جداً اوردنا هذه الاربعة على سبيل المثال.

■ وروى الامام الترمذي: انه ﷺ دعا لسعد بن ابي وقاص فقال: اللهم استجب لسعد اذا دعاك [١٠]. فكان مستجاب الدعوة يرهب الناس من دعائه عليهم.

■ «وقال لابي قتادة: افلح وجهُك، اللهم بارك له في شَعره وَبَشَره. فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة»[١١]

وقد اشتهرت هذه الرواية الثابتة.

■ وعندما أنشد الشاعر المشهور النابغة بين يديه ﷺ:

بَلَغنـا السمـا في مجـدنـا وسَنـائِنـا
وإنّـا نريـد فوق ذلـك مظـهـراً

قال له الرسول ﷺ: الى اين ياأبا ليلى؟ قال: الى الجنة يارسول الله.

ثم أنشد قصيدة اخرى تحمل معاني جليلة، فقال الرسول ﷺ: «لايَفْضُض الله فاك» «فما سقطت له سن، وكان احسن الناس ثغراً، اذا سقطت له سنٌ نبتت له اخرى. وعاش عشرين ومائة. وقيل اكثر من هذا»[١٢].

■ وفي رواية صحيحة انه ﷺ دعا لعلي رضي الله عنه، فقال: اللهم اكفه الحر والقر. فكان ببركة هذا الدعاء «يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولايصيبه حرّ ولا برد»[١٣]

■ «ودعا لابنته فاطمة الاّ يجيعها الله. قالت: فما جعتُ بعد»[١٤]

■ «وسأله الطفيل بن عمرو آيةً لقومه، فقال: اللهم نوّر له. فسطع له نورٌ بين عينيه، فقال: يارب اخاف ان يقولوا: مُثْلة، فتحول الى طرف سوطه، فكان يضيء في الليلة المظلمة، فسمي ذا النور»[١٥]

فهذه الحوادث لاريب في رواياتها قط.

■ «عن ابي هريرة قال: قلت يارسول الله اني اسمع منك حديثاً كثيراً أنساه. قال: ابسط رداءك فبسطتُه. قال: فغرف بيديه، ثم قال: ضمه، فضممته،

فما نسيتُ شيئاً بعده»[١٦]

فهذه الحوادث من الاحاديث المشهورة.

المثال الرابع:

نبين عدة امثلة في صدد استجابة ادعيةٍ دعا بها النبي ﷺ على بعض من الناس.

■**الأول**: جاء الخبر الى النبي ﷺ بتمزيق ملك الفرس المسمى پَرْويز كتاب النبي ﷺ فقال: اللهم مَزّقه. فمُزِّق كلَّ ممزق اذ قتل شيرويه ابن الملك اباه بالخنجر، ومزَّق سعد بن ابي وقاص مُلكه «فلم تبق له باقية ولابقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا»[١٧] بينما ظل مُلك قيصر وسائر الملوك لاحترامهم كتب الرسول ﷺ اليهم.

■**الثاني**: ثبت بالحديث المشهور القريب من المتواتر - وبما ترمز اليه الآية الكريمة - انه اجتمع رؤساء قريش في المسجد الحرام وعاملوا النبي ﷺ معاملة سيئة فدعا عليهم، وسمّاهم. قال ابن مسعود: «فلقد رأيتُهم قُتلوا يوم بدر»[١٨].

■ **الثالث:**

ودعا على مضر وهي قبيلة عظيمة، بما كذبته، «فأُقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسُقوا»[١٩] هذه الرواية قريبة من التواتر.

المثال الخامس:

هو استجابة دعاء النبي ﷺ الذي دعا به على رجال معينين، نذكر على سبيل المثال ثلاثة من بين امثلته الكثيرة.

■**الاول**: دعا على عتبة بن ابي لهب، وقال: «اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك»[٢٠]. فسافر عتبة بعد ذلك فجاء اسد يبحث عنه، فاخذه من بين القافلة وأكله.

هذه الحادثة مشهورة نقلها ائمة الحديث وصححوها.

■**الثاني**: بعث الرسول ﷺ سرية وعلى رأسها عامر بن الأضبط، وكان محلِّم بن جثّامة في معيته، فاغتاله محلِّم غدراً، فلما جاء الخبر الى النبي ﷺ غضب وقال: اللهم لاتغفر لمحلِّم، فمات محلِّم بعد سبعة أيام. «فلفظته

الارض ثم وورى فلفظته مرات، فالقوه بين صُدَّين وضموا عليه بالحجارة - الصُدُّ جانب الوادي -»[٣١]

■**الثالث**: «وقال لرجل رآه يأكل بشماله: كل بيمينك، قال: لا استطيع فقال: لااستطعت، فلم يرفعها الى فيه»[٣٢]

المثال السادس:

سنذكر عدة خوارق ثابتة ثبوتاً قطعياً من تلك التي ظهرت بدعاء النبي ﷺ وبلمسه.

■**الاول**: ان النبي ﷺ اعطى شعرات من شعره الى خالد بن الوليد (سيف الله) ودعا له بالنصر، فوضعها خالد في قلنسوته «فلم يشهد بها قتالاً الاّ رُزق النصر»[٣٣].

■**الثاني**: ان سلمان الفارسي كان عبداً لليهود، فكاتبه «مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تَعْلَقْ وتُطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب، فقام ﷺ وغرسها له بيده الاّ واحدةً غرسها غيره، فأخذت كلها الاّ تلك الواحدة فقلعها النبي ﷺ وردّها فأخذت - وفي كتاب البزار - فاطعم النخلُ من عامه الاّ الواحدة فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فاطعمت من عامها. واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن ادارها على لسانه، فوزن منها لمواليه اربعين أُوقية وبقي عنده مثل ماعطاهم»[٣٤] هذه الحادثة هي من الخوارق المهمة التي مرت بحياة سلمان الفارسي رضي الله عنه، رواها الائمة الثقات.

■**الثالث**: «كان لأم مالك الصحابية عكةٌ تُهدي فيها للنبي ﷺ سمناً، فأمرها النبي ﷺ ان لاتعصرها، ثم دفعها اليها، فاذا هي مملوءة سمناً، فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء، فتعمد اليها، فتجد فيها سمناً، فكانت تقيم إدمها حتى عصرتها»[٣٥] فلم يجدوا فيها شيئاً بعد ذلك.

المثال السابع:

ان المياه المرة تتحول الى عذبة حلوة وتفوح منها رائحة طيبة ببركة دعاء النبي ﷺ ولمسه لها. نسوق بضعة امثلة فقط:

(عكة): صغر من جلد يوضع فيه السمن غالباً.

■ الأول: روى البيهقي وائمة الحديث ان بئر «قبا» كانت تنزف في بعض الاحيان «وسكب من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت بعد»[٢٦]

■ الثاني: روى ابو نعيم في دلائل النبوة، ورجال الحديث. انه كان في دار أنس بئر فبزق ﷺ فيها ودعا «فلم يكن في المدينة اعذب منها»[٢٧]

■ الثالث: روى ابن ماجه انه «أتي بدلوٍ من ماء زمزم فمجّ فيه فصار اطيب من المسك»[٢٨].

■ الرابع: روى الامام احمد بن حنبل أنه ﷺ أتي بدلو من بئر فمجّ فيه ثم افرغ فيها فصارت اطيب من المسك.[٢٩]

■ الخامس: روى حماد بن سلمة وهو من الرجال الموثوقين الذين يزوي عنهم الامام مسلم، أنه ﷺ ملأ «سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه» وأعطاه لصحابة كرام وأمرهم ألاّ يحلوه الاّ للوضوء. «فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلّوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه»[٣٠].

هذه الامثلة الخمسة الجزئية مشهورة بعضها، وينقلها ائمة اعلام. فهذه والتي لم نذكرها هنا بمجموعها تحقق بالتواتر المعنوي هذه المعجزة بصورة مطلقة.

المثال الثامن

الشياه التي درّت ضرعها باللبن ببركة دعاء النبي ﷺ ولمسه لها بعد ماجفت. هناك امثلة كثيرة جداً لهذا الاّ اننا نذكر ثلاثة منها مشهورة وثابتة.

■ الاول: روت جميع كتب السير الموثوق بها أن الرسول الاكرم ﷺ لما هاجر ومعه ابو بكر الصديق مرّ على خباء عاتكة بنت خالد الخزاعي المدعوة بأم معبد، فنزل عندها وكان لها شاة عجفاء لا لبن فيها فقال لها: أليس بها لبن؟ فقالت أم معبد: ليس فيها دم فمن اين اللبن؟. فمسّ ﷺ ظهرها ومسح ضرعها، ثم قال: ائتوا باناء واحلبوها، فحلبوها فشرب ﷺ هو وابو بكر الصديق وبقيت في الاناء بقية فشرب من كان في الخباء الى ان شبعوا جميعاً. وهكذا بقيت تلك الشاة مباركة قوية.[٣١]

■ الثاني: قصة شاة ابن مسعود رضي الله عنه وهي:

«عن ابن مسعود قال: كنت ارعى غنماً لعقبة بن ابي معيط، فمر بي

رسول الله ﷺ وابو بكر، فقال: ياغلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن. قال: فهل من شاة لم ينزعليها الفحل؟. فأتيته بشاة فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلبه في اناء، فشرب وسقى ابا بكر...»[٣٢] وكان هذا سبب اسلام ابن مسعود رضي الله عنه.

■ الثالث: قصة «غنم حليمة السعدية[٣٣] مرضعته ﷺ»، وهي قصة مشهورة حيث كان في تلك السنة قحطٌ اصاب أرض قومها. فكانت الأغنام عجافة، جافّة الضروع، لم ترعَ حتى الشبع. فلما أرسل الرسول ﷺ الى حليمة السعدية صارت اغنامها تأتي المرعى وقد رعتْ كثيراً ودرّ لبنها، وغنم قومها على خلاف ذلك. وما ذاك الاّ ببركته ﷺ.

وهناك امثلة كثيرة اخرى في كتب السير، والتي اوردناها تكفي مانحن بصدده.

المثال التاسع:

نذكر بضعة امثلة من الامثلة الكثيرة المشهورة للخوارق التي ظهرت عند مسح الرسول ﷺ رؤوس بعضهم ووجوههم بيده ودعائه لهم:

■ الاول: «مسح على رأس عُمير بن سعد وبرّك، فمات وهو ابن ثمانين، فما شاب»[٣٤]

■ الثاني: «ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له. فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض وموضع كف النبي ﷺ وممرّت يده عليه من شعره أسود، فكان يُدعى الأغر»[٣٥]

■ الثالث: «ومسح رأس عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير، وكان دميماً ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولاً وتماماً»[٣٦]

■ الرابع: «مسح الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جُرح يوم حُنين ودعا له فكانت له غرّة كغرّة الفرس»[٣٧]

■ الخامس: «مسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريقٌ حتى كان يُنظَر في وجهه كما يُنظر في المرآة»[٣٨]

(مسّ) مسح

■ السادس: «نضح في وجه زينب (وهي صغيرة) بنت ام سلمة نضحة من ماء» كان يتوضأ به «فما يُعرف كان في وجه امرأة من الجمال مابها»[٣٩]

* * *

وهناك امثلة كثيرة كهذه الجزئيات التي اوردناها رواها ائمة الحديث فهي بمجموعها تفيد التواتر المعنوي وتبين وقوع المعجزة الاحمدية المطلقة. فحتى لو فرضنا ان كل واحد من هذه الامثلة خبراً آحادياً، وضعيفاً، فان مجموعها يكون بحكم المتواتر المعنوي كذلك. لأنه لو نقلت حادثة ما في صور متباينة وروايات مختلفة، فهذا يعني ان الحادثة واقعة لاشك فيها الاّ ان رواياتها وصورها مختلفة أو ضعيفة.

فمثلاً: اذا سُمع في مجلس دويّ، فقال بعضهم: انهدم بيت فلان، وقال آخر: انهدم بيت شخص آخر. وقال آخر: بيت فلان.. وهكذا فكل رواية من هذه الروايات مع انها آحادية وضعيفة أو مخالفة للواقع الاّ ان الحادثة الاصلية لاشك في وقوعها، وهي انهدام بيت. فالروايات بمجموعها تفيد قطعية وقوع الحادثة وهي متفقة في الاصل. بينما الامثلة الجزئية التي ذكرناها روايات صحيحة كلها، حتى أن بعضاً منها بلغ درجة المشهور. فلو فرضنا أن كلاً منها ضعيفة لكانت دلالة مجموعها ايضاً دلالة قطعية على وجود المعجزة الاحمدية مثلما دلت الروايات في المثال على انهدام بيت من البيوت.

وهكذا فكل نوع من انواع المعجزات الاحمدية الباهرة ثابت لاريب فيه. وما جزئياتها الاّ نماذج وصور مختلفة لتلك المعجزة المطلقة.

وكما ان يده ﷺ واصابعه وريقه ونفثه واقواله - اي دعاءه - منشأ لكثير من المعجزات، فان جميع لطائفه الاخرى وحواسه واجهزته مدار لكثير من الخوارق ايضاً. وقد بينت كتب السيرة والتاريخ تلك الخوارق واوضحت كثيراً من دلائل النبوة التي هي في سيرته وصورته وجوارحه ومشاعره ﷺ.

هوامش على الاشارة الرابعة عشرة

(١)صحيح. حديث الاستسقاء بالعباس رواه البخاري (٢ / ٣٥) كتاب الاستسقاء و (٥ / ٢٥ باب مناقب الصحابة.

(٢)صحيح. الشفا (١ / ٣٢٧). رواه الشيخان (على القاري ١ / ٦٦)

(٣)صحيح. رواه الترمذي (٣٦٨٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وأقره محقق المشكاة (٦٠٣٦) فوهم لأن الرواية التي في المشكاة عن ابن عباس قال فيها الترمذي (٣٧٦٦ تحفة الاحوذي) هذا حديث غريب من هذا الوجه. وحديث ابن عباس اخرجه احمد في المسند كما قال صاحب تحفة الاحوذي، وحديث ابن عمر عزاه محقق جامع الاصول (٧٤٢٨) لأحمد وابن سعد في الطبقات والبيهقي في دلائل النبوة. وصححه ابن حبان. وحديث ابن عمر وابن عباس حسنهما محقق جامع الاصول.

(٤)صحيح. الشفا (١ / ٣٢٧) كما رواه الشيخان (على القاري ١ / ٦٦١) (الخفاجي ١٣٠/٣). والحديث بهذا السياق ليس في الصحيحين بل هو عند احمد وغيره باسناد صحيح: قال الارناؤوط في تخريج (جامع الاصول ٩ / ٦٣) وانما هي عند احمد في المسند (١ / ٢٦٤، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥). ورواها ايضا ابن حبان والطبراني، وليست في الصحيحين بهذا اللفظ، ولذلك قال المصنف رحمه الله: ولم اجده في الكتابين، وقال الحميدي: هذه الزيادة ليست في الصحيحين، وقال الحافظ في (الفتح) وهو كما قال. وذكر الحافظ في موضع آخر: وهذه اللفظة «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» اشتهرت على الألسنة حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم يصب. والحديث عند احمد بهذا اللفظ. أورده الحاكم في المستدرك (٥٣٤/٤) وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه. واقره الذهبي. وانما روى منه مسلم قوله «اللهم فقهه» اهـ. ورواه البخاري (١ / ٢٩) بلفظ «اللهم علمه الكتاب». وفي رواية له (٥ / ٣٤) «اللهم علمه الحكمة» ورواه الترمذي وابن ماجه بالفاظ مقاربة.... وقد ذكرت كل هذا ليتبين للقارئ الكريم كيف أن الاستاذ النورسي معذور في نسبته الحديث بهذا السياق للصحيحين اذ إن كبار المحدثين أمثال التبريزي وعلى القاري، والقاضي عياض والخفاجي وغيرهم قد وقعوا في مثل هذا الأمر علما انهم متخصصون في الحديث وهم بين المصادر الحديثية، بينما الاستاذ النورسي الذي اكرمه الله بكتابة هذه المعجزات بعيد عن المصادر كليا. علما أن الحديث الذي ذكره الاستاذ صحيح. فالحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات.

(٥)صحيح. اخرجه احمد (١ / ٣٣٨) وبعض الاسناد اورده في فضائل الصحابة برقم (١٨٧١) وصححه المحقق، والحديث عند البخاري وفي معجم وابن سعد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي (راجع تخريجه مفصلا في فضائل الصحابة)

(٦)صحيح. انظر البخاري (٨ / ٩٣، ١٠٠) ومسلم برقم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) ورواه احمد (٤٣٠/٦، ١٩٠/٣) وانظر تحفة الاحوذي (١٠ / ٣٣٠) ومسلم (٤ / ١٩٢٩) والفتح الرباني (٢٠٣/٢٢). بسياقات مختلفة مع السياق المذكور

(٧) الشفا (١ / ٣٢٦) (على القاري ١ / ٦٥٩). (الخفاجي ٣ / ١٢٥)

(٨)صحيح. «عن عروة أن النبي ﷺ اعطاه دينارا يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين. فباع احداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه» (البخاري ٢٥٢/٤ باب علامات النبوة). ورواه احمد (الفتح الرباني ٢٢ / ٣٢٦) وفيه: فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه» فلقد رأيتني اقف بكناسة الكوفة فاربح أربعين الفاً قبل ان اصل الى اهلي.

(٩) صحيح. الشفا (١ / ٣٢٧) رواه ابو يعلى والطبراني. ورجالهما ثقات (مجمع الزوائد ٥ / ٢٨٦)

(المطالب العالية برقم ٤٠٧٨، ٤٠٧٧). ورواه احمد ورجاله ثقات، كذا في المجمع.

(١٠)صحيح: رواه الترمذي في المناقب (٣٧٥٢، ٦٤٩/٥) باب مناقب سعد بن ابي وقاص. ورواه ابن حبان في صحيحه (برقم ١٢٢١٥) والحاكم (٤٩٩/٣) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن ابي عاصم في السنة (١٣٨ ب) وابونعيم في الحلية (٩٣/١) وفي الدلائل (٢٠٦/٣) واخرجه ابن سعد (١٤٢/٣) بغير هذا السند (المشكاة ٢٥١/٣ برقم ٦١١٦) و(تحفة الاحوذي ٣٨٣٥، ٢٥٣/١٠ - ٢٥٤) (فضائل الصحابة ٧٥٠/٢ برقم ١٠٣٨) (جامع الاصول ١٦/١٠ برقم ٦٥٣٥) قال المحققون الثلاثة: اسناده صحيح.

(١١) الشفا (٣٢٧/١). رواه البيهقي في الدلائل (الخفاجي ١٢٨/٣)

(١٢) على القاري (٦٦١/١). والاصل مشابه لعلي القاري والخفاجي. وفي الاصابة:

بلغنا السما مجدُنا وجدودنا
وانا لنبغي فوق ذلك مظهراً

وكذا في اخبار اصبهان لأبي نعيم، ومسند الحارث (٦/٢) وقد اخرج بعضه البزار والحسن بن سفيان في مسنديهما كلهم من طريق يعلى بن الاشدق، وهوساقط الحديث لكنه توبع، كذا في الاصابة، واما سند الحارث ففيه من لم يُسمّ (المطالب العالية رقم ٤٠٦٥) (الاصابة رقم ٨٦٣٩) وقد ذكر ان الحديث رواه الشيرازي في الالقاب وذكر للحديث طرق اخرى.

وذكر سياق الحديث ابن كثير في البداية والنهاية (١٦٨/٦) وعزاه للحافظ ابو بكر البزار والبيهقي من طريق اخرى، زاد فيها بعد ذكره لسياق الحديث قول النبي ﷺ: أجدت لا يفضض الله فاك قال يعلى: فلقد رأيته ولقد اتى عليه نيفٌ ومائة سنة وماذهب له سن.

(١٣)قال الهيثمي في المجمع، عن عبدالرحمن بن ليلى (١٢٢/٩): في احد اسانيد هذا الحديث، رواه الطبراني في الاوسط واسناده جيد. وفي كتاب فضائل الصحابة للامام احمد برقم (٩٥٠) واسناده ضعيف لأجل محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى. ورواه ابن ماجة (١١٧، ٤٣/١ - ٤٤). والحديث ضعّفه محقق الفضائل، واخرجه في المسند الامام احمد (٩٩/١، ١٣٣) بالسند ذاته وحسّنه العلامة احمد شاكر في تحقيقه المسند (١٢٠/٢) وفيه نظر.

وقال الخفاجي (١٣٣/٣): رواه البيهقي وابن ماجه بسند صحيح متصل بعلي رضي الله عنه

(١٤) الشفا (٣٢٨/١) في حديث رواه البيهقي عن عمران بن الحصين (الخفاجي ١٣٤/٣). قال الهيثمي في المجمع (٢٠٣/٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه عتبة بن حميد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة، وبقية رجاله وثقوا.

(١٥) الشفا (٣٢٨/١) رواه ابن اسحق بلا اسناد والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي (الخفاجي ١٣٤/٣) (على القاري ٦٦٢/١)

(١٦)صحيح: رواه البخاري (٤١/١، ٢٥٣/٤) واللفظ له. ورواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقد روي من غير وجه عن ابي هريرة (٣٣٤/١٠ برقم ٣٩٢٣ تحفة الاحوذي) اهـ. انظر تحقيق الارناؤوط على جامع الاصول (٩٥/٩). وقد ورد الحديث بغير هذا السياق، انظر البخاري (٦٨/٣) كتاب البيوع و(١٤٣/٣) كتاب الحرث والمزارعة (١٣٣/٩) كتاب الإعتصام. ومسلم برقم (٢٤٩٢) ورواه احمد (٢٤٠/٢، ٢٧٤، ٤٢٧) وانظر الفتح الرباني (٤٠٥/٢٢، ٤٠٩ - ٤١٠). والترمذي (٣٣٤/١٠ - ٣٣٥ برقم ٣٩٢٤)، وابونعيم في الحلية (٣٨١/١) والاصابة برقم (١١٩٠) والبداية والنهاية (١٦٢/٦).

(١٧) صحيح:

الشفا (٣٢٨/١) في حديث رواه البخاري (١٠/٦) واحمد (الفتح الرباني ١٥٩/٢٢) من حديث ابن عباس.

(١٨) صحيح:

عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وابوجهل واصحاب له

جلوس، وقد نحرت جزور بالامس. فقال ابو جهل: ايكم يقوم الى سلاجزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد، فانبعث اشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وانا قائم انظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان اذا دعا دعا ثلاثاً واذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش ثلاث مرات» فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط، وذكر السابع ولم احفظه فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمّى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر» (صحيح مسلم ١٤١٨/٣ برقم ١٧٩٤) ورواه البخاري (٥٧/٥، ٩٤). ورواه أحمد (١٧/١؛).

(١٩) صحيح:

عن ابي الضحى عن مسروق قال: اتيت ابن مسعود فقال: ان قريشاً ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله. فقرأ ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم بدر، قال: وزاد اسباط عن منصور: فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعاً وشكا الناس كثرة المطر. قال: اللهم حوالينا ولا علينا، فانحدرت السحابة من رأسه فسقوا الناس حولهم» (البخاري ٣٧/٢ كتاب الاستسقاء باب اذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط).

(٢٠) الشفا (٣٢٩/١) راجع الهامش (٢٥) للاشارة السادسة.

(٢١) حسن: أخرجه ابن ماجة ٣٩٣٠ من حديث عمران بن الحصين. قال البوصيري في الزّوائد عن الطّريق الأولى: هذا اسناد حسن. والسّميط وثّقه العجلي، وروى له مسلم في صحيحه، وعاصم هو الأحول، ويروى له مسلم ايضًا في صحيحه، وذكره ابن حبّان في الثّقات. وسويد بن سعيد مختلف فيه. أهـ. قلت: والحديث حسن له متابع أخرجه ابن ماجة، وقال البوصيري: هذا اسناد حسن، لأن اسماعيل بن حفص مختلف فيه وباقي رجال الاسناد ثقات. أهـ. وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٣١٧٥

(٢٢) صحيح: الشفا (٣٢٩/١) في حديث رواه مسلم عن سلمة برقم (٢٠٢١).

(٢٣) صحيح: الشفا (٣٣١/١) في حديث رواه الطبراني وابو يعلي بنحوه ورجالهما رجال الصحيح وجعفر سمع من جماعة من الصحابة، فلا ادري سمع من خالد أم لا؟ كما في مجمع الزوائد (٣٤٩/٩) قال محقق المطالب العالية: قال البوصيري: رواه ابو يعلي بسند صحيح (المطالب العالية ٩٠/٤ رقم ٤٠٤٤)

(٢٤) حسن: جزء من حديث طويل جداً فيه سياق قصة اسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، والحديث اخرجه أحمد (٤٤١/٥ - ٤٤٢) وابن سعد في الطبقات (٥٣/٤ - ٥٧) من حديث ابن عباس واورده الهيثمي في «المجمع» (٣٣٢/٩ - ٣٣٦) وقال: رواه أحمد كله والطبراني في الكبير بنحوه ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن اسحق وقد صرح بالسماع اهـ. وحسّنه صاحب سلسلة الاحاديث الصحيحة (٨٩٤) وقال: وروى قطعة منه الحاكم (١٦/٢) من هذا الوجه. وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. كذا قالا!

(٢٥) صحيح: الشفا (٣٣٢/١) في حديث رواه مسلم برقم (٢٢٨٠) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه

(٢٦) الشفا (١/ ٣٣١) رواه البيهقي عن أنس متصلا (الخفاجي ٣/ ١٤٩).
(٢٧) الشفا (١/ ٣٣١)
(٢٨) الشفا (١/ ٣٣٢) رواه ابن ماجه برقم (٦٥٩) قال في الزوائد: اسناده منقطع، لأن عبدالجبار بن وائل لم يسمع من ابيه شيئا، قاله ابن معين وغيره. اهـ. وانظر تخريج الحديث الذي يليه، فالحديث صحيح

(٢٩) صحيح: رواه أحمد من طريقين (٢٢/٦٧ الفتح الرباني) قال الساعاتي: اخرجه ابن ماجه من طريق عبدالجبار بن وائل عن ابيه... ثم قال. قلت: وعلى هذا فالحديث صحيح لأن عبدالجبار اخرج له مسلم والاربعة وعلقمة اخرج له مسلم والاربعة في رفع اليدين والله اعلم.
(٣٠) الشفا (١/ ٣٣٤). رواه ابن سعد (الخفاجي ٣/ ١٦٠).
(٣١) اصل الحديث: عن حزام بن هشام عن ابيه عن جده حُبيش بن خالد - ... رواه في (شرح السنه) وابن عبدالبر في (الاستيعاب) وابن الجوزي في كتاب (الوفاء) وفي الحديث قصة (المشكاة برقم ٥٩٤٣. قال المحقق. وكذلك رواه الحاكم (٢/ ١٠٩) وصححه ووافقه الذهبي... قلت: وحديث ام معبد في المجمع (٨/ ٣١٣) عن ام معبد باختصار. قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حزام بن هشام بن حبيش وابيه وكلاهما ثقة. وفي المجمع ايضا (٦/ ٥٨) من حديث قيس بن النعمان قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. قلت: ومنه تعلم ان الحديث بطرقه صحيح فالحمد لله على فضله. وانظر القصة في البداية والنهاية (٣/ ١٩٠ - ١٩١) وزاد المعاد (٣/ ٥٥ - ٥٧) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٣٠ - ٢٣١).
(٣٢) صحيح: رواه احمد. قال العلامة احمد شاكر في تحقيق المسند: اسناده صحيح، ونقله ابن كثير في التاريخ (٦/ ١٠٢) عن هذا الموضع، ثم قال: ورواه من حديث ابي عوانة عن عاصم. - (تحقيق المسند ٥/ ٢١٠ رقم ٣٥٩٨).
(٣٣) قالت حليمة (فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم): قدمت مكة نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء (اي مجدبة)، فقدمت على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا (اي ناقة مسنة) والله ماتبض بقطرة (اي ماتدر قطرة لبن) وماننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ولانجد في ثديي مايغديه ولا في شارفنا مايغذيه، فقدمنا مكة فوالله ماعلمت من امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه اذ قيل انه يتيم من الاب، فوالله مابقي من صواحبي امرأة الا أخذت رضيعاً غيره، فلما لم احد غيره قلت لزوجي اني لأكره ان ارجع من بين صواحباتي وليس معي رضيع لانطلقنّ الى ذلك اليتيم فلآخذنه، فذهبت فاذابه مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقداً على قفاه يغط، فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويداً فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً ففتح عينيه ينظر اليّ فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن، فحوّلته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعدُ. قالت: فروى وروي اخوه. ثم أخذته فما هو الا ان جئت به الى رحلي فاقبل عليّ ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى وشرب اخوه حتى روى. فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذابها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي: ياحليمة والله اني لأراك قد أخذت نسمة مباركة. ألم تري مابتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيراً. قالت حليمة: فودعت ام النبي ﷺ ثم ركبت أتاني واخذته بين يديّ فسبقت دواب الناس الذين كانوا معي وهم يتعجبون منها ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضاً من ارض الله أجدب منها. وكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به شباعا لبناً فنحلب ونشرب ومايحلب انسان قطرة ولايجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف

من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه، وفصلته وكان يشب شبابا لايشبه الغلمان . . . . الخ .
(كذا ورد في تعليق الساعاتي على ترتيب المسند - الفتح الرباني ٢٠/١٩٢ - ١٩٣) . واورده الهيثمي بسياق قريب من هذا وقال : رواه ابويعلى والطبراني بنحوه الآ انه قال : . . . حليمة بنت ابي ذؤيب ورجالهما ثقات (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٠ - ٢٢١) وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية. قال المحقق : قال البوصيري : رواه ابن حبان في صحيحه عن ابي يعلى . . ورمز المحقق لحسنه .

(٣٤) الشفا (١/ ٣٣٤)

(٣٥) الشفا (١/ ٣٣٤)

(٣٦) الشفا (١/ ٣٣٥)

(٣٧) الشفا ١/ ٣٣٤ . قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٤١٢): رواه الطبراني وفيه من لم اعرفهم .

(٣٨) الشفا ١/ ٣٣٤ . عن حيان بن عمير قال : مسح النبي ﷺ وجه قتادة بن ملحان ثم كبّر، فبلي منه كل شيء غير وجهه . قال فحضرته عند الوفاة فمرت امرأة فرأيتها في وجهه كما أراها في المرآة (الاصابة لابن حجر ٣/ ٢٢٥) ورواه بغير هذا السياق الامام احمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٥/٣١٩) .

(٣٩) الشفا (١/ ٣٣٤) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (الخفاجي ٣/١٦٣) وام سلمة هي ام المؤمنين رضي الله عنها وزينب بنتها ربيبة رسول الله ﷺ . ولدت في ارض الحبشة، فقدمت بها امها، وهي اخت الزبير من الرضاعة . قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٥٩) : رواه الطبراني وام عطاف لم اعرفها .

الاشارة الخامسة عشرة

ان الحيوانات والأموات والجن والملائكة تعرف ذلك النبي الكريم ﷺ، فتبرز كل طائفة منها بعضاً من معجزاتها تصديقاً لنبوته واعلاناً عنها مثلما أظهرتها الأحجار والاشجار والقمر والشمس، وبيّنت انها تعرف النبي ﷺ وتصدق نبوته.

هذه الاشارة الخامسة عشرة تتضمن ثلاث شعب:

الشعبة الاولى

هي معرفة جنس الحيوان للنبي ﷺ واظهاره معجزاته.لهذه الشعبة أمثلة كثيرة لا نذكر هنا سوى ماهو المشهور والمقطوع به بالتواتر المعنوي من الحوادث، أو ما هو مقبول لدى أئمة العلم، أو تلقته الأمة بالقبول.

الحادثة الاولى:

■حادثة الغار المشهورة الى حدّ التواتر المعنوي، وهي ان الرسول الاكرم ﷺ، عندما تحصّن في الغار مع ابي بكر الصديق نجاةً من طلب قريش له، «أمر الله حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر؛ وان العنكبوت نسجت على بابه[1]، حتى ان ابي بن خلف - وهو من صناديد قريش، وقد قتله الرسول الكريم ﷺ يوم بدر- حين قال له كفرة قريش بدخول الغار، قال: «ما أرُبكم فيه، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى انه قبل ان يولد محمد»، ووقفت حمامتان على فم الغار، فقالت قريش لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي ﷺ يسمع كلامهم فانصرفوا»[2]

■ «وروى ابن وهب: ان حمام مكة، أظلّت النبي ﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة»[3]

■«وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان عندنا داجن، فاذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرّ وثبت مكانه، فلم يجيء ولم يذهب واذا خرج رسول الله ﷺ

(أربكم): حاجتكم.

جاء وذهب»[٤]. اي ان ذلك الحمام كان يطيع النبي ﷺ فيهدأ ويسكن في حضوره.

الحادثة الثانية:

■وهي قصة الذئب المشهورة، وقد رويت بطرق كثيرة حتى أخذت حكم التواتر، وقد نقلت هذه القصة العجيبة بطرق كثيرة عن مشاهير الصحابة الكرام رضي الله عنهم، منهم: أبو سعيد الخدري، وسلمة بن الاكوع، وابن ابي وهب، وأبو هريرة، وصاحب القصة: الراعي أهبان.

فقد روى هؤلاء بطرق عديدة أنه:

«بينا راعٍ يرعى غنماً له، عرض الذئب لشاةٍ منها، فأخذها منه، فاقعى الذئب، وقال للراعي: ألا تتقي الله، حُلْتَ بيني وبين رزقي، قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الأنس! فقال الذئب: الا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين يحدّث الناس بأنباء ما سبق» «قد فتحت له ابواب الجنة» «ويدعوكم اليها».

ومع ان كل الطرق مجمعةٌ على تكلم الذئب، الا ان اقواها هو الحديث الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه ففيه: «قال الراعي: مَن لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى. وذكر قصته، واسلامه، ووجوده النبي ﷺ يقاتل»[٥] «رجع فوجد الذئب راعياً أميناً، ولا نقص في الاغنام «وذبح للذئب شاةً منها» جزاء إرشاده له.

■وفي طريق آخر «انه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً فدخل الظبي الحرم، فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجبُ من ذلك محمد بن عبدالله بالمدينة يدعوكم الى الجنة» فقال ابو سفيان: واللات والعزّى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً»[٦]

نحصل من هذا: ان قصة الذئب تورث قناعة واطمئناناً كالمتواتر المعنوي.

(داجن): مايألف البيت من الحيوان. (اقعى): مكث على عقبيه ناصباً يديه. (الحرتين): المقصود المدينة المنورة.

(الخلوف): اي خالية من اهلها.

الحادثة الثالثة :

■هي قصة الجمل المروية بخمسة او ستة طرق عن مشاهير الصحابة: أبو هريرة، وثعلبة بن مالك، وجابر بن عبدالله، عبدالله بن جعفر، عبدالله بن أبي أوفى، وأمثالهم، فهؤلاء جميعاً متفقون ان: الجمل قد جاء النبي ﷺ وسجد بين يديه سجدة تعظيم واكرام وتكلم معه، ويخبرون بطرق اخرى: أن ذلك الجمل قد ثار في بستان «وكان لايدخل أحدُ الحائط الاّ شدّ عليه الجمل، فلما دخل عليه النبيﷺ دعاه فوضع مِشْفَره على الارض وبَرك بين يديه فخطمه»[٧]

«وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي ﷺ سألهم عن شأنه فأخبروا انهم أرادوا ذبحه»[٨].

«وفي رواية: انه شكىٰ اليّ أنكم أردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره، فقالوا: نعم.».

■وأيضاً ان ناقة النبي ﷺ المسماة بالعضباء «لم تأكل ولم تشرب بعد موته ﷺ حتى ماتت»[٩] وذكر أبو اسحاق الاسفرائني «من قصة العضباء وكلامها للنبي ﷺ » في أمر مهم.

وثبت في الصحيح[١٠] ان جمل جابر بن عبدالله الأنصاري أعيىٰ في سفر فلم يمكن له ان يدوم على المسير فنخسه النبي ﷺ نخسة خفيفة «فنشط حتى كان لايملك زمامه» وذلك بما رأىٰ من لطف معاملته ﷺ.

الحادثة الرابعة :

■روى البخاري وأئمة الحديث: «لقد فزع أهل المدينة ليلةً فانطلق ناسٌ قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سَبَقَهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرسٍ لأبي طلحة عُريٍ والسيف في عنقه وهو يقول: لن تُراعوا»[١١] وقال لأبي طلحة: وجدنا فرسك بحراً وكان به قطاف، أي يبطىء. فاصبح بعد تلك الليلة لا يجارىٰ.

■وثبت برواية صحيحة انه «قال لفرسه -عليه السلام- وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره: لاتبرح، بارك الله فيك حتى نَفْرُغَ من صلاتنا. وجعله

(المشفر) للجمل: كالشفة للانسان. (خطَمَه): وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه.

(لن تراعوا): ليس هناك شيء تخافونه.

قبلته، فما حرّك عضواً حتى صلّى ﷺ »[١٢].

الحادثة الخامسة:

■هي «تسخير الأسد لسفينة -مولى رسول الله ﷺ-[١٣]اذ وجهه الى مُعاذ باليمن فلقي الأسد فعرّفه: أنه مولى رسول الله ﷺ ومعه كتابُهُ فَهَمْهَمَ وتنحّى عن الطريق. وذكر في منصرفه مثل ذلك» ففي رواية أخرى عنه: ان سَفينة ضل الطريق في العودة فرأى الأسد، قال: «جعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق».

■ «وروى عن عمر ان رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضباً، فقال: من هذا؟ قالوا: نبي الله، فقال واللات والعزّى لا آمنتُ بك أو يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ له: يا ضب، فأجابه بلسان بيّن يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك... »[١٤] فآمن الأعرابي.

■ «وعن أم سلمة: كان النبي ﷺ في صحراء، فنادته ظبية: يا رسول الله» الى آخر الحديث «فخرجت تجري وهي تقول: اشهد ان لا اله الاّ الله وانك رسول الله»[١٥].

وهكذا فهناك امثال هذه النماذج كثيرة جداً. لم نبين الاّ ما اشتهر من الأمثلة القاطعة.فيا أيها الانسان ويامن لا يعرف هذا الرسول الكريم ﷺ ولا يطيعه، اعتبر! واسع لئلا تتردّى في ما هو أدنى من الذئب والاسد، فهذه الحيوانات تعرف الرسول الكريم وتطيعه.

الشعبة الثانية

هي معرفة الموتى والجن والملائكة الرسول الكريم ﷺ، ولها وقائع كثيرة جداً سنذكر منها على سبيل المثال بضعة أمثلة مشهورة نقلها الائمة الثقات.. سنذكر أولاً أمثلة الموتى، أما الجن والملائكة فأمثلتها متواترة وكثيرة جداً.

المثال الاول :

■روى الامام الحسن البصري - وهو امام علماء الظاهر والباطن[16] ومن اصدق تلاميذ الأمام علي كرم الله وجهه في عهد التابعين : «أتى رجل النبي ﷺ ، فذكر له أنه طرح بُنَيَّةً له في وادي كذا» فرقّ عليه رسول الله ﷺ «فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها : يا فلانة أجيبي باذن الله تعالىٰ، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك فقال لها : - أن ابويك قد أسلما -فان أحببت- ان أردّكِ عليهما . قالت : لا حاجة لي فيهما، وجدتُ الله خيراً لي منهما»[17]

المثال الثاني :

■روى الامام البيهقي والامام ابن عَدي -مسنداً- «عن أنس ان شاباً من الأنصار توفي ، وله أمّ عجوز عمياء - وهو وحيدها- فسجيناه، وعزّيناها، فقالت : ابني ! قلنا : نعم . قالت : اللهم ان كنتَ تعلم اني هاجرتُ اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة، فلا تحملن عليّ هذه المصيبة. فما برحنا ان كشف الثوبَ عن وجهه، فطعم وطعمنا»[18].

وقد أشار الى هذه الحادثة العجيبة الامام البوصيري في قصيدته «بردة المديح» قائلاً :

لو ناسَبَتْ قَدْرَه آياته عِظماً

احيى اسمُه حين يُدعى دارس الرمم

الحادثة الثالثة :

■روى الامام البيهقي وغيره، «عن عبدالله بن عبيدالله الأنصاري : «كنت فيمن دفن ثابت بن قيس، وكان قُتل في اليمامة، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق وعمر الشهيد، عثمان البرُّ الرحيم. فنظرنا اليه فاذا هو ميت»[19] فأخبر عن استشهاد عمر قبل توليه الخلافة.

الحادثة الرابعة :

■ «ذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خرّ ميتاً في بعض أزقة المدينة فرفع وسُجّي، اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول : انصتوا انصتوا، فحسر عن وجهه، فقال : محمد رسول الله . . .» . «ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . ثم عاد ميتاً كما كان»[20]

فاذا كان الموتى الذين لا حياة لهم يصدّقون رسالته ﷺ فكيف إن لم يصدّقه من له حياة؟ أليس هؤلاء الأحياء الاشقياء هم أكثر فقداً للحياة من أولئك الموتى؟.

* * *

اما خدمة الملائكة للنبي ﷺ وظهورهم له وايمان الجن به وطاعتهم له، فهو ثابت بالتواتر. وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في كثير من اياته الكريمة، وكانت خمسة آلاف من الملائكة طوع أمره -كالصحابة الكرام- في غزوة بدر كما ورد في القرآن الكريم، حتى ان اولئك الملائكة نالوا - بين الملائكة الأخرين - شرف الاشتراك في المعركة كما ناله اصحاب بدر.[21]

في هذه المسألة جهتان:

الأولى: وجود الجن والملائكة وعلاقاتهم معنا فهذا ثابت ثبوتاً قاطعاً كوجود الحيوان والانسان الذي لايشك فيه أحد. وقد أثبتنا هذا بيقين جازم في «الكلمة التاسعة والعشرين»(★) فنحيل الاثبات الى تلك الكلمة.

الجهة الثانية: هي رؤية افراد الأمة وتكلمهم مع الملائكة والجن بما حازوا من شرف الانتساب الى الرسول الكريم ﷺ واظهاراً لأثر من آثار معجزاته.

■ فقد روى البخاري ومسلم وأئمة الحديث بالاتفاق[22]: «عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس الى النبي ﷺ».. فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وقد عرّف له الرسول ﷺ كلاً مما سأل. «ثم قال: يا عمر أتدري مَن السائل، قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

■ وثبت بروايات صحيحة مقطوع بها وفي درجة التواتر المعنوي يرويها أئمة الحديث: ان الصحابة كثيراً ما كانوا يرون جبريل عليه السلام عند النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه صاحب الحسن والجمال[23]، منهم

(★) رسالة الملائكة وبقاء الروح والحياة الأخرة. (المترجم).

عمر وابن عباس واسامة بن زيد وحارث وعائشة الصديقة وأم سلمة رضي الله عنهم فيقولون: إنا نرىٰ جبريل عند النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي في كثير من الأحيان. أفيمكن ان يقول هؤلاء لشيء: نرىٰ، وهم لم يروه؟!.

■ وثبت باسناد صحيح عن سعد بن ابي وقاص - أحد المبشَّرين بالجنة وفاتح فارس - قال: اننا رأينا في غزوة أحد ان الرسول ﷺ «علىٰ يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض»[٢٤] وهما علىٰ هيئة حارسين محافظين له. فاذا قال بطل من أبطال الأسلام مثل سعد: رأينا فهل يمكن أن يحدث الخلاف؟.

■ ثم ان أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب - ابن عم الرسول ﷺ - رأىٰ يوم بدر «رجالاً بيضاً علىٰ خيل بُلقٍ بين السماء والأرض»[٢٥].

■ «وارىٰ النبي ﷺ لحمزة جبريل في الكعبة فخرّ مغشياً عليه»[٢٦].

فأمثلة رؤية الملائكة هذه كثيرة جداً، وجميع هذه الوقائع تظهر نوعاً من المعجزات الأحمدية وتدل: علىٰ ان الملائكة تحوم كالفراش حول نور نبوته.

* * *

أما اللقاء مع الجن والتكلم معهم، فيقع كثيراً جداً حتى مع عامة الناس، فكيف بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، الآ ان أئمة الحديث ينقلون الينا أصح الأخبار وأثبتها.

■ «رأىٰ عبدالله بن مسعود الجن ليلة الجن - أي اهتدائهم - وسمع كلامهم وشبّههم برجال الزط»[٢٧] وهم قوم من السودان طوال.

■ ثم ان حادثة مشهورة ينقلها ويخرّجها أئمة الحديث ويقبلون بها وهي «قتل خالد بن الوليد - عند هدمه العُزّىٰ - للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزَلَها بسيفه واعْلَم النبي ﷺ فقال: تلك العزّىٰ»[٢٨]، فكان الناس يعبدونها وهي في صنم العزى ولن تُعبد أبداً.

■ «وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انه قال: بينا نحن جلوس مع النبي ﷺ اذ أقبل شيخ بيده عصاً فسلّم علىٰ النبي ﷺ فردّ عليه. وقال ﷺ: نغمة

(بلق): فيها بياض ولون آخر. (العزّىٰ): شجرة أو ثلاثة اشجار في مكان واحد بنوا عليها بناء، كانت لغطفان يعبدونها. (عريانة): واضعة يدها على رأسها داعية ياويلها. (جزلها): جعلها قطعتين.

الجن، مَن انت؟ قال: أنا هامه». «في حديث طويل وأن النبي ﷺ علّمه سوراً من القرآن»[٢٩] فهذه الحادثة رغم انها انتُقدت من قبل رجال الحديث[٣٠] الّا ان أئمة آخرين قد حكموا بصحتها.... وعلى كل حال فلا نرى ضرورة في الاسهاب، فالأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً.

ونقول ايضاً:

ان الذين تنوروا بنور النبي ﷺ وتربوا بتعاليمه واقتفوا أثره وهم يربون على الألوف من أمثال الشيخ الكيلاني من الأولياء الأقطاب والعلماء الأصفياء قد التقوا الملائكة والجن وتكلموا معهم، فالروايات متواترة وموفورة وقطعية.[٣١]

نعم ان لقاء الأمة المحمدية الملائكة والجن وتكلمهم معهم انما هو أثر من آثار التربية النبوية وهدايتها الخارقة.

الشعبة الثالثة

ان عصمة الله تعالى للرسول الكريم ﷺ وحفظه له من اذى الناس معجزة باهرة وحقيقة جلية نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والله يعصمُكَ مِن النَّاس﴾ (المائدة: ٦٧).

ففي هذه الآية الكريمة معجزات كثيرة. اذ لما أعلن الرسول الكريم ﷺ نبوته فانه لم يتحدَّ طائفة واحدة ولا قوماً ولا ساسة ولاحكاماً معينين ولا مجتمعه بل تحدى جميع السلاطين وجميع أهل الأديان، تحداهم جميعاً ولا عاصم له الا الله، فحتى عمه قد ناصبه العداء و قومه وقبيلته كانوا اعداء له ومع هذا ظل ثلاثاً وعشرين سنة من غير حارس يحرسه، رغم تعرّضه لمخاطر ومهالك كثيرة، ولقد عصمه الله من الناس وحفظه حتى انتقل الى الملأ الأعلى باطمئنان كامل مما يدلنا دلالة الشمس في وضح النهار مدى رصانة الحقيقة التي تنطوي عليها الآية الكريمة: ﴿والله يعْصِمُك مِنَ الناس﴾

وسنذكر بضعاً من الحوادث التي هي ثابتة ثبوتاً قطعياً ونسوقها على سبيل المثال:

الحادثة الاولى :

■ يروي أهل السيرة والحديث متفقين على انه عندما اجتمعت قريش على قتله ﷺ جاءهم ابليس في هيئة شيخ ودلّهم على ان يؤخذ من كل قبيلة فتى - لئلا يقع النزاع بينهم - فسار ما يناهز مئتي رجل بقيادة أبي جهل وأبي لهب نحو بيت النبي ﷺ وكان عنده علي رضي الله عنه فأمره أن ينام على فراشه وانتظرهم الرسول ﷺ حتى أتت قريش وحاصروا البيت «فخرج عليهم ﷺ من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم وذرّ التراب على رؤوسهم ، وخلّص منهم»[٣٢] .

■ وأيضاً «حمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه . . ووقفت حمامتان على فم الغار»[٣٣]

الحادثة الثانية :

وهي قصة سراقة بن مالك[٣٤] «حين الهجرة، وقد جعلتْ قريش فيه - ﷺ - وفي ابي بكر الجعائل فأنذر به، فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرُب منه دعا عليه النبي ﷺ فساخت قوائم فرسه فخرّ عنها . . ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يلتفت وقال للنبي ﷺ أوتينا فقال: لاتحزن ان الله معنا» كما قاله في الغار «فساخت ثانية الى ركبتيها وخرّ عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثلُ الدخان، فناداهم بالأمان، فكتب له النبي ﷺ أماناً . . . وأمره النبي ﷺ ان لا يترك أحداً يلحق بهم فانصرف» .

■ «وفي خبر آخر ان راعياً عرف خبرهما، فخرج يشتد يُعلمُ قريشاً فلما ورد مكة ضُرب على قلبه، فما يدري ما يصنع وأُنسي ماخرج له حتى رجع الى موضعه»[٣٥] ثم عرف انه قد أُنسي .

الحادثة الثالثة :

■ يروي أئمة الحديث بطرق متعددة أنه في غزوة (غطفان) و(أنمار) ارادرئيس قبيلته وهو «غورث بن الحارث المحاربي ان يفتك بالنبي ﷺ فلم يشعرْه

(الجعائل): جمع جعيلة، ما يعطى في مقابلة عمل .

ﷺ الا وهو قائم على رأسه منتضياً سيفه فقال: اللهم اكفنيه بما شئت. فانكب لوجهه من زُلَّخةٍ زُلِّخها بين كتفيه وندر سيفه من يده»[٣٦].

■ وروى انه ﷺ أتاه أعرابي «فاخترط سيفه ثم قال: مَن يمنعك مني؟ فقال: الله! فارتعدت يدُ الأعرابي وسقط سيفُه»[٣٧] فأخذه النبي ﷺ وقال: ومن يمنعك الآن؟ ثم عفا عنه النبي ﷺ «فرجع الى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتتبعه رجل من المنافقين، وذكر مثله» انه رفع سيفه يهوي به على رسول الله ﷺ واذا به ينظر اليه فيرتعد المنافق ويسقط السيف من يده.

الحادثة الرابعة:

■ روى أئمة الحديث برواية مشهورة قريبة من التواتر، وذكر أكثر علماء التفسير: ان سبب نزول الآية الكريمة: ﴿إنّا جعلنا في أعناقِهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهُم مُقمَحون وجعلنا من بين أيديهم سَداً ومن خلْفِهم سَداً فأغشيناهم فهم لايبصرون﴾ (يس ٨ - ٩). ان أبا جهل أقسم؛ لئن أرى محمداً ساجداً لأضربنّه بهذه الصخرة «فجاء ه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون، ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبِسَتْ يداه الى عنقه»[٣٨] وبعد أن أتم الرسول ﷺ صلاته انصرف وانطلقت يد أبي جهل. إما بدعائه ﷺ أو لأنتفاء الحاجة.

■ ان الوليد بن المغيرة «اتى النبي ﷺ ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي ﷺ، وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه»[٣٩] حتى اذا خرج الرسول ﷺ من المسجد عاد بصرُه، لانتفاء الحاجة.

■ وثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه: بعدما نزلت سورة ﴿تبّتْ يدا أبي لهب﴾ ان أم جميل وهي امرأة أبي لهب الملقبة بحمالة الحطب «أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الاّ ابا بكر وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه ﷺ

(زلخة) وجع يأخذ في الظهر فيمنع الانسان من الحركة. (ندر): سقط من جوف أو من بين اشياء. فهر: حجر ملء الكف.

فقالت: يا أبابكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني، والله لو وجدتُه لضربت بهذا الفهر فاه»[٤٠].

نعم. لاترى حطابة جهنم - بلاشك - سلطاناً عظيماً كهذا الذي خصّه الله بالدرجة الرفيعة.

الحادثة الخامسة:

■ ثبت بالنقل الصحيح[٤١] «خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي ﷺ، وكان عامر قال له: أنا أُشغل عنك وجه محمد، فاضربه أنت، فلم يره فَعَلَ شيئاً، فلما كلَّمه في ذلك، قال له: والله ما هممتُ أن أضربه الاّ وجدتك بيني وبينه، أفاضربك؟»

الحادثة السادسة

■ وثبت بالنقل الصحيح أيضاً «ان شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حُنين» أو أحد «وكان حمزة قد قَتل أباه وعمه، فقال: اليوم أدرك ثأري من محمد، فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبَّه عليه. قال: وأحس بي النبي ﷺ فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق اليّ فما رفعها الاّ وهو أحبُّ الخلق اليّ. وقال لي: ادنُ، فقاتِل، فتقدمتُ أمامه اضرب بسيفي وأقِيه بنفسي، ولو لقيتُ أبي تلك الساعةَ لأوقعتُ به دونه»[٤٢]

■«وعن فضالة بن عمرو قال: اردت قتل النبي ﷺ، عام الفتح، وهو يطوف بالبيت، فلما دنوتُ منه قال: أفُضالة؟ قلت: نعم! قال: ما كنت تُحدِّث به نفسك؟. قلتُ: لاشيء. فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري، فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ اليّ منه»[٤٣].

الحادثة السابعة

■ثبت بالنقل الصحيح: ان اليهود تآمروا عليه عندما «جلس الى جدار... فانبعث احدهم ليطرح عليه رمىً فقام النبي ﷺ فانصرف»[٤٤] فبطل ما كانوا يفعلون بحفظ الله.

وهناك حوادث كثيرة من أمثال هذه الحادثة. فيروي الأمام البخاري ومسلم وائمة الحديث «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ

بحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عزّ وجل»[٤٥]

* * *

فهذه الرسالة توضح منذ البداية الى هنا:

ان كل نوع من أنواع هذه الكائنات، وكل عالم منها، يَعْرف النبي ﷺ وله معه رابطة وعلاقة. اذ تظهر معجزاته ﷺ من كل نوع من أنواع الكائنات، أي ان هذا النبي الكريم ﷺ رسول ومبعوث من قبل الله رب العالمين وخالق الكون.

نعم! كما ان موظفاً مرموقاً ومفتشاً ذا منزلة عند السلطان تعرفه كلُ دائرة من دوائر الدولة، واذا مادخل اياً منها سيلقى ترحاباً حاراً؛ لأنه مأمور من قِبَل السلطان الأعظم. ولكن لوفرضنا أنه كان مفتشاً للعدل فحسب، فسوف يرحب به دوائر العدل فقط، ولا تعرفه جيداً الدوائر الأخرى. فلو كان مفتشاً عند الجيش فلا تعرفه الدوائر الرسمية الأخرى للدولة. بينما يُفهم من الأمثلة السابقة ان جميع دوائر السلطنة الالهية تعرفه ﷺ معرفةً جيدة وتعرِّفه للآخرين ابتداءً من الملائكة الى الذباب والعنكبوت. فهو لاشك خاتم الأنبياء ورسول رب العالمين وان رسالته عامة للكائنات قاطبة لاتختص أمة دون أمة مثل غيره من الأنبياء والمرسلين.

هوامش على الاشارة الخامسة عشرة

(١) سند (١: ٣١٣) - حديث نسج العنكبوت رواه احمد (١/٣٤٨) وعبدالرزاق في مصنفه (٥/٣٨٩) من طريق عثمان بن عمرو بن ساج عن مقسم مولى ابن عباس، أخبرابن عباس... الحديث. والحديث حسنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٧٩-١٨١) والحافظ ابن حجر في الفتح ... وفي الحديث الحسن والحافظ نفسه قال في عثمان بن عمرو بن ساج فيه ضعف. وفي المجمع (٧/٢٧) قال الهيثمي رواه احمد والطبراني، وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر تخريج زاد المعاد (٣/٥٢) وقد صححه محقق المشكاة (١٥٩٣٤) وللحديث شاهد في مسند ابي بكر المروزي (رقم ٧٣) قال الارناؤوط اسناده حسن، الا انه مرسل بشار بن موسى ... قال علي بن المديني حسن القول فيه، وعن أحمد لابأس به، وجعفر بن سليمان ... ثقة اخرج له مسلم في صحيحه، ابو عمران الجوني هو عبدالملك بن حبيب الازدي ثقة روى له الجماعة اهـ.

(٢) سند (١: ٣١٣) - حديث وقوف الحمامتين على فم الغار، قال الزيلعي في نصب

الراية (١/١٢٣): روى الطبراني في معجمه والبيهقي في دلائل النبوة والبزار في مسنده... ثم ذكر الحديث وقال: قال البزار: لايعلم رواه الا عوين بن عمرو وهو بصري مشهور، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عساكر وقال: هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وفي «المجمع» (٦/٥٢ - ٥٣) بنحوه قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني وفيه جماعة لم اعرفهم. وانظر تخريج الحديث الذي قبله وفيه قول المشركين كما في المسند: «لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه»

(٣) الشفا (١/٣١٣).

(٤) الشفا (١/ ٣٠٩) هذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وابو يعلى والبيهقي والدارقطني (الخفاجي ٣/٧٩).

(٥) صحيح: (الشفا ١/٣١٠) رواه أحمد وصححه العلامة أحمد شاكر (١٥/٢٠٢ - ٢٠٣) برقم (٨٠٤٩) من حديث ابي هريرة وفي المجمع (٨/٢٩١ - ٢٩٢) قال الهيثمي: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله ثقات. وهو في المسند من حديث ابي نضرة عن ابي سعيد انظر (١١٨٥) تحقيق المسند برقم (١١٨٦٤، ١١٨٦٧) من حديث شهر بن حوشب عن ابي سعيد، قال الحافظ ابن كثير: «تفرد به أحمد وهو على شرط السنن، ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من ابي سعيد وابي هريرة ايضاً» ا.هـ. واورده القسطلاني في المواهب اللدنية وقال: فأما حديث ابي سعيد فرواه الامام أحمد باسناد جيد، قال الزرقاني في شرحه: اي مقبول. وكذا رواه الترمذي والحاكم وصححاه (الفتح الرباني للساعاتي ٢٠/٢٤٠) واورده الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩١) وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه باختصار ورجال احد اسنادي أحمد رجال الصحيح. وعزاه في المشكاة (٥٩٢٧) الى شرح السنة وصححه المحقق.

(٦) الشفا (١/٣١١) (الخفاجي ٣/٨٤).

(٧) احاديث تكلم الجمل وردت باسانيد صحيحة وجيدة: الحديث الأول اورده الهيثمي في «المجمع» (٩/٤) من حديث أنس بن مالك قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن اخي انس وهو ثقة ا.هـ واورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، وقال: رواه أحمد باسناد جيد ورواته ثقات مشهورون، والبزار بنحوه، قال: ورواه النسائي مختصراً وابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة. اهـ (عن الفتح الرباني ٢٢/٥٠ - ٥١). وحديث عبدالله بن جعفر اسناده صحيح رواه الامام أحمد (انظر ١٧٤٥ من المسند المحقق). وروى بعضه مسلم وابن ماجه وابو داود مطولاً. اهـ. وحديث عبدالله بن ابي أوفى رواه ابو نعيم والبيهقي (الخفاجي ٣/٨٧).

(٨) جيد: رواه احمد (٤/١٧٣) عن يعلى ومن طريق اخرجه الحاكم وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي من حديث يعلى بن مرة عن ابيه، والحديث جيد بهذه المتابعات (انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة ٤٨٥).

(٩) الشفا (١/٣١٣).

(١٠) صحيح: رواه الشيخان (الخفاجي ٣/١٤٥).

(١١) صحيح: رواه البخاري في الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، وباب الحمائل وتعلق السيف بالعنق. ومسلم (٢٣٠٧) وابو داود (٤٩٨٨) والترمذي (١٦٨٥).

(١٢) الشفا (١/٣١٥). (الخفاجي ٣/٩٥)

(١٣) صحيح: (المشكاة ٣/١٩٩ برقم ٥٩٤٩) قال المحقق: ورواه الحاكم (٣/٦٠٦) بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وانظر المطالب العالية (٤/١٢٥ برقم ٤١٠٢٧) وفي «المجمع» (٩/٣٦٦-٣٦٧) قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات. وانظر الحلية لابي نعيم (١/٣٦٨ - ٣٦٩) والبداية والنهاية (٦/١٤٧)

(١٤) رواه الطبراني في الصغير والاوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري. قال البيهقي: والحمل في هذا الحديث عليه. قلت: وبقية رجاله رجال الصحيح (كذا في مجمع

والنهاية ٨/٢٩٣-٢٩٤) وفي كنز العمال (١٢/٣٥٨) زاد نسبته الى ابن عدي في الكامل والحاكم في المعجزات وابو نعيم في الدلائل والبيهقي في الدلائل ايضاً وابن عساكر. قال ابن الدحية في الخصائص: هذا خبر موضوع. وقال الذهبي في الميزان: هذا خبر باطل، وقال الحافظ ابن حجر في اللسان: السلمي روى عنه الاسماعيلي في معجمه وقال: منكر الحديث ا. هـ. واورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/١٤٩-١٦٠) تحت عنوان: حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة ونقل قول البيهقي: روي في ذلك عن عائشة وأبي هريرة وما ذكرناه أمثل الاسانيد وهو ايضاً ضعيف ا. هـ وانظر على القاري، (١/٦٣٢) و(الخفاجي ٣/٧٩)

(١٥) الشفا (١/٣١٤) في حديث رواه الطبراني والبيهقي وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر (الخفاجي ٣/٩١) ورواه الطبراني وفيه اغلب بن تميم وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٨/٢٩٥).

(١٦) جزى الله الاستاذ النورسي خير الجزاء، اذ جمع للامام حسن البصري الاتباع للرسول ﷺ علم الظاهر مع علم الباطن. وقد قال تعالى ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ قال الشيخ ابن تيمية: ان علم الباطن الذي هو علم ايمان القلوب ومعارفها واحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد اعمال الاسلام الظاهرة (الفتاوى ١١/٢٢٥) وقال الشيخ الرفاعي: لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن اهل الباطن وهم أهل الظاهر، هذا الدين جامع باطنه لب ظاهره وظاهره ظرف باطنه (البرهان المؤيد ٦١).

(١٧) الشفا (١/٣٢٠) الخفاجي (٣/١٠٦).

(١٨) الشفا (١/٣٢٠) أورده ابن كثير في البداية عن أنس وقال: وقد رواه ابو بكر بن ابي الدنيا، والبيهقي من غير وجه عن صالح بن بشر المري - أحد زهاد البصرة وعبادها - وفي حديثه عن ثابت عن أنس، فذكره. وفي رواية البيهقي ان أمه كانت عجوزاً عمياء، ثم ساقه البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبدالله بن عون عن أنس كما تقدم، وسياقه أتم، وفيه ان ذلك كان بحضرة الرسول ﷺ وهذا اسناد رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع بين عبدالله بن عون وأنس، والله اعلم (البداية والنهاية ٦/٢٩٢)

(١٩) الشفا (١/٣٢٠)

(٢٠) **صحيح**: قال الحافظ ابن كثير: اما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة، مروية من وجوه كثيرة صحيحة، قال البخاري في التاريخ الكبير: زيد بن خارجة الخزرجي الانصاري شهد بدراً وتوفي في زمن عثمان وهو الذي تكلم بعد الموت، وروى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائله وصححه ا. هـ (البداية والنهاية ٦/٢٩٣، ٦/١٥٦-١٥٧ فقد ورد بطرق اخرى) واورد الهيثمي في المجمع روايتين (٥/١٧٩-١٨٠) وقال: رواه كله الطبراني في الكبير والاوسط باختصار كثير باسنادين ورجال احدهما في الكبير ثقات، وفي المجمع (٨/٢٩١) عن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون في امتي رجل يتكلم بعد الموت»

(٢١) **صحيح**: عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن ابيه وكان ابوه من اهل بدر، قال: جاء جبريل الى النبي ﷺ فقال: ما تعدون اهل بدر فيكم؟ قال: «من افضل المسلمين» أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة (البخاري ٥/١٠٣ باب شهود الملائكة بدراً).

(٢٢) **صحيح**: البخاري (١/١٩-٢٠) ومسلم: كتاب الايمان.

(٢٣) **صحيح**: وردت احاديث صحيحة في رؤية بعض الصحابة لجبريل عليه السلام، انظر البخاري (٤/٢٥٠) وفي «المجمع» (٩/٢٧٦-٢٧٧) عن ابن عباس وفيه أنه رآه بصورة دحية الكلبي، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم اعرفه، وورد رؤية ابن عباس لجبريل عليه السلام باحاديث صحيحة وحسنة، ففي فضائل الصحابة برقم (١٨٥٣) عن ابن عباس والحديث المسند (١/٢١٢)، وذكره في المجمع (٩/٢٧٦) وقال: رواه احمد والطبراني باسانيد ورجالهما رجال

الصحيح ، وحسنه محقق الفضائل ، وكذا قال في الحديث الوارد برقم (١٩١٨) وفي فضائل الصحابة من طريق آخر برقم (١٨١٧) واسناده صحيح . وثبت رؤية حارثة بن النعمان باسناد صحيح كما قال الحافظ في الاصابة (٥٩٨/١) ووردت احاديث اخرى وماذكرناه انما على سبيل المثال

(٢٤) صحيح : الشفا (٣٦١/١) رواه البخاري في المغازي : باب ﴿اذ همّت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما﴾ ، وفي اللباس : باب الثياب البيض . ومسلم برقم (٢٠٣٠٦).

(٢٥) الشفا (٣٦٢/١) (الخفاجي ٢٨١/٣)

(٢٦) الشفا (٣٦٢/١) . في حديث رواه البيهقي مرسلاً (الخفاجي ٨٢/٣).

(٢٧) صحيح : وردت احاديث كثيرة وباسانيد صحيحة في رؤية الجن . أما حديث ابن مسعود هذا فرواه الامام احمد في المسند والدارقطني وصححه العلامة احمد شاكر (٤٣٥٣ ، ١٦٥/٦) في تحقيق المسند .

(٢٨) الشفا (٣٦٢/١) . حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي (الخفاجي ٢٨٧/٣) واورده ابن كثير في البداية (٣١٦/٤) قال الهيثمي في «المجمع» (١٧٦/٦) : رواه الطبراني وفيه يحى بن المنذر وهو ضعيف .

(٢٩) الشفا (٣٦٣/١) ، ذكره البيهقي وابن ماكولا (الخفاجي) (انظر الهامش ٣٠).

(٣٠) قال الحافظ ابن كثير : وقد اورد الحافظ ابو بكر البيهقي هاهنا حديثاً غريباً بل منكراً وموضوعاً ، ولكن مخرجه عزيز ، ثم اورده بطوله (٩٦/٥-٩٧) ، وانظر كذلك الفوائد المجموعة للشوكاني (٤٩٨) . قال الخفاجي (٢٨٧/٣) : واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي : انه حديث موضوع لا أصل له وذكر له طرقا ذكر من رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته ، وخالفه فيه غيره وقال : ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته اكثرها مردودة ، وقد روي هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما ا . هـ

(٣١) ذكر الشيخ ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) حادثة من هذا القبيل (ص : ٢٤) «قال الشيخ عبدالقادر الكيلاني (قدس الله سره) : كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيما وعليه نور ، فقال لي : يا عبدالقادر! انا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك . قال : فقلت له أنت الله الذي لا اله الا هو؟ إخسأ يا عدو الله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال : يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في احوالك . لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا ، فقيل له : كيف علمت أنه الشيطان؟ قال : بقوله لي : وحللت لك ماحرمت على غيرك» وقد علمت ان شريعة محمد ﷺ لاتنسخ ولاتبدل ، ولأنه قال : انا ربك ولم يقدر ان يقول أنا الله الذي لا اله الا أنا» ا . هـ راجع الفتاوى (٣٠٧/١١) ففيها الشيء النفيس حول مايقوله الاستاذ النورسي .

(٣٢) صحيح : الشفا (٣٤٩/١) . عن ابن عباس قال : ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ونائلة وإساف . لو قد رأينا محمداً لقد قمنا اليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فاقبلت ابنته فاطمة تبكي ، حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك ، لو قد رأوك لقد قاموا اليك فقتلوك ، فليس منهم رجل الا قد عرف نصيبه من دمك ، فقال : يا بنية ، أريني وضوءا ، فتوضأ ، ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهوذا ، وخفضوا ابصارهم ، وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا اليه بصراً ، ولم يقم اليه منهم رجل ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم ، فأخذ قبضة من التراب ، فقال : شاهت الوجوه ، ثم حصبهم بها ، فما اصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة الا قتل يوم بدر كافراً ا . هـ تحقيق المسند للعلامة أحمد شاكر (٢٦٩/٤ رقم ٢٧٦٢) . قال : اسناده صحيح وهو في مجمع الزوائد (٢٢٨/٢) وقال : «رواه أحمد باسناد

ورجال احدهما رجال الصحيح » واقول بل كلاهما .

(٣٣) الشفا (١/ ٣٤٩) (الخفاجي ٣/ ٢٣٦) مضى تخريجه في (١) و(٢).

(٣٤)صحيح : رواه البخاري (٤/ ٢٤٥-٢٤٦) في الانبياء : باب علامات النبوة في الاسلام ، وفي فضائل اصحاب النبي ﷺ باب مناقب المهاجرين وفضلهم وباب هجرة النبي ﷺ واصحابه الى المدينة. ومسلم (٢٠٠٩) وأحمد.

(٣٥) الشفا (١/ ٣٥١).

(٣٦) الشفا (١/ ٣٤٨). الحديث في «المجمع» (٩ / ٧ - ٨) عن ابى هريرة وحوى على معجزات كثيرة وسياقه طويل قال الهيثمي : قلت في الصحيح بعضه- والحديث- رواه الطبراني في الاوسط والبزار باختصار كثير وفيه عبدالحكيم ابن سفيان ذكره ابن ابي حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم ٣/ ٢٩ـــ٣٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

(٣٧)صحيح : الشفا (١/ ٣٤٧). اصل الحديث رواه البخاري في الجهاد: باب تفرق الناس عن الامام عند القائلة ، وباب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ، وفي المغازي : باب غزوة ذات الرقاع وباب غزوة المصطلق. ومسلم برقم (٨٤٣).

(٣٨) الشفا (١/ ٣٥١) رواه ابو نعيم في الدلائل وابن اسحق (الخفاجي ٣/ ٢٤١) واورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير والاوسط وفيه اسحق بن فروة وهو متروك. ومحاولة ابو جهل هذه صحت بغير السياق السابق من حديث ابي هريرة، رواه مسلم برقم (٢٧٩٧)، جاء في أحد الروايات قال ابو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على رقبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لو فعله لاخذته الملائكة.

(٣٩) الشفا (١/ ٣٥١) ذكره السمرقندي (الخفاجي ٣/ ٢٤٢)

(٤٠) الشفا (١/ ٣٤٩) رواه البيهقي وغيره كما رواه ابن اسحق (الخفاجي ٣/ ٢٣٣). ورواه البزار وقال: حسن الاسناد. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٤): ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٤١) الشفا (١/ ٣٥٣) رواه ابن اسحق والبيهقي (بلا سند) وابو نعيم في الدلائل مسنداً (الخفاجي ٣/ ٢٤٩)

(٤٢) الشفا (١/ ٣٥٣) رواه ابو نعيم في الدلائل والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح (الخفاجي ٣/ ٢٤٨) قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٨٣- ١٨٤) : رواه الطبراني وفيه ايوب بن جابر وهو ضعيف

(٤٣) الشفا (١/ ٣٥٣) رواه ابن اسحق وابن سيد الناس (الخفاجي ٣/ ٢٤٨).

(٤٤) الشفا (١/ ٣٥٢) رواه ابن اسحق في سيرته وغيره كالكلبي في تفسيره (الخفاجي ٣/ ٢٤٣)

(٤٥) الشفا (١/ ٣٤٦) رواه الترمذي (٣٠٤٩) - تحقيق احمد شاكر- واخرجه بنحوه ابن جرير (١٢٢٧٦) والحاكم (٢/ ٣١٣) وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وحسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح. انظر جامع الاصول ٥٩٩

الاشارة السادسة عشرة

وهي الارهاصات: اي الخوارق التي ظهرت قبل النبوة، وتُعدّ من دلائل النبوة، لعلاقتها بها، وهي على ثلاثة اقسام:

القسم الاول

مأأخبرت به التوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء عليهم السلام عن نبوة محمد ﷺ، وهو ثابت بنص القرآن الكريم.

نعم. فما دامت تلك الكتب كتباً سماوية، واصحابها هم انبياء كرام عليهم السلام، فلا بد ان اخبارها عمن سيضيء بالنور الذي يأتيه نصف المعمورة، وينسخ الاديان الاخرى، ويغيّر ملامح الكون، اقول لابد ان ذكرها لهذه الذات المباركة ضروري وقطعي. فتلك الكتب التي لاتهمل حوادث جزئية أفيمكن الاّ تذكر أعظم حادثة في تاريخ البشرية تلك هي حادثة البعثة المحمدية؟ واذا كان لابد لها أن تبحث عنها وتذكرها، فهي إما ستكذّبها كي تصون دينها وكتابها من النسخ والتخريب. أو ستصدّقها، أي تصدّق ذلك النبي الحق كي تحافظ على دينها وكتابها من تسرب الخرافات وتسلل التحريفات،ولما كان الاصدقاء والاعداء متفقين على عدم وجود اية امارة في تلك الكتب للتكذيب مهما كانت، فهناك اذاً امارات التصديق. فما دام التصديق قائماً بصورة مطلقة، وان هناك علّة قاطعة، وسبباً اساساً يقتضي وجود هذا التصديق، فنحن بدورنا سنثبت ذلك التصديق بثلاث حجج قاطعة تدل على وجوده:

الحجة الاولى:

ان الرسول الاعظم ﷺ تلى عليهم آيات كريمة يتحداهم بها، وكأنه يقول لهم بلسان القرآن الكريم: ان كتبكم تصدّق ما تشتمل عليه شمائلي واوصافي وتصدّق ما ابلّغه للعالمين:

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾. (آل عمران: ٩٣)

﴿قل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ . (آل عمران: ٦١)

ومع هذا التحدي الواضح لم يتقدم حبر من أحبار اليهود، ولا قس من قسس النصارى الى اظهار خلاف ما يقوله ﷺ. فلو كان هناك شيء مهما كان طفيفاً من هذا القبيل لأعلنه اولئك الكفار والمنافقون من اليهود ذوو العناد والحسد، وهم كثيرون في كل مكان وزمان.

فكان التحدي: إما ان يجدوا أي خلاف كان فيما يبلّغ من اوامر الله سبحانه، أو سيجاهدهم جهاداً لا هوادة فيه، وهم لعجزهم عن الأتيان بخلاف ما يبلّغ آثروا الحرب والدمار والهجرة، اي انهم لم يجدوا شيئاً كي يلزموه... ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار.

الحجة الثانية:

لقد خالطت آيات التوراة والانجيل والزبور كلماتٌ غريبة عنها، لتوالي ترجماتها، والتباس كلام المفسرين وتأويلاتهم الخاطئة مع آياتها، حيث ان آياتها ليس فيها الاعجاز الذي في آيات القرآن الكريم، فضلاً عما قام به الجهلاء، وذوو الاغراض السيئة من تحريفات في تلك الكتب، فزادت من تلك التحريفات والتغييرات حتى ان العلاّمة المشهور رحمةَ الله الهندي(★) الزم الحجة علماء اليهود والنصارى باظهار الوف من التحريفات في الكتب السابقة.

ومع هذا القدر من التحريفات، فقد استخرج في هذا العصر العالم

(★) (١٨١٨ - ١٨٩١) وذلك في كتابه (اظهار الحق) الذي يعدّ من ادق الدراسات النقدية للتوراة والانجيل. وسبب تأليفه له هو انه اثناء الاحتلال البريطاني للهند، أخذ المبشرون يهاجمون الاسلام بعنف. فتصدى لهم علماء كثيرون. فعقدت اول مناظرة رسمية بين رئيس المبشرين ومؤلف الكتاب في ١٠/٣/١٨٥٤ ودوّنت محاضر الجلسات التي حضرها رجالات الهند، وكانت النتيجة ان انسحب المبشر بعد ان قامت عليه الحجة الدامغة ولمّا يتم النقاش. وهاجر رحمه الله بعد الثورة الهندية ضد الانكليز سنة ١٨٥٧ الى مكة واتصل به السلطان عبد العزيز خان ومن بعده السلطان عبد الحميد الثاني فألف كتابه هذا (اظهار الحق) في استانبول وتُرجم الى لغات عدة، وهو الذي اسس المدرسة الصولتية في مكة والتي مازالت قائمة - المترجم - (عن كتاب اكبر مجاهد في التاريخ الشيخ - رحمت الله الهندي. ترجمه من الاردية احمد حجازي السقا)

المشهور حسين الجسر -رحمه الله- مئة وعشرة أدلة على نبوته ﷺ من تلك الكتب واثبتها في كتابه المسمى ب «الرسالة الحميدية» وقام المرحوم اسماعيل حقي المناسطري بترجمة الكتاب الى اللغة التركية، فمن اراد فليراجعه.

ثم ان كثيراً من علماء اليهود والنصارى قد أقروا: ان في كتبنا أوصاف النبي محمد ﷺ، منهم هرقل من ملوك الروم الذي اعترف قائلا: «ان عيسى عليه السلام قد بشّر بمحمد ﷺ» كما اعترف صاحب مصر «المقوقس»، وابن صوريا، وابن أخطب واخوه كعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود» ورؤسائهم قائلين: «نعم، ان اوصافه موجودة في كتبنا، ومذكورة فيها».

كما ان كثيراً من مشاهير علماء اليهود والنصارى قد نبذوا الخصومة والعناد وآمنوا بالاسلام بعدما رأوا أوصاف النبي ﷺ في كتبهم، وبينوه لغيرهم من العلماء، فألزموهم الحجة. منهم: عبدالله بن سلام، ووهب بن منبه، وابي ياسر، وشامول - صاحب تُبَّع- كما آمن تبّع قبل البعثة غيابا، وإبناسعْية وهما أسيد وثعلبة اللذان ناديا في قبيلة بني النضير منددين بهم عندما حاربت الرسول ﷺ قائلين: «والله هو الذي عهد اليكم فيه ابن هيّبان» وابن هيبان هذا هو الرجل العارف بالله الذي كان قد نزل ضيفاً على بني النضير قبل البعثة، وقال لهم: «قريبٌ ظهور نبي هذا دار هجرته» وتوفي هناك، الاّ ان قبيلة بني النضير لم تلق بالاً لهما، فأصابهم ما أصابهم.

كما آمن من علماء اليهود: ابن ياسين، ومحيريق، وكعب الاحبار، وامثالهم كثير ممن رأوا نعت الرسول ﷺ في كتبهم.

وممن اسلم من علماء النصارى بحيراء الراهب - كما مرّ سابقاً- وذلك عندما ذهب ﷺ مع عمه ابي طالب الى الشام، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فصنع بحيرا طعاماً لقافلة قريش، اكراماً للنبي ﷺ ثم نظر واذا بالعمامة التي تظل القافلة باقية في مكانها، قال فالذي اريده اذاً مازال باقياً هناك فارسل عليه من يأتي به، وقال لعمه ابي طالب: عُدْ به الى مكة، فاليهود حسّاد يكيدون له، فإنا نجد أوصافه في التوراة.

وقد آمن كل من نسطور الحبشة ومليكها النجاشي، لمّا رأيا اوصاف النبي ﷺ في كتبهم. واعلن العالم النصراني المشهور ضغاطر اوصافه ﷺ بين الروم، فاستشهد. وقد آمن ايضا حارث بن ابي شمر الغساني - العالم النصراني المشهور- ورئيس الروحانيين في الشام، وملوكها اي صاحب ايليا، وهرقل، وابن ناطور، وجارود، وامثالهم، لمّا رأوا اوصافه ﷺ في كتبهم. الا ان هرقل لم يعلن ايمانه حرصا على الحكم والسلطة.

وامثال هؤلاء كثير مثل سلمان الفارسي الذي كان نصرانياً، وما ان رأى اوصافه ﷺ حتى أخذ يتحرى عنه ولما رآه أسلم. وكذلك تميم - وهو عالم جليل - والنجاشي - ملك الحبشة المشهور - ونصارى الحبشة، واساقفة نجران. فهؤلاء كلهم يخبرون بالاتفاق: انا آمنا لما رأينا اوصافه ﷺ في كتبنا.

الحجة الثالثة

سنذكر على سبيل المثال فحسب، آيات من التوراة والانجيل والزبور(★) التي تبشر بالرسول ﷺ.

الاولى: هناك آية في الزبور ما معناه:

«اللهم ابعث لنا مقيم السنة بعد الفترة» ومقيم السنة هو من اسمائه ﷺ.

وآية الانجيل:

«قال المسيح اني ذاهب الى ابي وربكم ليبعث فيكم الفارقليطا»[1] اي ليبعث فيكم أحمد.

وآية اخرى من الانجيل:

«واني اطلب من ربي فيعطيكم فارقليطا يكون معكم الى الابد»[2]

والفارقليط: الفارق بين الحق والباطل، وهو اسم النبي ﷺ في تلك الكتب[3].

(★) اورد الاستاذ النورسي اعلب هذه الآيات باللغة العربية، وعندما حاولتُ ارجاع كل آية الى مصدرها في الانجيل وجدت اختلافاً كبيراً بين طبعاتها وتفاوتاً واضحاً في ترجماتها المختلفة مع الاحتفاظ بالمعنى العام. لذا ادرجتها كما ذكرها الاستاذ في الأصل. (المترجم).

(١، ٢) انجيل يوحنا - الاصحاح الرابع عشر -المترجم -.

(٣) ولكن يبدو أن المترجمين قد تركوا لفظ فارقليط في تراجمهم للانجيل لشهرته لدى المسلمين في انه محمد - ﷺ - ولقد تتبع رحمة الله الهندي في «اظهار الحق» اختلاف الترجمات في مختلف الطبعات ابتداء من اقدم طبعاتها - المترجم -.

وآية التوراة:

«ان الله قال لأبراهيم. إنّ هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع»[1]

وآية اخرى في التوراة:

«وقال ياموسى اني مقيم لهم نبياً من بني احوتهم مثلك وأجري قولي في فمه والرجل الذي لايقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه»[2]

وآية ثالثة في التوراة.

«قال موسى: رب اني احد في التوراة أمةً هم خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، فاجعلهم امتي، قال: تلك امة محمد».

تنبيه:

لقد عبّرت تلك الكتب عن اسم محمد ﷺ باسماء سريانية ضمن اسماء عبرية فمثلاً: (مشفَّح، مُنْحمنا، حمياطا) وغيرها من الاسماء التي ترد بمعنى محمد في اللغة العربية. أما الاسم الصريح «محمد» ﷺ فلم يأت الاّ نادراً، وهذا قد حرّفه اليهود لحسدهم وعنادهم، منها آية الزبور:

«ياداود يأتي بعدك نبي يسمى احمد ومحمداً صادقاً سيداً، امته مرحومة». وقد اعلن عن وجود هذه الآية الآتية في التوراة قبل ان تلعب فيها ايدي التحريف كثيراً، كلٌ من عبدالله بن عمرو بن العاص - وهو احد العبادلة السبعة الذين لهم اطلاع واسع على الكتب السابقة - وعبدالله بن سلام - وهو من مشاهير علماء اليهود الذي سبق أقرانه في الاسلام - وكعب الاحبار، وهو من علماء اليهود. ومنها الآية التي تخاطب سيدنا موسى عليه السلام، ثم تتجه الى النبي الذي سيأتي:

«يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للاميين، أنت عبدي، سميتُك المتوكل، ليس بفظ، ولاغليظ، ولاصخّاب في الاسواق، ولايدفع السيئة بالسيئة، بل يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة

---

(١) سفر التكوين - الاصحاح السابع عشر - المترجم -

(٢) سفر التثنية - الاصحاح الثامن عشر - المترجم -

العرجاء بأن يقولوا: لا اله الآ الله». [1]

وآية اخرى من التوراة:

«محمد رسول الله مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. وامته الحمّادون» ولفظ «محمد» في هذه الآية قد ورد باسم سرياني يعني محمد.

وايضاً آية اخرى من التوراة:

«انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل». فهذه الآية تخاطب الذي سيبعث بعد موسى عليه السلام من بني اسماعيل الذين هم اخو بني اسحاق. [2]

وآية اخرى من التوراة:

«عبدي المختار ليس بفظ ولاغليظ» [3] والمختار هو المصطفى وهو اسم من اسماء النبي ﷺ.

وقد جاءت تعاريف متنوعة تخص «رئيس العالم» الذي بُشّر به بعد عيسى عليه السلام في الانجيل منها: «معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك» فقضيبٌ من حديد يعني السيف. اي سيأتي من هو صاحب السيف، وامته مأمورة بالجهاد، كما وصفهم القرآن الكريم في ختام سورة الفتح:

﴿وَمَثَلُهم في الانجيل كزرعٍ أخرَجَ شَطْئَهُ فآزَرَه فاستَغْلَظَ فاستوى على سُوقه يُعجبُ الزُرّاعَ ليغيظَ بهم الكفّار﴾ (الفتح: ٢٩)

وهناك آيات كثيرة اخرى مشابهة لهذه في الانجيل. [4]

جاءت في الباب الثالث والثلاثين من الكتاب الخامس من التوراة هذه الآية:

«وقال: جاء الرب من سيناء واشرق لنا من ساعيرا ستعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه»

فهذه الآية مثلما تخبر عن نبوة موسى عليه السلام باقبال الحق من

---

(١) (اشعيا) الاصحاح ٤٢

(٢، ٣) سفر التثنية - الاصحاح ١٨.

(٤) يورد الاستاذ النورسي هذه الآيات في الانجيل باللغة التركية مشيراً الى مواضعها. (المترجم)

طورسيب. فهي تخبر عن نبوة عيسى عليه السلام ب «اشرق لنا من ساعير» وفي الوقت نفسه تخبر عن نبوة محمد ﷺ بظهور الحق من فاران التي هي جبال الحجاز بالاتفاق، فالآية تخبر بالضرورة عن نبوته ﷺ. أما «ومعه الوف الأطهار في يمينه» فهي تصدّق حكم الآية الكريمة في ختام سورة الفتح في: ﴿ ذلك مثلهُمْ في التوراة... ﴾ اذ تصف اصحابه ﷺ بالاطهار القديسين وهم الاولياء الصالحون.

وجاءت هذه الآية في الباب الثاني والاربعين من كتاب اشعيا:

«ان الحق سبحانه سيبعث صفيه في آخر الزمان وسيرسل اليه الروح الأمين وهو جبرائيل يعلّمه ثم بعد ذلك يعلم الناس كما علّمه جبرائيل، ويحكم بين الناس بالحق، وهو نورٌ سيُخرج الناس من الظلمات الى النور. وقد علمني ربي ما سيقع فاقول لكم». فهذه الآية تبين بوضوح تام اوصاف الرسول ﷺ.

وفي الباب الرابع من كتاب النبي ميخائيل الآية الآتية:

«ستكون في آخر الزمان امة مرحومة تعبد الحق وتوثر الجبل المقدس، ويجتمع اليه خلق كثير هناك من كل اقليم تعبد الرب ولا تشرك به».

فهذه الآية تبين «عرفة» والخلق الكثير هم الحجاج الذين يقصدون ذلك [illegible] ويعبدون الله، وان الامة المرحومة هي امة محمد، حيث ان [illegible] شعارهم.

[illegible] الثاني والسبعين من الزبور هذه الآية:

[illegible] البحر الى البحر، ومن الانهار الى اقاصي الارض، ونرده [illegible] الجزائر، وتسجد له الملوك وتنقاد اليه، ويصلّى عليه كل [illegible] كل يوم. وتشع انواره من المدينة، وسيدوم ذكره ابد [illegible] موجود قبل ان تخلق الشمس، وسيبقى اسمه ما بقيت [illegible]

[illegible] في وصف النبي ﷺ، فهل جاء بعد نبي الله داود عليه [illegible] محمد ﷺ اعلى الدين شرقاً وغرباً، وجعل الملوك يعطون له [illegible] له الملوك والسلاطين انقياد خضوع ومحبة، وتوهب

له الصلوات والادعية يومياً من خمس البشرية، وبزغت انواره من المدينة؟ . . فهل هناك غيره؟ .

والآية العشرون من الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا (المترجم الى التركية) هي: «لا اتكلم ايضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء اوليس له عندي مثيل»[1]

فعبارة سيد العالم هو فخر العالم. وهو عنوان مشهور لسيدنا الرسول ﷺ.

والآية السابعة من الباب السادس عشر من انجيل يوحنا:

«لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق، لأنه ان لم انطلق لايأتيكم المعزّي»[2] فهل المسلّي بعد عيسى عليه السلام غير محمد ﷺ. فهو الذي ينقذ البشرية من حكم الزوال والاعدام الابدي فيسليها، وهو سيد العالمين وفخر الكائنات.

والآية الثامنة من الباب السادس عشر من انجيل يوحنا

«ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» (اي يلزمهم على الخطيئة والصلاح والحكم) فالذي يبدل فساد العالم الى صلاح، وينقذ الناس من الأثام والخطايا والشرك، ويبدل اسس السياسة والحاكمية في الدنيا، من يكون غير محمد ﷺ؟

والآية الحادية عشرة من الباب السادس عشر من انجيل يوحنا: «لقد جاء زمان قدوم سيد العالم» أو «وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دِينْ».

فلابد ان المراد بسيد العالم[3] هو سيد البشرية محمد ﷺ.

والآية الثالثة عشرة من الباب الثاني من انجيل يوحنا: «اذا جاء روح الحق ذاك، فهو الذي يرشدكم الحق كله، لأنه لاينطق من عنده، بل يتكلم

---

(١) الآية الثلاثون من الاصحاح ١٤ من انجيل يوحنا (طبعة جمعيات الكتاب المقدس) - (المترجم)

(٢) في طبعة الموصل سنة ١٨٧٦ «لايأتيكم الفارقليط». - (المترجم)-

(٣)نعم أعظم به من سيد، ينقاد له كل عصر ثلاثمئة الف مليون شخص انقياد طاعة وحب منذ الف وثلاثمئة سنة. ويستسلمون لأوامره، ويجددون معه البيعة يومياً بالسلام عليه (النورسي)

بكل مايسمع ويخبركم بالآتي من الامور».

فهذه الآية صريحة في حق الرسول الكريم ﷺ. فمن غيره ﷺ دعا الناس جميعاً الى الحق؟ ومن غيره لاينطق الاّ بالوحي، ويقول ما يسمعه من جبرائيل عليه السلام؟ ومن غيره يخبر عن احداث القيامة والآخرة إخباراً مفصلاً؟

ثم ان في صحف الانبياء اسماء للرسول ﷺ تفيد معنى «محمد» «احمد» «المختار» «مصطفى» وذلك باللغة السريانية والعبرية:

ففي صحف شعيب عليه السلام، هناك: (مشفح) وهي بمعنى: «محمد» كما انه في التوراة اسم (منحمنا) وهذا بمعنى اسم «محمد». كما جاء في الزبور (حمياطا) وهو بمعنى نبي الحرم. وفيه ايضاً (المختار)، وقد جاء في التوراة اسم (الحاتم، الخاتم). وجاءت كلمة (مقيم السنة) في كل من التوراة والزبور. وفي صحف ابراهيم والتوراة: (مازماز). وفي التوراة ايضا (أحيد).

وقد قال الرسول ﷺ:

«اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة أحيد، وانما سميت أحيد لأني أحيد عن امتي نار جهنم»[1] ومن الاسماء النبوية التي وردت في الانجيل «صاحب القضيب والهراوة» فلاشك انه اعظم نبي بين الانبياء بجهاده وجهاد امته. وكذلك «انه صاحب التاج» فهذه الصفة خاصة به ﷺ اذ الامة العربية هم المعروفون بالعمامة والعقال بين الامم والتاج والعمامة بمعنى واحد. فصاحب التاج المذكور في الانجيل ليس الاّ الرسول ﷺ. وفيه كذلك: البارقليط أو الفارقليط، ومعناه كما جاء في تفسير الانجيل انه الفارق بين الحق والباطل، وهو اسم النبي ﷺ الذي يدعو الناس الى الحق. وقد قال عيسى عليه السلام في الانجيل: «سأذهب كي يجيء سيد العالم». فهل غير محمد ﷺ قد جاء بعد عيسى عليه السلام، وترأس العالم وفرّق بين الحق والباطل، وارشد الناس الى الخير والصلاح. اي ان عيسى عليه السلام كان يبشّر دوماً انه سيأتي احدهم بعدي ولا تبقى الحاجة اليّ د...

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنه (الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ١٤٣) (المترجم)

مقدمة له. كما يصرح بذلك القرآن الكريم: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسولُ الله اليكُم مُصدّقًا لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُه أحمد**﴾ (الصف: ٦)

نعم ان عيسى عليه السلام قد بشّر أمته كثيراً بانه سيجيء سيد العالم[1] ورئيسه ويذكره باسماء مختلفة سواء بالسريانية أو العبرية. فالعلماء المحققون يرون ان هذه الاسماء تعني: أحمد، محمد، الفارق بين الحق والباطل.

سؤال: لِمَ بشّر عيسى عليه السلام بقدوم النبي ﷺ اكثر من غيره من الانبياء عليهم السلام بينما اكتفى الآخرون بالاخبار عنه فقط؟

الجواب: لأن الرسول الكريم ﷺ قد انقذ عيسى عليه السلام من تكذيب اليهود ومن افتراءاتهم الشنيعة، وانقذ دينه من تحريفات فظيعة، فضلاً عن انه اتى بشريعة سمحاء بدلاً من تلك الشريعة التي ارهقت بني اسرائيل الذين لايؤمنون بعيسى عليه السلام فهذه الشريعة الغراء جامعة للاحكام مكملة لما هو ناقص في شريعة عيسى عليه السلام. ومن هنا تأتي بشارة عيسى عليه السلام بالرسول الكريم ﷺ.

* * *

وهكذا نرى كيف ان التوراة والانجيل والزبور وسائر صحف الانبياء قد بشّرت بنبي آخر الزمان علماً اننا لم نذكر الا نبذة يسيرة من الآيات الكثيرة حول هذا الموضوع، اذ ان تلك الآيات والاوصاف المذكورة كافية لإثبات ان نبي آخر الزمان هو محمد ﷺ لاغير.

---

(١) لقد رأى الرحالة التركي المشهور «اوليا جلبي» في مقبرة شمعون الصفا انجيلا مكتوبا على جلد الغزال فقرأ فيه الآية الآتية:
(ايبون) مولود (ارريبون) من نسل ابراهيم (بروقنون) يصبح نبياً (لوغسلين) ليس كذاباً (بنت او ولات) يكون مولده بمكة (كه كالوشير) يأتي بالصلاح والرشاد (توتو منين) اسمه المبارك (مواميت)(★) احمد محمد (ايسيدوس) الذين معه ويتبعونه (تاكرديس) هم اساس هذه الدنيا (بيت بيث) وهو سيد العالم. (النورسي)

(★) ان كلمة (مواميت) محرّفة عن «محمد». (النورسي)

القسم الثاني

من الارهاصات ودلائل النبوة هو: اخبار الكهان والاولياء العارفين بالله في عهد «الفترة» (اي قبل البعثة النبوية) عن مجيئه ﷺ . فقد اعلنوا عنه امام الملأ. وتركوا اخبارهم لنا في اشعارهم بهذه الاخبارات كثيرة جداً، فلا نذكر منها الا ماهو منتشر ومشهور ومقبول لدى رجال السير والتاريخ(★).

الاول: ما رآه الملك تُبَّع -من ملوك اليمن- من أوصاف الرسول ﷺ في الكتب القديمة، وآمن. واعلن ذلك شعراً:

شهدتُ على أحمد انه رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدّ عمري الى عمره لكنتُ وزيراً له وابن عم

اي كنت كعلي رضي الله عنه له.

الثاني: اعلان قس بن ساعدة الشهير بابلغ خطباء العرب والموحِّد، عن الرسالة الأحمدية شعراً قبل البعثة بالابيات الآتية:

ارسل فينا أحمد خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما عج له ركبٌ وحث

الثالث: ما قاله كعب بن لؤي وهو أحد أجداد النبي ﷺ فألهم هذا البيت عن الرسالة الأحمدية:

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر اخباراً صدوقاً خبيرها

الرابع: مارآه سيف بن ذي يزن احد ملوك اليمن في الكتب السابقة من اوصاف الرسول ﷺ، وآمن به واشتاق اليه، وعندما ذهب جد النبي ﷺ الى اليمن مع قافلة قريش دعاهم الملك سيف بن ذي يزن وقال لهم

(★) الجدير بالملاحظة ان الاستاذ النورسي يورد هذه الامثلة من كتب التاريخ والسيرة وليس من كتب الاحاديث كما كان دأبه في الاشارات السابقة، حيث لكل علم شروطه وموازينه (المترجم).

اذا ولد بتهامة (اي : الحجاز) ولدُبين كتفيه شامةٌ كانت له الامامة وانك يا عبد المطلب لجدّه .

الخامس : عندما نزل الوحي لأول مرة على الرسول الكريم ﷺ أخذه الخوف والروع، فانطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل (ابن عم خديجة) فقالت : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك . فقال له ورقة : يا ابن اخي ماذا ترى؟ فاخبره رسول الله ﷺ ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعاً، ليتني اكون حياً اذ يخرجك قومك[1] .

ومما قاله ورقة : بشّر يا محمد إنّي أشهد أنّك أنت النبي المنتظر وبشّر بكَ عيسى .

السادس : لما رأى عثكلان الحميري العارف بالله قريشاً قبل البعثة قال لهم : هل فيكم من يدّعي النبوة؟ فأجابوه : لا، ثم سأل السؤال نفسه زمن البعثة، فقالوا : نعم، إن فينا من يدّعي النبوة، فقال : ان العالم ينتظره .

السابع : اخبر احد علماء النصارى وهو ابن العلا عن النبي ﷺ قبل البعثة، ثم جاء بعد البعثة فرأى النبي ﷺ وقال له : والذي بعثك بالحق لقد وجدتُ صفتك في الانجيل وبشّر بك ابن البتول .

الثامن : قال النجاشي ملك الحبشة الذي سبق ذكره : ليتَ لي خِدْمَتُه بدلاً عن هذه السلطنة .

• • •

وبعد ماذكرنا ما تنبأ به هؤلاء العارفون بالهام من الله عن مجيء الرسول ﷺ نورد ماقاله الكهان وتنبأوا به من أخبار الغيب بواسطة الارواح والجن، فقد صرحوا بمجيء النبي ﷺ وتنبأوا عن نبوته وهم كثيرون، الاّ اننا سوف لا نذكر الاّ ما هو في حكم المتواتر ومذكور في كتب السيرة والتأريخ ونحيل قصصهم المطولة واقوالهم المسهبة الى كتب السيرة . فلا نذكر هنا الاّ الخلاصة .

الاول : الكاهن الموسوم بـ « شق » الذي كان شق انسان يداً واحدة ورجلاً واحدة وعيناً واحدة . أخبر هذا الكاهن عن النبي ﷺ مراراً حتى وصلت اقواله حدّ التواتر .

الثاني: كاهن الشام المسمى ب « سطيح » الذي كان اعجوبة من العجائب حيث كان جسداً لا جوارح له ولا عظم فيه - الا الرأس - ووجهه في صدره، وقد عاش كثيراً، اشتهرت اخباره الغيبية الصادقة كثيراً حتى ان كسرى ملك فارس عندما رأى الرؤيا العجيبة التي هالته - زمن ولادة الرسول ﷺ - من انشقاق شرفات ايوانه الأربعة عشر وسقوطها، بعث عالماً اسمه «مويزان» ليسأل سطيحاً عن حكمة هذه الرؤيا، فأرسل الى كسرى كلاماً بهذا المعنى: «سيحكم فيكم اربعة عشر ملكاً ثم ستُمحى سلطتكم وتُزال دولتكم، وسيأتي من يظهر ديناً جديداً، فيكون سبباً في زوال دينكم ودولتكم». وهكذا اخبر سطيح خبراً صريحاً عن مجيء نبي آخر الزمان.

وقد اخبر سواد بن قارب الدوسي، وخنافر وأفعى نجران (من ملوكها)، وجذل بن جذل الكندي، وابن خلصة الدوسي، وفاطمة بنت النعمان النجارية وامثالهم من الكهان المشهورين. قد اخبروا جميعاً عن مجيء نبي آخر الزمان وانه محمد ﷺ كما ذكرته كتب التاريخ والسيرة مفصلاً.

وان سعد بن بنت كريز وهو من اقارب عثمان رضي الله عنه قد تلقى بطريق الكهانة خبر نبوة محمد ﷺ من الغيب، فأشار الى عثمان رضي الله عنه بالايمان في اول ظهور الاسلام قائلاً: انطلق الى محمد وآمن، فآمن عثمان واورده سعد شعراً

هدى الله عثمان بقولي الى التي
بها رُشْدُه والله يهدي الى الحق

• • •

واخبرت الهواتف ايضاً كما اخبر الكهان عن مجيء الرسول ﷺ والهاتف هو الصوت العالي الذي يُسمع ممن لا يُرى شخصه

منها: سماع ذياب بن الحارث هاتفاً من جني، واصبح سبباً لاسلامه واسلام غيره:

ياذياب ياذياب
اسمع العجب العجاب

نُعث محمدٌ بالكتاب
يدعو بمكة فلايُجاب

ومنها: سماع ابن قرة الغطفاني هاتفاً يقول:

جاء الحق فسطع
ودُمّر باطلٌ فانقمع

فكان سبباً في ايمان بعض الناس.

وهكذا فبشارة الكهّان والهواتف مشهورة وكثيرة جداً.

● ● ●

وقد سُمع من جوف الاصنام وذبائح النُصب خبر مجيء النبي ﷺ كما سمع من الكهان والهواتف.

منها: ان صنم قبيلة مازن اخبر عن الرسالة الاحمدية اذ نادى فقال: هذا النبي المرسل جاء بالحق المنزل.

وكذلك فان سبب اسلام عباس بن مرداس هذه الحادثة المشهورة: انه كان له صنم يسمى بـ «ضمار» فقال ذلك الصنم يوماً [٢]

اودى ضمار وكان يُعبد
قبل البيان من النبي محمد

وقد سمع عمر رضي الله عنه قبل اسلامه صوتاً من عجل قرّبه رجل ليذبحه قرباناً لصنم يقول

يا آل ذريح، أمرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول لا اله الاّ الله.[٣]

وهكذا فهناك حوادث مشابهة كثيرة جداً امثال ماذكرناه قد نقلته الكتب الموثوقة في السيرة والتاريخ.

● ● ●

وكما ان الكهان والعارفين بالله والهواتف حتى الاصنام والذبائح اخبروا عن الرسالة الاحمدية، واصبحت كل حادثة سبباً لاسلام قسم من الناس كذلك بعض الاحجار وشواهد القبور وجدت عليها عبارات بالخط القديم «محمد مصلح أمين». وقد آمن لسبب ذلك قسم من الناس.

نعم ان عبارة «محمد مصلح أمين» حريّة بالنبي ﷺ اذ هو المتصف

[illegible] ولانه لم يكن قبل ذلك من يتسمى باسم محمد سوى رجال [illegible] بهذا الاسم.

القسم الثالث من الارهاصات

هو الآيات والحوادث التي ظهرت عند مولده ﷺ. فالحوادث التي يرتبط ظهورها بمولده والتي حدثت قبل البعثة يُعدّ كل منها معجزة من معجزاته، وهي كثيرة جداً، الاّ انا سنورد هنا امثلة مشهورة قبلها ائمة الحديث. وثبتت لديهم صحتها

الأول: ما رأته امه[4] ﷺ «من النور الذي خرج معه عند ولادته» ورأته ام عثمان بن العاص وام عبدالرحمن بن عوف اللتان باتتا عندها ليلة الولادة، فقد قلن: رأينا نوراً حين الولادة اضاء لنا مابين المشرق والمغرب....

الثاني: انتكاس معظم الاصنام التي كانت في الكعبة

الثالث: «ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته» الاربعة عشر

الرابع: «غيض بحيرة» ساوة تلك الليلة وهي التي كانت تقدّس. «وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد»[5] حيث كانت توقد في اصطخر اباد ويعبدها المجوس.

فهذه الحوادث الاربعة انما هي اشارات الى أن ذلك المولود الجديد سيحظر عبادة الاصنام وسيدمّر سلطنة فارس، وسيحرّم تقديس مالا يأذن به الله

الخامس: حادثة الفيل: وهي مع انها ليست من حوادث تلك الليلة الاّ أنها قريبة الحدوث للولادة، لذا فهي من الارهاصات ايضاً. وقد بينها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ألَمْ تر كيف فعل ربُّك باصحاب الفيل ﴾ الاية. وخلاصة قصتها: ان أبرهة ملك الحبشة اراد هدم الكعبة، فساق امام الجيش فيلاً عظيماً يقال له: محمود، فلما وصل الفيل قرب مكة برك ولم ينهض مهما حاولوا معه، فلما عجزوا عادوا، الاّ أن طيور أبابيل لم تتركهم سالمين، فرمتهم بحجارة من سجيل واذلّتهم فانهزموا شر هزيمة. هذه القصة مشهورة في كتب التاريخ وهي من علائم نبوته ﷺ حيث نجتْ قبلَه واحتْ

موطن اليه، الكعبة، من دمار ابرهة نجاة خارقة للعادة.

السادس: اظلال الله له بالغمام في سفره «وقد روى أن حليمة - السعدية - رأت غمامة تظله وهو عندها»[5] في صباه وشهدها زوجها، فأخبر الناس بذلك، فاصبحت حادثة معروفة مشهورة.

«كما رأى الغمام بحيرا الراهب وأراه الناس لما سافر للشام مع عمه وهو في الثانية عشرة من عمره»[7]

«وفي رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم» ﷺ من سفره من الشام «وملكان يظلانه - كالغمام - فذكرت ذلك لميسرة» غلام خديجة «فأخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره»[8]

السابع: وثبت بالنقل الصحيح[9] «انه نزل في بعض اسفاره قبل البعثة تحت شجرة يابسة فاعشوشبت ماحولها واينعت هي فاشرفت» اي نمت وعلت «وتدلت عليه أغصانها»

الثامن: «وانه كان اذا أكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب، فأكلوا في غيبته لم يشبعوا»[10] وهذه حادثة مشهورة وصحيحة.

وقد قالت أم أيمن - مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته: «مارأيته ﷺ شكى جوعاً ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً»[11]

التاسع: البركة التي حصلت في غنم وحمل مرضعته حليمة السعدية خلافاً للقوم. وهذه حادثة مشهورة ولاريب في صحتها[12]

«وان الذباب كان لايقع على جسده ولاثيابه»[13] وما كان يؤذيه. ولقد ورث الشيخ عبدالقادر الكيلاني (قدس سره) هذا عن جده الاعظم ﷺ، اذ كان لايقع عليه الذباب ايضا

العاشر: كثرة الرجم بالشهب السماوية بعد مجيء النبي ﷺ للدنيا، ولا سيما ليلة مولده.

ولقد اثبتنا سقوط الشهب السماوية ورجم الشياطين في «الكلمة الخامسة عشرة»، وبينا أن المراد من سقوط الشهب السماوية هو الاشارة الى قطع رصد الشياطين والجن عن السماء ومنعهم من استراق السمع. فما دام الرسول ﷺ قد برز بالوحي الى العالم اجمع لزم اذا ان تمنع اقوال الكهان ومن

يتكلم عن الغيب من اقوال الجن الملفقة بالكذب وخلاف الواقع حتى لا تلتبس الوحيّ بغيره ولاتكون هناك اية شبهة كانت في أمر الوحي. فلقد كانت للكهانة كثيرة جدا قبل النبوة، ولكن بعد نزول القرآن الكريم حظرت بتاتا، حتى أن كثيرين منهم آمنوا، لانهم لم يجدوا مخبريهم من الجن لينبأوا لهم الاخبار الغيبية. فسدّ القرآن الكريم اذا الطريق عليهم. وقد ظهر نوع من الكهانة السابقة في اوربا في الوقت الحاضر لدى الوسائط الذين يريدون تحضير الارواح... وعلى كل حال...

الحاصل: لقد ظهرت حوادث كثيرة واشخاص كثيرون لتأييد نبوة محمد ﷺ قبل بعثته.

نعم! ان الذي سيكون سيد العالم [*] معنىً، والذي سيبدل ملامح العالم المعنوية، والذي سيحول الدنيا مزرعة للآخرة، والذي سيعلن عن علو منزلة المخلوقات ونفاستها، والذي سيهدى الجن والانس الى الرشد وطريق السعادة، وينقذهم - وهم الفانون - من العدم المطلق، والذي سيحل حكمة الخلق واللغز المحيّر للعالم، والذي سيعلم ويعلّم مقاصد رب العالمين، والذي سيعرف ويعرّف ذلك الخالق العظيم... ان انسانا كهذا لابد ان يكون كل شيء، وكل نوع، وكل طائفة من المخلوقات، مشتاقا الى مجيئه وسيرقبه بلهفة، ويستعد احتفاءً بمقدمه العظيم، بل سيبشر الآخرين بقدومه - اذا ماأعلمه خالقه بذلك - كما رأينا مصداق ذلك في الاشارات والامثلة السابقة من ان كل نوع من المخلوقات قد اظهر معجزاته بما يشبه الترحيب به، وكأنه يقول بلسان المعجزة: انت صادق في دعوتك

(*) ان الذي قيل في حقه لولاك لولاك [14] لهو سيد عظيم حقا، اذ يدوم سلطانه الفا وثلاثمائة وخمسين سنة. وله اتباع في كل عصر يربون على ثلاثمائة وخمسين مليونا من البشر، وقد نشر رايته في نصف المعمورة ويجدّد معه أتباعه البيعة يوميا في صلواتهم وسلامهم عليه وبكل استسلام وادعان وينقادون لأوامره.

(النورسي)

هوامش على الاشارة السادسة عشرة
(القسم الثاني والثالث)

(١) صحيح: رواه الامام أحمد. قال العلامة أحمد شاكر: اسناده صحيح (تحقيق المسند رقم ٣٨٤٦. ٤/ ٣٠٢).

(٢) ضعيف: حديث عباس بن مرداس عزاه الكنز (١٢/ ٤٧٢) للخرائطي في الهواتف وابن

عساكر. وسنده ضعيف.

(٣)صحيح: رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وسياق الحديث عند البخاري طويل. ووردت قصة أخرى قريبة منها في مسند الإمام أحمد (٢٠ / ٢٠٣٠ الفتح الرباني) قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٤)صحيح: كما رواه أحمد والبيهقي. وحديث النور الذي خرج معه أضاء له جميع الأرض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم (الخفاجي ٣ / ٣١١). وانظر تفصيلاته في الفتح (٦ / ٥٨٣٠) والمشكاة (٥٧٥٩) قال المحقق: صحيح. وانظر مجموع الأحاديث الواردة في ذلك في مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٣ - ٢٢٤) وفي صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٤٥) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» رواه ابن سعد. قال المحقق: صحيح.

(٥) جاء في كتاب (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي القاري المكي) والذي حققه عبدالفتاح أبو غدة ما مخلصه في ص ١٨: فهذا الحديث ليس بصحيح (المقصود: ارتجاس إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة، وخمود نار فارس، وغيض بحيرة ساوه) ثم قال: ولا يغرنك ذكر بعض العلماء له في كتب السيرة والتاريخ، مثل ابن جرير الطبري في «تاريخه» (٢ / ١٣١-١٣٢)، وأبي نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٩٦-٩٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» أيضاً (١ / ٦٧-٧١)، والقسطلاني في «المواهب اللدنية» (١ / ٢٣)، والزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (١ / ١٢١-١٢٢) والسيوطي في «الخصائص الكبرى» (١ / ٥١)، والشامي الصالحي في السيرة الشامية «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (١ / ٤٢٩-٤٣٠) وغيرهم. فإن هؤلاء المؤلفين وأمثالهم رحمهم الله تعالى، يذكرون في كتبهم هذه كل ما ورد في الباب مما صح ومما لم يصح لتسجيله ومعرفته وتمحيصه وغربلته، لا تصديقه وصحته.

(٦) كما رواه الواقدي وابن عساكر وابن سعد في تاريخه عن ابن عباس (الخفاجي ٣ / ٣١٨).

(٧)صحيح: انظر الهامش (١٧) من الإشارة (١١).

(٨) الخفاجي (٣ / ٣١٨).

(٩) الخفاجي (٣ / ٣١٨)، الشفا (١ / ٣٦٨).

(١٠) كما رواه ابن سعد وغيره (الخفاجي ٣ / ٣١٥).

(١١) الخفاجي (٣ / ٣١٥).

(١٢) الخفاجي (٣ / ٣١٣)، راجع الهامش (٣٣) من الإشارة (١٤).

(١٣) الخفاجي (٣ / ٣١٩).

(١٤) «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» تناوله العلماء معنىً ومبنىً. ولعل قول علي القاري هو الوسط بين المتشددين والناقمين له إذ يقول: إنه صحيح معنى ولو ضعف مبنى (شرح الشفا ١ / ٦). ويوضح الشيخ ابن تيمية معناه في الفتاوى فننقل منه ما يأتي: «ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق وأكرمهم. ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً ولا كرسياً ولا سماءً ولا أرضاً ولا شمساً ولا قمراً. لكن ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله. ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾ ثم قال: فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقاً، ومحمد إنسان هذا العين وقطب هذه الرحى وأقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات، فما ينكر أن يقال إنه لأجله خلقت جميعها، وإنه لولاه لما خلقت» (الفتاوى ١١ / ٩٦ - ٩٨ مجلد التصوف).

الإشارة السابعة عشرة

ان اعظم معجزة الرسول الكريم ﷺ بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة، اي ما اجتمع فيه ﷺ من الاخلاق السامية والخصال المحمودة، وقد اتفق الاعداء والاولياء على انه كان اعلى الناس قدراً واعظمهم محلاً واكملهم محاسن وفضلاً. حتى ان بطل الشجاعة الامام علي رضي الله عنه يقول: «انا كنا اذا حمي البأس - ويروى اشتد البأس - واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ» وهكذا كان ﷺ في ذروة كل خصلة حميدة كما هو في الشجاعة، بحيث لا يرقى اليها احد غيره.

نحيل هذه المعجزة الكبرى الى كتاب «الشفا في حقوق المصطفى» للقاضي عياض المغربي. فقد اجاد فيه حقاً وبين بيانها ايما اجادة، واثبتها في اجمل تفصيل.

● ● ●

ثم ان الشريعة الغراء التي لم يأت ولا يأتي مثلها هي معجزة اخرى عظيمة للرسول الكريم ﷺ حتى اتفق الاعداء والاصدقاء عليها.

نحيل تفصيل هذه المعجزة وبيانها الى جميع ما كتبناه من رسائل وهي (٣٣) كلمة و(٣٣) مكتوباً و(٣١) لمعة و(١٣) شعاعاً.

● ● ●

ثم المعجزة العظمى ... تلك هي معجزة انشقاق القمر التي رويت بروايات متواترة وهي ثابتة ثبوتاً قطعياً لاتقترب منه شبهة. فقد رويت بطرق عديدة ومشهورة متواترة عن ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، والامام علي، وانس، وحذيفة، وامثالهم كثير من الصحابة الاجلاء رضوان الله تعالى عليهم اجمعين. فضلاً عن تأييد القرآن الكريم واعلانها تلك المعجزة في ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ بل لم يسع كفار قريش وهم اهل عناد وتعنت ان يردوا هذه المعجزة، ولكنهم قالوا: «انه سحر» اي ان انشقاق القمر أمر

ثابت مقطوع به حتى من قبل الكفار انفسهم الآ انهم أوّلوا الحادثة بأنها سحر.
نحيل القارىء الكريم الى رسالة شق القمر التي هي ذيل «رسالة المعراج».

* * *

ثم ان الرسول الكريم ﷺ اظهر المعجزة العظمى معجزة «المعراج» لأهل السماء، كما اظهر لأهل الارض معجزة «انشقاق القمر». فنحيل القاريء الكريم الى رسالة «المعراج» وهي الكلمة (٣١)، التي اثبتت صدق تلك المعجزة واظهرتها بوضوح، الآ اننا سنذكر هنا ما هو مقدمةٌ لتلك المعجزة وهي سفره ﷺ الى بيت المقدس، وطلب قريش منه وصف بيت المقدس صبيحة المعراج، وما حصل في هذا السفر من معجزة ايضاً.

فعندما اخبر الرسول الكريم صبيحة ليلة المعراج عن سفره، كذّبته قريش وقالوا: ان كنت حقاً قد ذهبت الى بيت المقدس فصف لنا ابوابه وجدرانه واحواله.

قال الرسول الكريم ﷺ: «فكربتُ كرباً ما كربتُ مثله قط، فرفعه الله لي انظر اليه»[1] اي رُفع له بيت المقدس وبدأ يصفه وهو ينظر اليه، فتيقنت قريش من الخبر «وقالوا: متى تجيء؟» اي القافلة التي رآها الرسول في الطريق، «قال يوم الاربعاء. فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون وقد ولّى النهار، ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ، فزيد له في النهار ساعة وحبست الشمس»[2]

فانت ترى ان الارض تعطل وظيفتها ساعة من نهار تصديقاً لخبره ﷺ، وتشهد على صدقه الشمس الضخمة... ترى ما اشقاه ذلك الذي لا يصدق كلام هذا النبي الكريم ﷺ الذي عطلت الارض وظيفتها وحبست الشمس سيرها تصديقاً لكلامه. وما اسعد اولئك الذين نالوا شرف امتثال اوامره ﷺ...

تأمل في هذا وقل:

الحمد لله على الايمان والاسلام.

هوامش على الاشارة السابعة عشرة

(١) صحيح: الشفا (١/ ١٩١)، رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب الاسراء، وفي تفسير سورة الاسراء. ومسلم برقم (١٧٠) والترمذي (٢١٣٢ - تحقيق أحمد شاكر) ونص الحديث: «عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه» وللبخاري زيادة على هذا الحديث في رواية اخرى.

(٢) الشفا (١/ ٢٨٤) قال على القاري (١/ ٥٩١ - ٥٩٢) وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له ﷺ ليس بصحيح، وإن أوهم تخريج القاضي له في الشفاء عن الطحاوي من طريقين... قال ابن تيمية: العجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهماً صحته وناقلا ثبوته موثقاً رجاله. اهـ. وفي المواهب قال شيخنا قال أحمد: لا أصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده في الموضوعات، ولكن صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابي هريرة. اهـ. قال القسطلاني: وروى الطبراني ايضاً في معجمه الكبير باسناد حسن وذكر السيوطي في الدرر المنتثرة ١٩٣، كلاماً مشابهاً لهذا وعقبه: وقد ادّعى ابن الجوزي انه موضوع فأخطأ كما بينه في مختصر الموضوعات وفي التعقيبات. اهـ. انظر الاحاديث الواردة في هذا: في المجمع (٨/ ٢٩٦) والفتح (٦/ ١٥٥) وسلسلة الاحاديث الضعيفة ٩٧٢ ففيها تحليل حول الموضوع

الاشارة الثامنة عشرة

ان اعظم معجزة من معجزات الرسول الأكرم ﷺ انما هو القرآن الكريم؛ الذي يضم مئات دلائل النبوة. وقد ثبت اعجازه بأربعين وجهاً كما في الكلمة الخامسة والعشرين. لذا سنحيل بيان هذا الكنز العظيم للمعجزات الى تلك الكلمة. ونكتفي هنا ببيان ثلاث نكات دقيقة.

النكتة الاولى

سؤال:

ان قيل: ان سر اعجاز القرآن الكريم انما هو في بلاغته الفائقة، بينما لايرقى إلا واحد من الألف من علماء البلاغة العطاحل الى ادراك هذا السر، مع أنه كان ينبغي ان تكون لكل طبقة من طبقات الناس حظها من هذا الاعجاز؟

الجواب:

ان للقرآن الكريم اعجازاً لكل طبقة من طبقات الناس، الآ انه يُشعر اعجازه هذا بأسلوب معين ونمط خاص.

فمثلاً، يبيّن اعجازه الباهر في البلاغة «لأهل البلاغة والفصاحة»،ومثلاً؛ يبين اسلوبه الرفيع الجميل الفريد «لأرباب الشعر والخطابة»،هذا الأسلوب مع أنه تستسيغه كل طبقة من الناس الآ ان أحداً لايجرأ على تقليده، فلا تخلقه كثرة الرد ولا يبليه مرور الزمان، فهو اسلوب غض طري يحتفظ بفتوته وشبابه ونضارته دائماً، وهو اسلوب يحمل من النثر المنظوم والنظم المنثور ما يجعله رفيعاً عالياً ولذيذاً ممتعاً في الوقت نفسه.

ثم انه يبين اعجازه فيما يخبر من أنباء معجزة عن الغيب فيتحدى به طبقة الكهان «والذين يدّعون انهم يخبرون اشياء عن الغيب».

ثم انه يقصّ «لأهل التاريخ» والذين يتتبعون أحداث العالم من العلماء ما يشعرهم إعجازه، وذلك بذكره أحداث الأمم الغابرة وأحوالها، وما سيحدث في المستقبل من وقائع، سواء في الحياة الدنيا أو في البرزخ أو في الآخرة، فيتحداهم باعجازه الرائع هذا.

ويعرض ايضاً اعجازه «لعلماء الأجتماع والسياسة والحكم» وذلك بعرض السنن الاجتماعية والدساتير الكلية الجارية في الحياة والمجتمع. نعم! ان الشريعة الغراء المنبثقة من القرآن الكريم تظهر اظهاراً تاماً سر ذلك الأعجاز.

ويبين كذلك لأولئك الذين توغلوا في «المعارف الألهية والحقائق الكونية» اعجازاً باهراً في سوقه الحقائق الالهية السامية المقدسة، أويشعرهم بوجود هذا الاعجاز.

ولأولئك الذين يسلكون «طرق الولاية والتصوف» يبين القرآن الكريم اعجازه لهم بكنوز الأسرار التي ينطوي عليها بحر آياته الزاخرة.

وهكذا تُفتح امام كل طبقة من الطبقات الأربعين للناس نافذة مطلة الى الاعجاز الباهر. بل انه يبين اعجازه حتى لأولئك الذين لا يملكون سوى قدرة الاستماع من دون ان يقدروا على التوغل في الفهم من «عوام الناس» فتراهم يصدّقون اعجازه ويشعرون به بمجرد سماعهم له، اذ يحاور ذلك العامي نفسه ويقول: «ان اسلوب هذا القرآن يختلف تماماً عن اساليب الكتب الاخرى، فإما أنه في مستوى من الاسلوب هو أدنى منها وهذا محال -بل لم يتفوه به ألد الأعداء وأهل الخصومة - أو هو اسلوب أرقى من الجميع، أي انه معجز».

فالعامي الذي لايستطيع الاّ الاستماع، يفهم الاعجاز على هذه الشاكلة، ولأجل ان نساعده شيئا في ادراكه هذا نوضح ما يلي:

لقد اثار القرآن الكريم لدى الناس من أول ما نزل الى ميدان التحدي رغبتين شديدتين:

أولاهما: رغبة التقليد لدى وليائه، أي حبهم الشديد بالتشبه باسلوبه الرفيع. فاشتاقوا الى تشبيه اسلوبهم به.

ثانيتها: الرغبة في المعارضة والنقد التي تولدت لدى الأعداء والخصماء، أي اتيان اسلوب مثله لدحض دعوى الاعجاز.

فهاتان الرغبتان الشديدتان سببتا ظهور ملايين الكتب العربية الماثلة أمامنا، ولكن لو قارنا أبلغ هذه الكتب وأوضحها قاطبة بالقرآن الكريم، أي لو

وانهما معاً، لقال كل سامع وقارىء بلا تردد، ان القرآن لايشبه أياً من هذه الأساليب. فهو اذاً ليس بمستوى تلك الكتب، فإما أنه أدنى اسلوباً من الجميع، وهذا محال بلا أدنى ريب، ولم يتفوه به أحد قط بل حتى الشيطان يعجز أن يتفوه بهذا.[1] فثبت اذاً ان اسلوب القرآن الكريم فوق الجميع وذلك باعجازه الرائع.

بل ان «العامي الجاهل» الذي لايفهم شيئاً من معاني القرآن الكريم يشعر باعجاز القرآن من عدم سأمه في التلاوة، فيجاوز ذلك العامي الجاهل قائلاً: ان الاستمرار على تلاوة هذا القرآن لايولد السأم قط، بل تزيد كثرة تلاوته حلاوته، بينما لو استمعت الى قصائد جميلة رائعة لمرات عدة فاني اشعر بالملل. لذا فالقرآن ليس بكلام بشر بلا شك.

ثم ان «الاطفال» الذين يرغبون في حفظ القرآن الكريم، يظهر لهم اعجازه في قدرتهم على حفظه في عقولهم اللطيفة الصغيرة، على الرغم من وجود مواضع متشابهة تلتبس عليهم، فتراهم يحفظون القرآن الكريم بكل سهولة ويسر بينما يعجزون عن حفظ صحيفة واحدة من غيره.

بل حتى «المرضى والمحتضرين» في سكرات الموت ممن يتألمون من ادنى كلام، تراهم يستمعون الى القرآن الكريم وتنزل آياته على اسماعهم كالماء السلسبيل، فيشعرون باعجازه بهذا.

الحاصل مما سبق: ان القرآن الكريم لايدع احداً محروماً من تذوق اعجازه، فلكل طبقة من اربعين طبقة من الطبقات المنتسبة للناس لهم حظهم من هذا الاعجاز أو يشعرهم القرآن باعجازه، حتى انه بيّن نوعاً من اعجازه لاولئك الذين ليس لهم نصيب من العلم ولا يملكون «سوى الرؤية»[2] من

---

(1) ان المبحث الأول المهم للمكتوب السادس والعشرين يوضح هذه الفقرة. (النورسي)

(2) ان وجه الاعجاز لهذه الطبقة الفاقدة للسمع والعلم والادراك، والتي لاتملك سوى الرؤية قد ظل مجملاً وناقصاً مستوراً. الا ان المكتوب التاسع والعشرين والمكتوب الثلاثين(★). قد وضحا مجملاً تاماً هذا النوع من الاعجاز بحيث يمكن ان يلمسه حتى الأعمى. وقد وضعنا كتابة مصحف شريف لاظهار هذا الوجه الجميل من الاعجاز موضع التنفيذ. نسأل الله ان نوفق في طبعه (النورسي) وقد وفق المولى فطبع - المترجم -

★ كنا على نية كتابة المكتوب الثلاثين على أجمل وجه وأفضله الآ انه تخلى عن موضعه في اشارات الاعجاز، فلم يظهر في الميدان (النورسي)

ويعرض ايضاً اعجازه «لعلماء الاجتماع والسياسة والحكم» وذلك بعرض السنن الاجتماعية والدساتير الكلية الجارية في الحياة والمجتمع. نعم! ان الشريعة الغراء المنبثقة من القرآن الكريم تظهر اظهاراً تاماً سر ذلك الأعجاز.

ويبين كذلك لأولئك الذين توغلوا في «المعارف الألهية والحقائق الكونية» اعجازاً باهراً في سَوقه الحقائق الالهية السامية المقدسة، أو يشعرهم بوجود هذا الاعجاز.

ولأولئك الذين يسلكون «طرق الولاية والتصوف» يبين القرآن الكريم اعجازه لهم بكنوز الأسرار التي ينطوي عليها بحر آياته الزاخرة.

وهكذا تُفتح امام كل طبقة من الطبقات الأربعين للناس نافذة مطلة الى الاعجاز الباهر. بل انه يبين اعجازه حتى لأولئك الذين لا يملكون سوى قدرة الاستماع من دون ان يقدروا على التوغل في الفهم من «عوام الناس» فتراهم يصدّقون اعجازه ويشعرون به بمجرد سماعهم له، اذ يحاور ذلك العامي نفسه ويقول: «ان اسلوب هذا القرآن يختلف تماماً عن اساليب الكتب الاخرى، فإما أنه في مستوى من الاسلوب هو أدنى منها وهذا محال -بل لم يتفوه به ألد الأعداء وأهل الخصومة- أو هو اسلوب أرقى من الجميع، أي انه معجز».

فالعامي الذي لايستطيع الآ الاستماع، يفهم الاعجاز على هذه الشاكلة، ولأجل ان نساعده شيئاً في ادراكه هذا نوضح ما يلي

لقد اثار القرآن الكريم لدى الناس من أول ما برز الى ميدان التحدي رغبتين شديدتين:

أولاهما: رغبة التقليد لدى محبيه، أي حبهم الشديد بالتشبه باسلوبه الرفيع. فاشتاقوا الى تشبيه اسلوبهم به.

ثانيتهما: الرغبة في المعارضة والنقد التي تولدت لدى الأعداء والخصماء، أي اتيان اسلوب مثله لدحض دعوى الاعجاز.

فهاتان الرغبتان الشديدتان سببتا ظهور ملايين الكتب العربية الماثلة أمامنا. ولكن لو قارنا أبلغ هذه الكتب وأوضحها قاطبة بالقرآن الكريم، أي لو

بأجمعها معا، لقال كل سامع وقارىء بلا تردد، ان القرآن لايشبه أيا من هذه الأساليب، فهو اذا ليس بمستوى تلك الكتب، فإما أنه أدنى اسلوبا من الجميع، وهذا محال بلا أدنى ريب، ولم يتفوه به أحد قط بل حتى الشيطان يعجز أن يتفوه بهذا.[1] فثبت اذا ان اسلوب القرآن الكريم فوق الجميع وذلك باعجازه الرائع.

ثم ان «العامي الجاهل» الذي لايفهم شيئا من معاني القرآن الكريم يشعر باعجاز القرآن من عدم سامه في التلاوة فيحور ذلك العامي الجاهل قائلا: ان الاستمرار على تلاوة هذا القرآن لايورث سأمه قط، بل تزيد كثرة تلاوته حلاوته، بينما لو استمعت الى قصائد جميلة رائعة لمرات عدة فاني اشعر بالملل، لذا فالقرآن ليس بكلام بشر بلا شك.

ثم ان «الاطفال» الذين يرغبون في حفظ القرآن الكريم، يظهر لهم اعجازه في قدرتهم على حفظه في عقولهم الضعيفة الصغيرة، على الرغم من وجود مواضع متشابهة تلتبس عليهم، فتراهم يحفظون القرآن الكريم بكل سهولة ويسر بينما يعجزون عن حفظ صحيفة واحدة من غيره.

بل حتى «المرضى والمحتضرين» في سكرات الموت ممن يتألمون لأدنى كلام، تراهم يستمعون الى القرآن الكريم وتنزل آياته على اسماعهم كأنه سلسبيل، فيشعرون باعجازه بهذا.

الحاصل مما سبق: ان القرآن الكريم لايدع احدا محروما من تذوق اعجازه، فلكل طبقة من أربعين طبقة من الطبقات المذكورة للناس لهم حظهم من هذا الاعجاز أو يشعرهم القرآن باعجازه، حتى انه بيّن نوعا من اعجازه لاولئك الذين ليس لهم نصيب من العلم ولا يملكون «سوى الرؤية»[2] من

[1] ان المبحث الأول المهم للمكتوب السادس والعشرين يوضح هذه الفقرة (النورسي)

[2] ان وجه الاعجاز لهذه الطبقة الفاقدة للسمع والعلم والادراك، والتي لاتملك سوي الرؤية قد ظل مجملا وناقصا مستورا. الا ان المكتوب التاسع والعشرين والمكتوب الثلاثين(★). قد وضحا بجلاء تام هذا النوع من الاعجاز بحيث يمكن ان يلمسه حتى الأعمى. وقد وضعنا كتابة مصحف شريف لأظهار هذا الوجه الجميل من الاعجاز موضع التنفيذ، نسأل الله ان نوفق في طبعه (النورسي) وقد وفق الموفق فطبع -المترجم-

★ كما على نية كتابة المكتوب الثلاثين على أجمل وجه وأفضله الآ انه تخلى عن موضعه الى اشارات الاعجاز، فلم يظهر في الميدان (النورسي)

دون القدره على الاستماع أو الفهم أو الادراك القلبي .وذلك كالاتي :

ان كلمات المصحف المطبوع بخط (الحافظ عثمان) تتقابل وينظر بعضها الى بعض .

فمثلا : ان كلمة ﴿وثامنهم كلبهم﴾ التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة ﴿قطمير﴾ التي هي في سورة فاطر، فلو ثقبت الصفحات ابتداء من الكلمة الأولى لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير ونفهم اسمُ الكلب .

وكذا كلمة ﴿مُحضرون﴾ المكررة مرتين في سورة يس نرى أحداهما فوق الأخرى، وهما يقابلان كلمة ﴿مُحضرون﴾ ، ﴿محضرون﴾ ، ﴿محضرين﴾ التي في آخر سورة سبأ، فاذا ماثقبت احداها لظهرت من خلال الصفحات الكلمة نفسها مع انحراف قليل .

وكذا كلمة ﴿مثنى﴾ تنظر الى الكلمة نفسها التي هي في مستهل سورة فاطر والمكررة مرتين ، ففي القرآن تتكرر كلمة ﴿مثنى﴾ ثلاث مرات ، وتناظر اثنتان منها ليس موضع المصادفة قطعاً .

ولهذا النوع من التناظر والتقابل أمثلة كثيرة جداً في المصحف الشريف حتى ان الكلمة الواحدة تتكرر في مايقرب من ست مواضع ، فاذا أوصل بينها بثقب لتراءت الأخريات بانحراف يسير .

ولقد شاهدتُ مصحفاً خُطّت الكلمات المتناظرة في كل صحيفة المتقابلة بخط أحمر، فقلت آنذاك : «هذه الأوضاع انما هي أمارات لنوع من الاعجاز» ، ثم بعد ذلك أخذتُ انظر الى حمل القرآن الكريم فرأيت أن كثيراً منها تتناظر من خلال الصفحات تناظراً ينم عن معنى دقيق .

ولما كان ترتيب القرآن المتداول توقيفي بارشاد من الرسول ﷺ، وبعد خطّه خطاطون مُلهمون، فان في نقشه البديع وفي خطه الجميل اشارة الى نوع من علامات الاعجاز، وذلك لأن هذا الوضع لايمكن أن تكون مصدره ولانابعة من نتاج فكر انسان فلولا قصور الطبع لطابقت الكلمات المتناظرة مطابقة تامة .

ثم اننا نرى ان في السور المدنية المطولة والمتوسطة تكراراً بديعاً منسقاً للفظ الجلالة ﴿الله﴾ ، فهو في الغالب يتكرر باعداد معينة ، اما خمس أوست

أو سبع أو ثمان أو تسع مرات أو احدى عشرة مرة فضلاً عن انه يبين مناسبة عددية لطيفة على وجهي ورقة المصحف والمتقابلتين(١، ٢، ٣، ٤).

---

(١) ثم انه أراه «أهل الذكر والمناجاة». فان ألفاظ القرآن الكريم الجميلة والمقفاة واسلوبه الفصيح البديع، ومزايا بلاغته التي تستقطب الأنظار، رغم انها كثيرة جداً فانها تمنح جذبة سامية، وحضورا وسكينة تامة، وحمماً للخواطر دون تشتيتها، بينما أمثال تلك المزايا للفصاحة والصنعة اللفظية والتقيد بالنظم والقافية تخل بالاخلاص والجدية - رغم ما يشف عن ظرافة لفظية - وتفسد اطمئنان القلب وسكينته وتشتت افكار المتأمل.

حتى أن ألطف المناجاة وأكثرها اخلاصاً وجدية واعلاها نظماً هي مناجاة الأمام الشافعي المشهورة، والتي كانت سبباً لرفع الغلاء والقحط عن مصر. فكنت أقرأها كثيراً، فرأيت:

ان كونها نظماً ومقفاة، لاتحافظ على الأخلاص التام والجد السامي في المناجاة، ورغم انها كانت من اورادي منذ ما يقرب من تسع سنوات فلم أتمكن أن أوفق بين الجدية والاخلاص في المناجاة والنظم والقافية. فأيقنت ان القافية الفطرية الممتازة الخاصة بالقرآن الكريم ومزايا نظمه انما هي من أنواع الاعجاز بحيث انها تحافظ على الاخلاص الجاد وسكينة القلب وطمأنينته من دون ان يخل شيء منها

وهكذا إن لم يدرك أهل المناجاة والذكر هذا النوع من الاعجاز عقلاً، فهم يشعرون به قلباً.

(٢) ان سراً من أسرار اعجاز القرآن الكريم المعنوية هو

ان القرآن انما يبين الدرجة العظيمة والساطعة «لايمان الرسول الأعظم ﷺ» الذي حظي بتجلي الأسم الأعظم

ثم انه يبين [illegible] كخارطة مقدسة مشهورة ـ تلك المرتبة السامية للدين الحق [illegible] الحقائق الرفيعة [illegible] الآخرة [illegible] الربوبية

ثم ان القرآن الكريم يمثل «خطاب رب العالمين» وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة. فلابد أن تعبيراً وخطاباً بهذا الاسلوب، وبياناً قرآنياً بهذا النمط لايمكن ان تأتي مثله عقول البشر قاطبة ولو اجتمعت في عقل واحد، بمثل ما عبر القرآن الكريم

﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله﴾ (سورة الاسراء: ٨٨) لأنه لايمكن من حيث هذه الاسس الثلاثة أن يقلد القرآن ولا أن يأتي بمثله أحدٌ قط

(٣) تنتهي الآيات الكريمة بنهاية الصحيفة (في كثير من المصاحف المسمى بركنار) فتختم الصحيفة بقافية جميلة، وسر هذا هو ان أطول آية في القرآن الكريم، وهي آية المداينة قد اتخذت وحدة قياس صحيفة المصحف، واتخذت سورة الأخلاص والكوثر وحدة قياس طول السطر، وبهذا ظهرت هذه الميزة اللطيفة وعلامة الاعجاز للقرآن الكريم

(٤) اقتصد اكتفي في هذا المقام وفي مبحثه هذا على أمثلة جزئية وقليلة جداً، وقصيرة جداً، واقتصر على اشارات صغيرة جداً حيث اضطررت الى الاستعجال في الكتابة، رغم أن هذا البحث في غاية الأهمية والسعة والعظمة، وانه يبين كرامة لطيفة جميلة في غاية الأهمية من زاوية التوفيق الالهي الذي ازر رسائل النور

نعم، ان تلك الكرامة اللطيفة والحقيقة العظيمة تظهر سلسلة من كرامات رسائل النور في التوافق وذلك في خمسة أو ستة أنواع منه، وتبين نوعاً من اعجاز القرآن وتشكل منبعاً للاشارات الغيبية ورموزها

وقد حصل هذا فعلاً بعدئذ، اذ قد استكتب مصحف شريف يبيّن فيه التوافق في لفظ الجلالة في كل صحيفة وظهرت ثماني رسائل صغيرة باسم «الرموزات الثمانية» التي تبيّن المناسبة =

النكتة الثانية:

كان السحر رائجاً في عهد موسى عليه السلام، فجاءت معجزاته العظيمة بما يشبه السحر، وكان الطب رائجاً في عهد عيسى عليه السلام فجرت اغلب معجزاته من هذا الجنس، كما كانت هناك اربعة اشياء رائجة في الجزيرة العربية زمن بعثة الرسول ﷺ:

اولاها: البلاغة والفصاحة.

ثانيتها: الشعر والخطابة.

ثالثتها: الكهانة والانباء عن الغيب.

رابعتها: معرفة حوادث الماضي ووقائع المستقبل.

فجاء القرآن الكريم يتحدى ارباب هذه المعارف الاربعة.

فجثا البلغاء والفصحاء اولاً مبهوتين أمام بلاغته المعجزة، فانصتوا اليه في حيرة واعجاب.

وجعل الشعراء والخطباء في ذهول من امرهم، حتى انه حطّ من شأن ماكانوا يعتزون به من «المعلقات السبعة» التي تمثل افضل نماذج شعرهم، بل كتبوها بماء الذهب وعلقوها على جدار الكعبة.

وأفقد الكهان والسحرة صوابهم، وانساهم ماكانوا يتكلمون به من انباء الغيب، حيث طرّد جِنهم واسدل الستار على الكهانة وسد ابوابها الى الأبد.

وانقذ اخبار الامم السالفة ووقائع المستقبل مما يطرأ عليها من الخرافات والافتراءات والاكاذيب، وارشد قراء التاريخ والمتتبعين احداث الماضي والمستقبل الى تلمس حقيقته الصادقة.

= اللطيفة والاشارات الغيبية الناشئة من التوافق بين حروف القرآن الكريم، وكتب كذلك خمس رسائل في تصديق رسائل النور وتقدير قيمتها بما فيها من سر التوافق، وهي الكرامة الغوثية وثلاث رسائل من الكرامة العلوية وخمس رسائل من الاشارات القرآنية.

فهي تأليف رسالة المعجزات الأحمدية اذاً قد استشعرت تلك الحقيقة العظمى ولكن مع الأسف لم ير المؤلف منها الا طرفاً ضئيلاً منها، ولم يبيّن الا قطرة من بحرها، فانصرف وبه بحقٍ. (النورسي)

وهكذا جثت على الركب هذه الطبقات الاربعة أمام عظمة القرآن الكريم، والحيرة والاجلال يغمرهم، فشرعوا يتتلمذون على يديه، ويتلقون منه الهداية والرشاد، فلم يظهر قط ان استطاع احدٌ من هؤلاء على القيام بمعارضة القرآن بشيء مهما كان، ولو بسورة واحدة.

■وان قيل:

كيف نعرف انه لم يبرز احدٌ في ميدان المعارضة، ولم يتمكن احد من الاتيان بمثل القرآن، وكيف نعرف ان اتيان النظير بحد ذاته امرٌ مستحيل؟.

الجواب:

لو كانت المعارضة ممكنة، فلا محالة كانوا يحاولونها. وما كان أحد يتوانى في هذا الأمر، اذ الحاجة الى المعارضة كانت ماسة، وذلك للنجاة من خطر التحدي لانقاذ دينهم واموالهم وانفسهم واهليهم. لذا لو كانت المعارضة ممكنة لما احجم احدٌ عنها مطلقاً، ولكان الكفار والمنافقون - وهم الاغلبية - يشيعون خبرها في الاوساط، بل يشيعونها في الارجاء كافة مثلما كانوا يشيعون كل ما يعادي الاسلام. ثم لو كانوا ناشرين لها - فيما لو كان الاعتراض ممكناً - لكان المؤرخون يسجلونها في كتبهم العديدة. ولكن ها هو التاريخ وكتبه كلها امامنا، لانرى فيه شيئاً من معارضة القرآن سوى فقرات تافهة منسوبة لمسيلمة الكذاب. علماً ان القرآن الكريم قد تحداهم طوال ثلاث وعشرين سنة، وقرع اسماعهم بآياته المعجزات وعلى هذا النمط من التحدي:

ها هو القرآن الكريم امامكم، فأتوا بمثله من «اميّ» كمحمد الأمين!.

فان كنتم عاجزين عن هذا، فليكن ذلك الشخص «عالماً» عظيماً، متعلماً!

وان كنتم عاجزين عن هذا ايضاً، فأتوا بمثله «مجتمعين» وليس من فرد واحد، فلتجتمع عليه علماؤكم وبلغاؤكم، وليعاون بعضهم بعضاً، بل ادعوا شهداءكم من دون الله، فليأتوا بمثله.

وان كنتم عاجزين عن كل هذا، فأتوا «بالكتب السابقة» البليغة جميعها ولتستعينوا بها في المعارضة، بل ادعوا «الاجيال» المقبلة ايضاً!

وان كنتم عاجزين ايضاً، فليكن المثل «بعشر سور» فحسب، وليس ضرورياً ان يكون بالقرآن كله. وان كنتم عاجزين كذلك فليكن كلاماً بليغاً مثل بلاغة القرآن، ولو كان من «الحكايات المفتريات»!.

وان كنتم عاجزين كذلك فأتوا «بسورة واحدة»، ولتكن سورة قصيرة.. وان كنتم عاجزين كذلك:

فاديانكم وانفسكم اذن مهددة بالخطر في الدنيا كما هي في الآخرة

وهكذا تحدى القرآن الكريم بثمان تحديات طبقات الانس والجن، ولم يحصر تحديه في ثلاث وعشرين سنة بل استمر الى الألف وثلاثمائة سنة بل لايزال يتحدى العالم وسيبقى هكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها.

ولهذا فلو كانت المعارضة ممكنة لما اختار اولئك الكفار طريق الحرب والدمار ويلقون أنفسهم واموالهم واهليهم الى التهلكة ويدعون طريق المعارضة القصيرة السهلة. اذن فالمعارضة غير ممكنة وليست في طوق البشر. اذ هل يمكن لعاقل فطن - ولاسيما اهل الجزيرة العربية ولاسيما قريش الاذكياء - ان يعرّض نفسه وماله واهله للخطر ويختار طريق الحرب والدمار ان كان باستطاعته سلوك طريق المعارضة ولو بسورة من القرآن، فينقذ نفسه وماله من التحدي القرآني، ان كان اتيان مثله سهلاً ميسوراً؟

وحاصل الكلام: ماقاله الجاحظ: لمّا لم يمكن المعارضة بالحروف اضطروا الى المقارعة بالسيوف.

■فإن قيل:

لقد قال بعض العلماء المحققين: «لايمكن معارضة أية آية من آيات القرآن الكريم ولا جملة منها ولا كلمة منها، فكيف بالسورة؟ ولم يبرز أحد في ميدان المعارضة. اي لم يعارض القرآن اذن». ونرى أن في هذا الكلام مجازفة ومبالغة لايقبلها العقل، لأن هناك كثير من الجمل في كلام البشر يشبه جمل القرآن وعباراته. اذن فما معنى هذا القول، وماحكمته؟

الجواب:

هناك مذهبان في بيان اعجاز القرآن:

المذهب الاول: وهو الغالب والراجح وهو مذهب الاكثرية من العلماء

وهو:

ان لطائف بلاغة القرآن ومزايا معانيه هي فوق طاقة البشر.

اما المذهب الثاني : وهو المرجوح فهو:

ان معارضة سورة واحدة من القرآن ضمن طاقة البشر، إلّا أن الله سبحانه قد منعها عن الخلق، ليكون القرآن معجزة الرسول ﷺ، ويمكن ان يوضح هذا بمثال:

ان قيام الانسان وقعوده ضمن قدرته ونطاق استطاعته، فإن قال نبيٌ لشخص ما: لااستطعت من القيام، اظهاراً للمعجزة، ولم يستطع الشخص من القيام فعلاً، فقد وقعت المعجزة.

يطلق على هذا المذهب المرجوح: مذهب الصرفة. اي أن الله سبحانه هو الذي صرف الجن والانس عن القدرة على المعارضة. فلولم يصرفهم الله سبحانه عن الاتيان بالمثل لكان الجن والانس بمقدورهم الاتيان بمثله.

وهكذا فالعلماء الذين يقولون وفق هذا المذهب أنه: ولايمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة، هو كلام حق لامراء فيه، لأن الله سبحانه قد منعهم عن ذلك اظهاراً للاعجاز. فلا يستطيعون اذن ان يتفوهوا بشيء للمعارضة، ولو ارادوا قول شيء ما للمعارضة فلا يقدرون عليه من غير ارادة الله ومشيئته.

اما بالنسبة للمذهب الاول وهو الراجح والذي ارتضاه معظم العلماء، فلهم فيه وجه دقيق:

ان كلمات القرآن الكريم وجمله بعضها بعضها الى البعض الآخر، فتتواجه بين الكلمات والجمل، فقد تكون كلمة واحدة متوجهة الى عشرة مواضع، وعندها تجد فيها عشر نكات بلاغية، وعشر علاقات تربطها مع الكلمات الاخرى، وقد ذكرنا هذه العلاقات في تفسير «اشارات الاعجاز في مظان الايجاز» سواء في سورة الفاتحة أم في مقدمة سورة البقرة. ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه﴾

ولنوضح ذلك بمثال:

لو تصورنا قصراً عظيماً جدرانه منقشة بنقوش بديعة، ومزيّنة بزخارف رائعة، فإنّ وضع حجر يحمل العقدة الاساس لتلك الزخارف والنقوش في

موضعه اللائق به - بحيث يرتبط معنها جميعاً ويشرف عليها جميعا - يحتاج الى معرفة كاملة بتلك النقوش جميعها وبتلك الزخارف التي تملأ جدران القصر.

ومثال آخر؛ نأخذه من جسم الانسان: ان وضع بؤبؤ عين الانسان في موضعه اللائق يتوقف على معزفة علاقة العين بالجسم كله، ومعرفة مدى علاقة وارتباط بؤبؤ العين بكل جزء من اجزاء الجسم وبوظيفته.

فقس على هذين المثالين لتعلم كيف بيّن السابقون من اهل الحقيقة مافي كلمات القرآن من الوجوه العديدة والعلاقات والاواصر والارتباطات التي تربطها مع سائر جمله وآياته. ولاسيما علماء علم حروف القرآن، فقد اوغلوا كثيراً في هذا الموضوع، واثبتوا بدلائل: أن في كل حرف من القرآن الكريم اسراراً دقيقة تَسَع صحيفة كاملة من البيان والتوضيح.

نعم، مادام القرآن الكريم كلام رب العالمين وخالق كل شيء، فكل حرف من حروفه اذن بمثابة نواة، اي يمكن ان يكون ذلك الحرف نواة تنبت منها شجرة معنوية من الاسرار والمعاني، أو بمثابة قلب تتجسد حوله المعاني والاسرار.

لذلك نقول:

نعم، ان في كلام البشر مايشبه كلمات القرآن وجمله وآياته، إلاّ أن تلك الآية الكريمة أو الكلمة والجملة القرآنية قد وضعت في موضعها الملائم لها بحيث روعي في وضعها كثيرٌ جداً من الارتباطات والعلاقات مما يلزم علماً محيطاً كلياً كي يضعها في ذلك الموقع اللائق بها.

النكتة الثالثة:

لقد انعم الله سبحانه وتعالى عليّ يوماً تفكراً حقيقياً حول مجمل ماهية القرآن الحكيم فادوّن ذلك التفكر كما ورد للقلب - باللغة العربية - ثم اورد معناه.

سبحانَ مَن شَهِدَ علىٰ وحدانيتِه وصرَّح بأوصافِ جمالِه وجلالِه وكمالِه: القرآنُ الحكيمُ، المنوَّرُ جهاتُه الستُّ، الحاوي لسرّ اجماعِ كلِّ كتب الانبياء

والاولياء والموحِّدين المختلفين في الاعصار والمشارب والمسالك، المتفقين بقلوبهم وعقولهم على تصديق اساسات القرآن وكلّيات احكامه على وجه الأجمال، وهو محضُ الوحي باجماع المُنزِلِ والمنزَل والمنزَلِ عليه، وعينُ الهداية بالبداهة، ومعدنُ انوار الايمان بالضرورة. ومجمعُ الحقائق باليقين، وموصِلُ الى السعادة بالعيان، وذو الاثمار الكاملين بالمشاهدة، ومقبولُ المَلَك والأنسِ والجان بالحدس الصادق من تفاريق الامارات، والمؤيَّدُ بالدلائل العقلية باتفاق العقلاء الكاملين، والمصدَّقُ من جهة الفطرة السليمة بشهادة اطمئنان الوجدان، والمعجزةُ الابدية الباقي وجهُ اعجازه على مرّ الزمان بالمشاهدة، والمنبسطُ دائرةُ إرشاده من الملأ الأعلى الى مكتب الصبيان، يستفيد من عَين درسِ الملائكةُ مع الصَبيين، وكذا هو ذو البصر المطلقِ يرى الاشياء بكمال الوضوح والظهور ويحيط بها ويقلِّبُ العالَمَ في يده ويعرِّفُه لنا كما يُقلِّب صانعُ الساعةِ الساعةَ في كفّه ويعرِّفُ للناس. فهذا القرآنُ العظيمُ الشأن هو الذي يقول مكرراً «الله لا إله الاّ هو» «فاعلم أنه لا إله الاّ الله»

أما معنى هذا التفكر فكما يأتي:

ان الجهات الست للقرآن الكريم منوّرة وضّاءة لاتدنو منها الشبهات والاوهام، لأن:

من ورائه العرش الاعظم، يستند اليه، فهناك نور الوحي.

وبين يديه سعادة الدارين، يستهدفها، فقد امتدت ارتباطاته وعلاقاته بالأبد والآخرة فهناك نور الجنة ونور السعادة.

ومن فوقه تتلألا آية الاعجاز وتسطع طغراؤه.

ومن تحته اعمدة البراهين الرصينة والدلائل الدامغة، ففيها الهداية المحضة.

وعن يمينه يقف استنطاق العقول، وتصديقـها، لكثرة مافيه «أفلا يعقلون».

وعن يساره استشهاد الوجدان حتى تنطق من اعجابها: «تبارك الله» بما تنفح من نفحات روحية للقلب.

ترى من اين يمكن أن تتسلل الاوهام والشبهات اليها؟.

فالقرآن الكريم جامع لسّر اجماع كتب الانبياء والاولياء والموحدين قاطبة، رغم اختلاف عصورهم ومشاربهم ومسالكهم. اي أن جميع ارباب العقول السليمة والقلوب المطمئنة يصدّقون مجمل احكام القرآن الكريم واساس مايدعو اليه، حيث يذكرونه في كتبهم. فهم اذن بمثابة اصول شجرة القرآن السماوية.

ثم ان القرآن الكريم يستند الى الوحي الالهي، بل هو وحي محض،لأن الله سبحانه الذي أنزله على قلب محمد ﷺ يبينه بمعجزات رسوله الكريم وحياً محضاً. والقرآن النازل من عند الله يبين بإعجازه الظاهر انه من العرش الاعظم. وان اطوار المنزل عليه وهو الرسول الكريم ﷺ واضطرابه في اول نزول الوحي، واثناء نزوله، وما يظهره من توقير وتبجيل اكثر من كل ماعداه يبين انه وحي خالص ينزل عليه ضيفاً من الملك الأزلي.

ثم ان ذلك القرآن العظيم وحي محض بالبداهة، لأن خلافه ضلالة وكفر.

ثم انه بالضرورة معدن الانوار الايمانية، فليس خلاف الانوار الا الظلمات الدامسة. وقد اثبتنا هذه الحقيقة في كلمات كثيرة.

ثم ان القرآن الكريم مجمع الحقائق يقيناً، فالخيال والخرافات بعيد عنه بعداً مطلقاً، إذ ان ما شكله من عالم الاسلام، وما أتاه من شريعة غراء، وما يبينه من مُثُل سامية، بل حتى عند بحثه عن عالم الغيب - كما هو عند بحثه عن عالم الشهادة - انما هو عين الحقائق، لايدنو منه شيء من خلاف للحقيقة قط.

ثم ان القرآن الكريم - كما هو واقع - يوصل الى سعادة الدارين بلا ريب، ويسوق البشرية اليها، فمن يساوره الشك فليراجع القرآن مرة واحدة، وليستمع اليه وليرى بعد ذلك ماذا يقول القرآن؟.

ثم ان الثمار التي يجنيها الانسان من القرآن الكريم انما هي ثمار يانعة ذات حياة وحيوية. فلا غرو فان جذور شجرة القرآن متوغلة في الحقائق ممتدة في الحياة، وان حياة الثمرة تدل على حياة الشجرة. فإن شئت فانظر كم

اعطى القرآن من ثمار الاصفياء المنورين والاولياء الصالحين الكاملين على طول العصور.

ثم ان القرآن الكريم موضع رضى الانس والجن والملائكة وذلك بالحدس الصادق، حيث يجتمعون حوله عند تلاوته كالفراش حول النور.

ثم ان القرآن مع أنه وحي الهي فهو مؤيدٌ بالدلائل العقلية، والشاهد على هذا: هو اتفاق العقلاء الكاملين وفي مقدمتهم ائمة علم الكلام ودهاة الفلسفة امثال ابن سينا وابن رشد، فجميعهم - بالاتفاق - قد اثبتوا اسس القرآن باصولهم ودلائلهم.

ثم ان القرآن الكريم مصدَّق من قبل الفطرة السليمة - مالم يعتريها عارض أو مرض - حيث ان اطمئنان الوجدان وراحة القلب انما ينشآن من انواره، اي أن الفطرة السليمة تصدّقه باطمئنان الوجدان. نعم! ان الفطرة بلسان حالها تقول للقرآن الكريم:

«لايتحقق كمالُنا من دونك» وقد اثبتنا هذه الحقيقة في مواضع متفرقة من الرسائل. ثم ان القرآن معجزة دائمة ابدية بالمشاهدة والبداهة، فهو يبين اعجازه كل حين، فلايخبو نوره - كبقية المعجزات - ولا ينتهي وقته، بل زمنه يمتد الى الأبد.

ثم ان منزلة ارشاد القرآن الكريم لها من السعة والشمول بحيث أن درساً واحداً منه يتلقاه جبريل عليه السلام جنباً الى جنب صبي صغير. ويجثو امامه فلاسفة دهاة - امثال ابن سينا - مع ابسط شخص أمي، يتلقيان الدرس نفسه. بل قد يكون ذلك الرجل العامي يستفيض من القرآن - بما يحمل من قوة الايمان وصفائه - مالا يستفيضه ابن سينا.

ثم ان في القرآن الكريم عينا باصرة نافذة بحيث ترى جميع الوجود وتحيط به. وتضع جميع الموجودات امامه، كأنها صحائف كتاب فيوضح طبقاتها وعوالمها. فكما اذا استلم الساعاتي ساعة صغيرة بيده يقلبها، ويعرّفها ويفتحها. كذلك الكون بين يدي القرآن الكريم فيعرّفه ويبين اجزاءه.

فهذا القرآن العظيم يثبت الوحدانية بـ ﴿فاعلمْ أنه لا اله الاّ الله﴾ (سورة

محمد : ١٩).

اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قريناً وفي القبر مؤنساً وفي القيامة شفيعاً، وعلى الصراط نوراً، ومن النار ستراً وحجاباً، وفي الجنة رفيقاً، والى الخيرات كلها دليلاً وإماماً، اللهم نور قلوبنا وقبورنا بنور الايمان والقرآن، ونوّر برهان القرآن بحق وبحرمة مَن أُنزل عليه القرآن، عليه وعلى آله الصلاة والسلام من الرحمن الحنان. آمين.



الاشارة البليغة التاسعة عشرة

لقد أثبت يقيناً - وبدلائل قاطعة - في الاشارات السابقة ان الرسول الاكرم ﷺ هو رسول رب العالمين، فان محمداً الأمين ﷺ الذي ثبتت رسالته بالوف الدلائل القاطعة لهو برهانٌ باهر للوحدانية الالهية، ودليل ساطع للسعادة الابدية. وسنعرّف في هذه الاشارة تعريفاً مجملاً بشكل خلاصة الخلاصة ذلك البرهان الصادق والدليل الساطع على الوحدانية؛ لأنه: يلزم معرفة الدليل والاحاطة بوجه دلالته مادام هو دليلاً الى المعرفة الالهية.

لذا سنبين هنا باختصار شديد وجه دلالته ﷺ على التوحيد ومدى صدقه وصوابه فنقول:

ان الرسول الكريم ﷺ دليل بذاته على وجود الخالق العظيم وعلى وحدانيته كما يدل عليه اي موجود من موجودات الكون. وقد اعلن ﷺ وجه دلالته هذا على التوحيد والوجود مع دلالة الموجودات قاطبة. ومن حيث انه ﷺ دليل على التوحيد سنشير الى صدق دلالته وحجيته وصوابه وأحقيته ضمن خمسة عشر اساساً:

الاساس الاول

ان هذا الدليل الذي يدل على خالق الكون بذاته وبلسانه وبدلالة احواله وبلسان اطواره، لهو صادقٌ مصدَّق من قبل حقائق الكون؛ لأن دلالات جميع الموجودات الى الوحدانية انما هي بمثابة شهادات تصديقٍ لمن ينطق بالوحدانية. اي ان مايدعو اليه مصدَّقٌ لدى الكون كله. حيث ان مايبينه من الوحدانية، التي تمثل الكمال المطلق في الوجود، ومايبشّره من السعادة الابدية التي هي الخير المطلق، مطابقان تماماً للحسن والكمال المتجليين في حقائق العالم. فهو صادق في دعواه بلا ريب.فالرسول الكريم ﷺ اذن برهان ناطق صادق مصدَّق للوحدانية الالهية والسعادة الابدية.

الاساس الثاني

ثم ان ذلك الدليل الصادق المصدَّق الذي يملك ألوفاً من المعجزات -

اكثر مما لدى الانبياء السابقين - والذي آتى بشريعة سمحة غراء لاتنسخ ولا تُبدل، وبدعوة شاملة للجن والانس، لابد انه سيد المرسلين عليهم السلام؛ لذا فهو جامع للحِكَم والاسرار التي تنطوى عليها معجزات الانبياء عليهم السلام واتفاقهم. فقوة اجماع الانبياء كلهم اذن، وشهادة معجزاتهم، تشكل ركيزة لصدقه وصواب دعوته. ثم انالاصفياء والاولياء الصالحين الذين بلغوا من الكمال مابلغوه انما كان بتربيته السامية وبهدي شريعته الحقة فهو مرشدهم وسيدهم؛ لذا فهو جامعٌ لسر كراماتهم وتصديقهم بالاجماع وقوة دراساتهم وتحقيقاتهم، حيث انهم سلكوا طريقاً فتح ابوابَه استاذُهم، وتركها مفتوحة، فوجدوا الحقيقة. فجميع كراماتهم وتحقيقاتهم العلمية واجماعهم انما تمثل ركيزة لصدق استاذهم الطاهر وصواب دعوته.

ثم ان ذلك البرهان الباهر للوحدانية - كما تبين في الاشارات السابقة - يملك من المعجزات الباهرة القاطعة اليقينية، والارهاصات الخارقة، ودلائل نبوة لاريب فيها، كل منها تصدّقه تصديقاً عظيماً، بحيث لو اجتمع الكون كله ليجرح ذلك التصديق لعجز دونه.

الاساس الثالث

ثم ان ذلك الداعي الى الوحدانية والمبشر بالسعادة الابدية الذي له هذه المعجزات الباهرات يملك من الاخلاق السامية في ذاته المباركة، ومن السجايا الرفيعة في مهمة رسالته، ومن الخصال الفاضلة فيما يبلّغه من شريعة ودين، مايضطر الى تصديقه ألدّ اعدائه فلا يجد سبيلاً للانكار.

فما دام يملك في ذاته وفي مهمته وفي دينه اسمى الاخلاق واجملها، واكمل السجايا واثمنها، وارفع الخصال وافضلها، فلابد انه مثال لكمال الموجودات، وممثلٌ لفضائل الاخلاق ومثالها المجسم، والقدوة الحسنة لها؛ ولهذا فالكمالات التي تشع من ذاته ومن مهمته ومن دينه لهي ركيزة قوية عظيمة لصدقه بما لايمكن ان يزحزحها شيء.

الاساس الرابع

ثم ان ذلك الداعي الى الوحدانية والسعادة الابدية الذي هو معدن الكمالات ومعلم الاخلاق الفاضلة. لاينطق من نفسه وحسب هواه - حاشاه

وانما ينطق بالوحي الالهي. فهو يستلم الوحي من ربه الجليل ويبلّغ به الاخرين لأنه: قد ثبت بالوف من دلائل النبوة - كما ذُكر في الاسس السابقة ووضح قسماً منها:

إن رب العالمين سبحانه الذي خلق جميع تلك المعجزات واجراها بيد رسوله ﷺ، انما يبين سبحانه: أن رسوله الكريم ﷺ ينطق لأجله وفي سبيله ويبلّغ كلامه المبين.

وان القرآن الكريم الذي نزل عليه يبين باعجازه الظاهر والباطن انه ﷺ انما هو مبلّغ عن رب العالمين.

وذاته الشريفة ﷺ وما يتحلى به من عظيم الاخلاص والتقوى وجديّة بالغة في تبليغ امر الله، وامانة صادقة فيه، تبين - في جميع احواله واطواره - أنه لايتكلم باسمه الشخصي، ولا من بنات فكره الذاتي وانما يتكلم باسم الله رب العالمين.

ثم ان الذين استمعوا اليه من اهل الحقيقة قاطبة قد صدّقوا اقواله بالكشف والتحقيق العلمي، وآمنوا ايماناً يقينياً بانه لاينطق عن الهوى إن هو الاّ وحي يوحى، فهو مبلّغ أمين عن رب العالمين، يدعو الناس الى الرشاد بالوحي الالهي.

وهكذا فان صدق هذا الدليل ﷺ وأحقيته يستند الى هذه الاسس الاربعة الثابتة الرصينة.

الاساس الخامس

ان ذلك المبلّغ الأمين لكلام الله الازلي يرى الارواح، ويتكلم مع الملائكة، ويرشد الجن والانس معاً. فلا يتلقى العلم من عوالم الملائكة والارواح التي هي اسمى من عالم الانس والجن بل يتلقى العلم من فوق تلك العوالم كلها، بل يطّلع على ماوراءها من شؤون الهية، فالمعجزات المذكورة سابقاً، وسيرته الشريفة التي نقلت الينا بالتواتر تثبتان هذه الحقيقة. لذا فلا يتدخل الجن ولا الارواح ولا الملائكة فيما يبلّغه من امور بل لايتقرب الى تبليغه حتى المقربين من الملائكة - سوى جبريل عليه السلام - فليست اذن اخباره كاخبار الكهان والذين يتنبأون بالغيب، بل لا يتقدم عليه حتى

رفيقه -جبريل- الذي كان يصحبه معظم الاوقات بل يتقدمه هو ﷺ احياناً.

الاساس السادس

إن ذلك الدليل الذي هو سيد المَلك والجن والانس انما هو أنور ثمار شجرة الكائنات وأكملها، وتمثال الرحمة الالهية. ومثال المحبة الربانية، والبرهان النير للحق، والسراج الساطع للحقيقة، ومفتاح طلسم الكائنات، وكشاف لغز الخلق، وشارح حكمة العالم والداعي الى سلطان الالوهية. والمرشد البارع لمحاسن الصنعة الربانية، فتلك الذات المباركة بما تملك من صفات جامعة انما تمثل اكمل نموذج لكمالات الموجودات، لذا فهذه المزايا التي يمتلكها ذلك النبي الكريم ﷺ ومايتصف به من شخصية معنوية تظهران بوضوح:

ان ذلك النبي الكريم ﷺ هو غاية الكون وعلته، اي أنه موضع نظر خالق الكون. نظر اليه وخلق الكون، فيمكن القول انه لو لم يكن قد أوجده ما كان يوجد الكون.

نعم؛ إن ما أتى به هذا النبي الكريم من حقائق القرآن وانوار الايمان الى الانس والجن كافة، ومايشاهَد في ذاته المباركة من اخلاق سامية وكمالات فائقة، شاهد صادق قاطع على هذه الحقيقة.

الاساس السابع

ان ذلك البرهان الساطع للحق والسراج المنير للحقيقة قد اظهر ديناً قيماً، وابرز شريعة شاملة بحيث تضم من الدساتير الجامعة مايضمن سعادة الدارين، كما انه بيّن - اكمل بيان - حقيقة الكون ووظيفته واسماء الخالق الجليل وصفاته. فالذي يمعن النظر في ذلك الاسلام الحنيف والشريعة الغراء الشاملة للكون يدرك يقيناً: ان ذلك الدين انما هو نظام خالق هذا الكون الجميل الذي يعرّف ذلك الخالق. اذ كما ان بنّاءً بارعاً لقصر بديع يضع تعريفاً يليق بالقصر، ويكتبه تبياناً لمهارته الفائقة، كذلك هذا الدين العظيم والشريعة السمحة وما فيه من الشمول والاحاطة والسمو يظهر بوضوح: ان الذي وضعه على هذه الصورة الرفيعة انما هو واضع الكون ومدبره. نعم ان من كان منظِّماً لهذا الكون البديع وبهذا التنظيم الرائع لابد

انه هو الذي نظم هذا الدين الاكمل بهذا النظام الأجمل.

الاساس الثامن

وهكذا فالذي يتصف بهذه الصفات الجميلة المذكورة، والذي تستند رسالته الى تلك الادلة والركائز الرصينة، ذلكم الرسول الحبيب ﷺ، يتكلم باسم عالم الغيب متوجهاً الى عالم الشهادة، معلناً على رؤوس الأشهاد من الجن والانس. مخاطباً الاقوام المتراصين وراء العصور المقبلة، فيناديهم جميعاً نداءً رفيعاً سامياً يسمعهم قاطبة اينما وجدوا وحيثما كانوا... نعم نحن نسمع!.

الاساس التاسع

ثم ان خطابه هذا رفيع الى حد تسمعه العصور جميعاً. نعم ان كل عصر يسمع رجع صدى كلامه.

الاساس العاشر

ثم انا نرى في احواله وسيرته المطهرة انه يرى ثم يبلّغ على ضوء مايرى، لانه يبلغ حتى عندما تحدق به المخاطر. بلا تردد ولا اضطراب وبكل ثقة واطمئنان بل قد يتحدى وحده الدنيا قاطبة.

الاساس الحادي عشر

ثم انه قد اعلن -بما آتاه الله من قوة- دعوته جهاراً حتى جعل نصف الارض وخمس البشرية يلبون اوامره ويقولون لكل كلمة صدرت منه: سمعنا واطعنا

الاساس الثاني عشر

ثم انه يدعو باخلاص كامل وبجدية تامة فيربّي تربية راسخة، بحيث ان دساتيرها تنقش في جباه العصور وصحائف الاقطار ووجوه الدهور.

الاساس الثالث عشر

ثم انه يتكلم بكلام ملؤه الثقة والاطمئنان فيبلغ الاحكام وهو واثق كل الثقة من صدقها وصوابها، ويدعو اليها دعوة صريحة لا لبس فيها بحيث لو

اجتمع العالم كله ماصرفه عن دعوته ولا عن حكم من تلك الاحكام. وسيرته المطهرة وتاريخ حياته المباركة أصدق شاهد على هذه الحقيقة.

الاساس الرابع عشر

ثم انه يدعو باطمئنان بالغ واعتماد تام ويبلّغ بثقة كاملة، بحيث لايتنازل في دعوته عن شيء، ولايتردد امام اية مشكلة مهما كانت، فلا يداخله الخوف والدهشة، بل يدعو بصفاء كامل واخلاص تام. وينفذ مايدعو اليه من الاحكام على نفسه اولاً ويذعن اليه ثم يعلّمه الاخرين. والشاهد على هذا زهده العظيم واستغناؤه عن الناس واعراضه عن زخارف الدنيا الفانية، كما هو معلوم لدى الاصدقاء والاعداء.

الاساس الخامس عشر

ثم انه كان اخشى الناس لله وأخضعهم لأوامره سبحانه وأعبدهم له وأتقاهم عن نواهيه مما يدلنا: أنه مبلّغ أمين لسلطان الأزل والابد، فهو رسوله الحبيب. واخلص عباده، ومبلغ رسالاته.

نخلص من هذه الاسس الخمسة عشرة:

ان هذا الرسول الكريم ﷺ الموصوف بتلك الاوصاف المذكورة قد أعلن الوحدانية فنادى بكل ماآتاه الله من قوة، وعلى مدار حياته المباركة كلها:

لا اله الا الله

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله عدد حسنات امته

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

اكرام الهي واثر عناية ربانية

على أمل ان نحظى بسر الآية الكريمة ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدّث﴾ نقول:

ان أثر عناية ربانية ولمسة رحمة الهية قد ظهر اثناء تأليف هذه الرسالة، اذكره لقرائها الكرام كي يلتفتوا اليها باهتمام بالغ:

كانت الكلمة (٣١) و (١٩) اللتان تبحثان عن الرسالة الأحمدية مؤلفتين؛ لذا لم يرد الى قلبي شيء حول تأليف هذه الرسالة.. ولكن اذا بخاطرة ترد الى القلب مباشرة، تلحّ عليّ بالتأليف في وقت كانت حدّة حافظتي قد كلّت وخبت جذوتها تحت وطأة المصائب والبلايا، فضلاً عن انني لم اسلك في مؤلفاتي - وفق مشربي - سبيل النقل من الكتب (قال فلان.. قيل كذا)، وعلاوة على أنه ما كان لديّ اي مصدر كان من مصادر الحديث الشريف أو السيرة المطهرة.. على الرغم من كل هذا قلت: «توكلت على الله»، وشرعت بتأليف هذه الرسالة متوكلاً عليه وحده، فحصل من التوفيق الالهي ماجعل حافظتي قوية بحيث كانت تمدني امداداً يفوق بكثير حافظة «سعيد القديم» حتى كُتبتْ نحو اربعين صحيفة - في سرعة فائقة - خلال مايقرب من اربع ساعات، بل كُتبت خمس عشرة صحيفة في ساعة واحدة. وكانت النقول على الاغلب من كتب الاحاديث كالبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والشفا للقاضي عياض وابو نعيم والطبري وامثالها. وكان قلبي يخفق ويرجف بشدة كلما ورد حديث شريف خطأ - لما يترتب عليه من اثم - ولكن كُتبت الاحاديث بفضل الله سليمة صحيحة.. فادركنا يقيناً ان العناية الالهية معنا وان الحاجة الى هذه الرسالة شديدة. ومع هذا، فاذا ماورد في الفاظ الحديث الشريف أو في اسم الراوي خطأ فالرجاء من الاخوة الاعزاء تصحيحه والصفح عن الخطأ.

سعيد النورسي

نعم! لقد كان الاستاذ يملي علينا ونحن نكتب المسودة، ولم يكن لديه اي مصدر كان، ولم يراجع في كلامه قط. كان كلامه في منتهى السرعة، وكنا نكتب حوالي اربعين صحيفة في ساعتين أو ثلاث. فأيقنا نحن ايضاً ان هذا التوفيق الالهي في التأليف انما هو كرامة من كرامات المعجزات النبوية على صاحبها الصلاة والسلام

(الحافظ توفيق)	(الحافظ خالد)	(سليمان سامي)	(عبدالله جاووش)
كاتب المسودة	اخوه في الآخرة	خادمه	
والمبيضة	وكاتب المسودة	وكاتب المسودة	خادمه المقيم

الذيل الاول

من رسالة «المعجزات الاحمدية»

[لمناسبة المقام ضُمت هنا الكلمة (التاسعة عشرة) وهي تخص الرسالة الأحمدية مع ذيلها الذي يبحث في معجزة انشقاق القمر]

تتضمن هذه الكلمة أربع عشرة رشحة:

الرشحة الأولى:

إن ما يُعرّف لنا ربنًا هو ثلاثة معرّفين أدلّاء عظام:

أوله: كتاب الكون، الذي سمعنا شيئاً من شهادته في ثلاث عشرة لمعة (من لمعات المثنوي العربي النوري).

ثانيه: هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة ﷺ.

ثالثه: القرآن الحكيم.

فعلينا الآن أن نعرف هذا البرهان الثاني الناطق وهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ وننصت اليه خاشعين.

إعلم! إن ذلك البرهان الناطق له شخصية معنوية عظيمة. فإن قلت: ماهو؟ وما ماهيته؟ قيل لك: هو الذي لعظمته المعنوية صار سطحُ الأرض

ملحوظة: كتب الاستاذ النورسي هذا البحث باللغة العربية في المثنوي العربي النوري، ثم ترجمه الى التركية وجعله «الكلمة التاسعة عشرة» من سوزلر / الكلمات. فأثناء ترجمتي لها الى العربية مرّة أخرى احتفظت بالنص العربي للاستاذ مع ما يستوجب من تقديم وتأخير وحذف وإضافه في ضوء النص التركي - المترجم -

مسجده، ومكةُ محرابه، والمدينةُ منبره. وهو امام جميع المؤمنين يأتمون به صافّين خَلْفَه، وخطيب جميع البشر يبيّن لهم دساتير سعاداتهم، ورئيس جميع الأنبياء: يزكّيهم ويصدّقهم بجامعية دينه لأساسات أديانهم، وسيد جميع الأولياء: يرشدهم ويربّيهم بشمس رسالته، وقطبٌ في مركز دائرة حلقة ذكرٍ تركّبت من الأنبياء والأخيار والصديقين والأبرارالمتفقين على كلمته الناطقين بها، وشجرةٌ نورانية عروقُها الحيوية المتينة هي الأنبياء باساساتهم السماوية، واغصانها الخضرة الطرية وثمراتها اللطيفة النيّرة هي الأولياء بمعارفهم الالهامية. فما من دعوىً يدّعيها الاّ ويشهدُ له جميعُ الأنبياء مستندين بمعجزاتهم، وجميعُ الأولياء مستندين بكراماتهم. فكان على كل دعوىً من دعاويه خواتمُ جميع الكاملين، إذ بينما تراه قال: (لا إله إلاّ الله) وادّعى التوحيد فاذا نسمع من الماضي والمستقبل من الصفّين النورانيين - أي شموس البشر ونجومه القاعدين في دائرة الذكر - عينَ تلك الكلمة، فيكررونها ويتفقون عليها، مع اختلاف مسالكهم وتباين مشاربهم. فكأنهم يقولون بالاجماع: «صَدَقتَ وبالحق نَطقتَ». فأنّى لوهمٍ أن يَمدَّ يده لردِّ دعوىً تأيدتْ بشهاداتِ مَنْ لايُحَد من الشاهدين الذين تزكّيهم معجزاتُهم وكراماتُهم.

الرشحة الثانية:

إعلم. إن هذا البرهان النوراني الذي دلَّ على التوحيد وأرشد البشر اليه، كما أنه يتأيد بقوة ما في جناحَيه نبوةً وولايةً من الاجماع والتواتر، كذلك تصدِّقُه مئاتُ إشارات الكتب السماوية من بشارات التوراة والانجيل والزبور وزُبُرِ الأولين، [1] وكذلك تصدِّقُه رموز ألوف الارهاصات الكثيرة المشهودة، وكذا تصدِّقُه بشارات الهواتف الشائعة المتعددة وشهادات الكهان المتواترة، وكذا تصدِّقُه دلالات معجزاته من أمثال: شق القمر، ونبعان الماء من الأصابع - كالكوثر - ومجيء الشجر بدعوته، ونزول المطر في آن دعائه،

---

(١) لقد استخرج حسين الجسر مائة واربع عشرة بشارة من بطون تلك الكتب، وضمنها في «الرسالة الحميدية». فلئن كانت البشارات بعد التحريف الى هذا الحد فلا بد ان تصريحات كثيرة كانت موجودة قبله. (النورسي).

وشبـع الكثيـر من طعـامـه القليـل، وتكلّم الضب والـذئب والظبي والجمـل والحجـر الى ألفٍ من معجـزاتـه كما بينّه الرواة والمحدثون المحققون، وكذا تصدِّقه الشريعة الجامعة لسعادات الدارين.

واعلم! أنـه كمـا تصدِّقه هذه الدلائل الآفاقية، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتصدقّه الدلائل الانفسية. اذ اجتماع اعالي جميع الاخلاق الحميـدة في ذاتـه بالاتفـاق، وكـذا جمـعُ شخصيته المعنوية - في وظيفته - أفـاضـل جميع السجايا الغالية والخصائل النزيهة، وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهـده وقـوة تقـواه وقـوة عبوديته، وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره، وكمال جدّيته وكمـال متـانتـه، وكـذا قوة أمنيتـه في حركـاته بشهادة قوة إطمئنانه.. تصدِّقه كالشمس الساطعة في دعوىٰ تمسُّكه بالحق وسلوكه على الحقيقة.

الرشحة الثالثة:

إعلم! إن للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في محاكمات العقول. فإن شئت فتعالَ لنذهب الى خير القرون وعصر السعادة النبوية لنحظى بزيارته الكريمة ﷺ -ولو بالخيال- وهو على رأس وظيفته يعمل. فافتح عينك وانظر! فإنَّ أولَ مايتظاهر لنا من هذه المملكة: شخصٌ خارق، له حسنُ صورة فائقة، في حُسنِ سيرة رائقة. فهاهو آخذٌ بيده كتاباً معْجِزاً كريماً، وبلسانه خطاباً موجزاً حكيماً، يبلِّغ خطبةً أزليةً ويتلوها على جميع بَني آدم، بل على جميع الجن والانس، بل على جميع الموجودات.

فياللعجب! مايقول؟.. نعم! إنه يقول عن أمرٍ جسيم، ويبحث عن نبأٍ عظيم، إذ يشرح ويحل اللغز العجيب في سرِّ خِلْقة العالَم، ويفتح ويكشف الطلسم المغلق في سرِّ حكمة الكائنات، ويوضح ويبحث عن الأسئلة الثلاثة المعضلة التي أشغلت العقول وأوقعتها في الحيرة، إذ هي الأسئلة التي يَسأل عنها كلُّ موجود. وهي: مَنْ أنتَ؟ ومن أينَ؟ والى أينَ؟.

الرشحة الرابعة:

انظر! الى هذا الشخص النوراني كيف ينشر من الحقيقة ضياءً نوّاراً، ومن الحق نوراً مضيئاً، حتى صيرَّ ليلَ البشر نهاراً وشتاءه ربيعاً؛ فكأنَّ الكائنات تبدَّل شكلُها فصار العالَم ضاحكاً مسروراً بعدما كان عبوساً

نمطريراً. فإذا ما نظرت الى الكائنات خارجَ نور إرشاده: ترى في الكائنات مأتماً عمومياً، وترى موجوداتها كالأجانب الغرباء والأعداء، لايعرف بعضٌ بعضاً، بل يعاديه، وترى جامداتها جنائز دهّاشة، وترى حيواناتِها واناسيّها أيتاماً باكين بضربات الزوال والفراق.

فهذه هي ماهية الكائنات عند مَنْ لم يدخل في دائرة نوره. فانظر الآن بنوره، وبمرصاد دينه، وفي دائرة شريعته، الى الكائنات. كيف تراها؟..

فانظر: قد تبدّل شكلُ العالم، فتحوّل بيتُ المأتم العمومي مسجدَ الذكر والفكر ومجلسَ الجذبة والشكر، وتحوّل الأعداءُ الأجانب من الموجدات أحباباً وإخواناً، وتحوّل كلٌ من جامداتها الميتة الصامتة حيّاً مؤنساً مأموراً مسخَّراً ناطقاً بلسان حاله آيات خالقه، وتحوّل ذوي الحياة منها - الأيتام الباكون الشاكون - ذاكرين في تسبيحاتهم، شاكرين لتسريحهم عن وظائفهم.

الرشحة الخامسة:

لقد تحوّلت بذلك النور حركاتُ الكائنات وتنوعاتُها وتغيراتُها من العبثية والتفاهة وملعبة المصادفة الى مكتوباتٍ ربانية، وصحائف آياتٍ تكوينية، ومرايا اسماء إلٰهية. حتى ترقّىٰ العالمُ وصار كتابَ الحكمة الصمدانية.

وانظر الى الأنسان كيف ترقّىٰ من حضيض الحيوانية الذي هوىٰ اليه بعجزه وفقره وبعقله الناقل لأحزان الماضي ومخاوف المستقبل، ترقّى الى أوج الخلافة بتنور ذلك العقل والعجز والفقر. فانظر كيف صارت أسبابُ سقوطه - من عجز وفقر وعقل - أسبابَ صعوده بسبب تنورها بنور هذا الشخص النوراني.

فعلى هذا، لولم يوجد هذا الشخص لسقطت الكائناتُ والأنسان، وكلُ شيء الى درجة العدم؛ لاقيمةَ ولا أهميةَ لها. فيلزم لمثل هذه الكائنات البديعة الجميلة من مثل هذا الشخص الخارق الفائق المعرِّف المحقق، فإذا لم يكن هذا فلا تكن الكائنات، إذ لا معنىً لها بالنسبة إلينا.

الرشحة السادسة:

فان قلت: مَنْ هذا الشخص الذي نراه قد صار شمساً للكون، كاشفاً

بدينه عن كمالات الكائنات؟ ومايقول؟.

قيل لك: انظر واستمع الى مايقول: هاهو يُخبر عن سعادة أبدية ويبشّر بها، ويكشف عن رحمة بلا نهاية، ويعلنها ويدعو الناس اليها. وهو دلّال محاسن سلطنة الربوبية ونَظّارُها، وكشّافُ مخفيّات كنوز الأسماء الالٓهية ومعرِّفُها.

فانظر اليه من جهة وظيفته (رسالته)؛ تَرهُ برهانَ الحق، وسراجَ الحقيقة، وشمسَ الهداية، ووسيلة السعادة.

ثم انظر اليه من جهة شخصيته (عبوديته)؛ تَرَهُ مثالَ المحبة الرحمانية، وتمثالَ الرحمة الربانية، وشرفَ الحقيقة الأنسانية، وأنورَ أزهرِ ثمرات شجرة الخلقة.

ثم انظر! كيف أحاط نورُهُ ودينُه بالشرق والغرب في سرعة البرق الشارق، وقد قَبِل بإذعان القلب مايقرُب من نصف الأرض ومن خُمس بني آدم هديةَ هدايته، بحيث تُفدي لها أرواحَها. فهل يمكن للنفس والشيطان أن يناقشا بدون مغالطة في مدّعيات مثل هذا الشخص، لاسيما في دعوىً هي أساس كل مدّعياته وهو: «لا إله إلاّ الله» بجميع مراتبه؟...

الرشحة السابعة:

فإن شئت أن تعرف أن مايحرّكه، إنما هو قوة قدسية، فانظر: الى إجراآته في هذه الجزيرة الواسعة! الاترى هذه الاقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة، المتعصبين لعاداتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميعَ أخلاقهم السيئة البدائية وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة؟ وجهزهم بأخلاق حسنة عالية؛ فصيّرهم معلمي العالم الأنساني وأساتيذ الامم المتمدنة.

فانظر! ليست سلطنتُه على الظاهر فقط؛ بل ها هو يفتح القلوب والعقول، ويسخّر الأرواح والنفوس، حتى صار محبوبَ القلوب ومعلّمَ العقول ومربي النفوس وسلطان الأرواح.

الرشحة الثامنة:

من المعلوم أن رفعَ عادةٍ صغيرة - كالتدخين مثلاً - من طائفة صغيرة

بالكلية، قد يَعْسُرُ على حاكمٍ عظيم، بهمّةٍ عظيمة، مع إنا نرى ﷺ هاهو قد رفع بالكلّية، عاداتٍ عظيمةً، كثيرة، من أقوام عظيمة، متعصبين لعاداتهم، معاندين في حسيّاتهم، رفعها بقوةٍ جزئية، وهمّة قليلة - في ظاهر الحال - وفي زمان قصير، وغَرَسَ بدَلَها - برسوخ تامٍ في سجيتهم - عادات عالية، وخصائلَ غالية. فيتراءى لنا من خوارق اجرآته الأساسية ألوفَ ما رأينا، فمَن لم يَر هذا العصر السعيد نُدخلْ في عينه هذه الجزيرة ونتحداه. فليجربْ نفسه فيها. فليأخذوا مائةً من فلاسفتهم وليذهبوا اليها وليعملوا مائة سنة هل يتيسر لهم أن يفعلوا جزءاً من مائة جزء مما فعله ﷺ في سنة بالنسبة الى ذلك الزمان؟!

الرشحة التاسعة:

إعلم! إن كنت عارفاً بسجية البشر أنه لايتيسّر لعاقل أن يدّعي - في دعوىً فيها مناظرة - كذباً يخجل بظهوره، وأن يقوله بلاحرج وبلا تردد وبلا إضطراب - يشير الى حيلته - وبلا تصنع وتهيج - يوميان الى كذبه - أمام أنظار خصومه النقّادة، ولو كان شخصاً صغيراً، ولو في وظيفة صغيرة، ولو بحيثية حقيرة، ولو في جماعة صغيرة، ولو في مسألة حقيرة. فكيف يمكن تداخل الحيلة ودخول الخلاف في مدّعيات مثل هذا الشخص الذي هو موظف عظيم، في وظيفة عظيمة، بحيثية عظيمة، مع أنه يحتاج لأمنية عظيمة، وفي جماعة عظيمة، ويقابل خصومة عظيمة، وفي مسألة عظيمة، وفي دعوىً عظيمة؟

وها هو يقول مايقول بلامبالاة بمعترض، وبلا تردّد وبلا تحرج وبلا تخوف وبلا إضطراب، وبصفوة صميمية، وبجدّية خالصة، وبطرز يثير أعصاب خصومه بتزييف عقولهم وتحقير نفوسهم وكسر عزتهم، باسلوب شديد علويّ. فهل يمكن تداخل الحيلة في مثل هذه الدعوى، من مثل هذا الشخص، في مثل هذه الحالة المذكورة؟ كلاّ! ﴿إنْ هو إلاّ وَحْيٌ يُوحى﴾.

نعم! إن الحق أغنى من أن يدلس، ونظر الحقيقة أعلى من أن يُدلَس عليه! نعم! إن مسلكه الحق مستغنٍ عن التدليس، ونظره النقّاد منزهٌ من أن يلتبس عليه الخيالُ بالحقيقة...

الرشحة العاشرة:

انظر واستمعْ الى مايقول: هاهو يبحث عن حقائق مدهشة عظيمة، ويبحث عن سسائل جاذبة للقلوب، جالبة للعقول الى الدقة والنظر؛ إذ من المعلوم أن شوق كشف حقائق الأشياء قد ساق كثيرين من أهل حب الاستطلاع واللهفة والاهتمام إلى فداء الأرواح. ألا ترى أنه لو قيل لك: إن افديتَ نصفَ عمرك، أو نصفَ مالك؛ لنزل من القمر أو المشتري شخصٌ يُخبرك بغرائب أحوالهما، ويخبرك بحقيقة مستقبل أيامك؟ أظنك ترضى بالفداء. فيا للعجب! ترضى لدفع ماتتلهف اليه بنصف العمر والمال، ولاتهتم بما يقول هذا النبي الكريم ﷺ ويصدِّقه إجماعُ أهل الشهود وتواترُ أهل الاختصاص من الأنبياء والصديقين والأولياء والمحققين بينما هو يبحث عن شؤون سلطانٍ، ليس القمر في مملكته إلاّ كذبابٍ يطير حول فراش، وهذا يحوم حول سراجٍ من بين ألوف القناديل التي أسَرجها في منزل من بين ألوف منازله الذي أعدّه لضيوفه.. وكذا يخبر عن عالمٍ هو محل الخوارق والعجائب، وعن انقلاب عجيب، بحيث لو انفلقت الأرضُ وتطايرتِ جبالُها كالسحاب ما ساوتْ عُشر معشار غرائب ذلك الانقلاب. فإن شئت فاستمع من لسانه أمثال السور الجليلة: ﴿إذا الشَّمْسُ كُوِّرتْ﴾ و﴿إذا السَّماء انْفطرتْ﴾ و﴿إذا زُلْزلت الأرضُ زلْزالها﴾ و﴿الْقارعَةُ . ماالقارعة﴾

وكذا يخبر بصدقٍ عن مستقبلٍ ليس مستقبل الدنيا بالنسبة إليه إلاّ كقطرة سرابٍ بلا طائل بالنسبة الى بحر بلا ساحل. وكذا يبشرَ - عن شهود - بسعادة ليستْ سعادة الدنيا بالنسبة اليها إلاّ كبرقٍ زائلٍ بالنسبة الى شمس سرمدية.

الرشحة الحادية عشر

نعم! تحت حجاب هذه الكائنات - ذات العجائب والأسرار - تنتظرنا أمورٌ أعجب. ولابدَّ لأخبار تلك العجائب والخوارق شخصٌ عجيبٌ خارقٌ يُستشفّ من أحواله أنه يشاهِد ثم يَشهد. ويَبصُر ثم يُخبر. نعم! نشاهد من شؤونه واطواره أنه يشاهِد ثم يشهَد فيُنذر ويبشر. وكذا يُخبر عن مرضيات رب العالمين - الذي غمرنا بنعمه الظاهرة والباطنة - ومطالبه منا وهكذا...

فياحسرةً على الغافلين! وياخسارة على الضالين! وياعجبا من بلاهة

اكثر الناس! كيف تعاموا عن هذا الحق وتصاموا عن الحقيقة؟، لايهتمون بكلام هذا النبي الكريم ﷺ، مع أن من شأن مثله أن تُفدى له الأرواحُ ويُسرع اليه بترك الدنيا وما فيها ؟؟

الرشحة الثانية عشرة:

اعلم أن هذا النبي الكريم ﷺ، المشهود لنا بشخصيته المعنوية، المشهور في العالم بشؤونه العلوية، كما أنه برهانٌ ناطق صادق على الوحدانية، ودليلَ حقٍ بدرجة حقانية التوحيد، كذلك هو برهان قاطع ودليل ساطع على السعادة الأبدية؛ بل كما أنه بدعوته وبهدايته سببُ حصول السعادة الأبدية ووسيلة وصولها، كذلك بدعائه وعبوديته سببُ وجود تلك السعادة ووسيلة ايجادها. فإن شئت فانظر اليه وهو في الصلاة الكبرى، التي بعظمة وسعتها صيّرت هذه الجزيرة بل الأرض مصلين بتلك الصلاة الكبرى، ثم انظر انه يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى، بدرجة كأنه هو امامٌ في محراب عصره واصطفَّ خلفَه، مقتدين به جميعُ أفاضل بني آدم، من آدم الى هذا العصر الى آخر الدنيا في صفوف الاعصار مؤتمّين به ومؤمّنين على دعائه. ثم استمع ما يفعل في تلك الصلاة بتلك الجماعة. فها هو يدعو لحاجةٍ شديدة عظيمة عامة بحيث تشترك معه في دعائه الأرضُ، بل السماء، بل كل الموجودات، فيقولون بألسنة الأحوال: نعم ياربنا تقبّل دعاءه؛ فنحن أيضاً - بل مع جميع ما تجلّى علينا من أسمائك - نطلب حصولَ مايطلب هو. ثم انظر الى طوره في طرز تضرعاته كيف يتضرع بافتقار عظيم، في اشتياق شديد، وبحزن عميق، في محبوبية حزينة؛ بحيث يهيّج بكاء الكائنات فيبكيها فيُشركها في دعائه. ثم انظر لأي مقصد وغاية يتضرع: هاهو يدعو لمقصد لولا حصول ذاك المقصد لسقط الانسانُ، بل العالم، بل كل المخلوقات الى أسفل سافلين لاقيمة لها ولامعنى. وبمطلوبه تترقى الموجودات الى مقامات كمالاتها. ثم انظر كيف يتضرع باستمداد مديد، في غياث شديد، في استرحام بتودد حزين، بحيث يُسمع العرشَ والسموات، ويهيّج وَجْدها، حتى كأن العرشَ والسموات يقول: آمين اللّهم آمين.. ثم انظر ممن يطلب مسؤله؛ نعم! يطلب من القدير السميع الكريم ومن العليم

البصير الرحيم، الذي يَسمَع أخفىٰ دعاء من أخفىٰ حيوان في أخفىٰ حاجة، إذ يجيبه بقضاء حاجته بالمشاهدة، وكذا يبصر أدنىٰ أملٍ في أدنىٰ ذي حياةٍ في أدنىٰ غايةٍ؛ اذ يوصله اليها من حيث لايحتسب بالمشاهدة، ويكرم ويرحم بصورة حكيمة، وبطرز منتظم. لايبقىٰ ريب في أن هذه التربية والتدبير من سميع عليم ومن بصير حكيم.

الرشحة الثالثة عشرة:

فيا للعجب!.. ما يطلب هذا الذي قام علىٰ الأرض، وجَمَع خلفه جميع افاضل بني آدم ورفع يديه متوجهاً الى العرش الاعظم يدعو دعاءً يؤمّن عليه الثقلان. ويُعلَم من شؤونه أنه: شرفُ نوع الانسان، وفريدُ الكون والزمان، وفخرُ هذه الكائنات في كل آن، ويستشفع بجميع الاسماء القدسية الآلٰهية المتجلية في مرايا الموجودات، بل تدعو وتطلب تلك الأسماء عينَ مايطلب هو. فاستمع: هاهو يطلب البقاء واللقاء والجنة والرضا. فلو لم يوجد مالا يعد من الأسباب الموجبة لأعطاء السعادة الأبدية من الرحمة والعناية والحكمة والعدالة المشهودات - المتوقف كونها رحمة وعناية وحكمة وعدالة - على وجود الآخرة. وكذا جميع الأسماء القدسية - أسباب مقتضية لها - لكفىٰ دعاء هذا الشخص النوراني لأن يبني ربُه له ولأبناء جنسه الجنة، كما يُنشئ لنا في كل ربيع جناناً مزينة بمعجزات مصنوعاته، فكما صارت رسالته سبباً لفتح هذه الدار الدنيا للامتحان والعبودية، كذلك صار دعاؤه في عبوديته سبباً لفتح دار الآخرة للمكافآت والمجازاة.

فهل يمكن أنْ يتدخل في هذا الانتظام الفائق، وفي هذه الرحمة الواسعة، وفي هذه الصنعة الحسنة بلا قصور، وفي هذا الجمال بلا قبح، بدرجة أنطق أمثال الغزالي بـ «ليس في الامكان أبدع مما كان» وأن تتغير هذه الحقائق بقبح خشين، وبظلم موحش، وبتشوش عظيم، أي بعدم مجيء الآخرة؟ إذ سماع أدنىٰ صوت من أدنىٰ خلق في أدنىٰ حاجة وقبولها بأهمية تامة، مع عدم سماع أرفع صوت ودعاء في أشد حاجة، وعدم قبول أحسن مسؤول، في أجمل أمل ورجاء؛ قبحٌ ليس مثله قبح وقصور لايساويه قصور، حاشا ثم حاشا وكلاّ.. لايقبل مثل هذا الجمال المشهود بلا قصور مثل هذا القبح المحض.

فيارفيقي في هذه السياحة العجيبة، ألا يكفيك مارأيت؟ فإن أردت الاحاطة فلايمكن، بل لو بقينا في هذه الجزيرة مئة سنة ما احطنا ولا مللنا من النظر بجزء واحد من مئة جزء من عجائب وظائفه، وغرائب اجراآته. . . فلنرجع القهقرى، ولننظر عصراً عصراً، كيف اخضرت تلك العصور واستفاضت من فيض هذا العصر؟ نعم، ترى كل عصر نمر عليه قد انفتحت أزاهيرُه بشمس عصر السعادة، وأثمر كلُ عصر من امثال أبي حنيفة والشافعي، وأبو يزيد البسطامي، وجنيد، والشيخ عبدالقادر الكيلاني. . والامام الغزالي والشاه النقشبندي والامام الرباني ونظائرهم ألوف ثمراتٍ منوراتٍ من فيض هداية ذلك الشخص النوراني، فلنؤخر تفصيلات مشهوداتنا في رجوعنا الى وقت آخر، ونصلّي ونسلّم على ذلك الذات النوراني، ذي المعجزات: أعني سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام الذي أُنزل عليه القرآن الحكيم من الرحمن الرحيم من العرش العظيم: على سيدنا محمد ألفُ ألفِ صلاةٍ وسلام بعدد حسنات أمته.

على مَن بشّر برسالته التوراة والانجيل والزبور والزبر، وبشر بنبوّته الارهاصات وهواتف الجن وكواهن البشر وانشقّ باشارته القمر: سيدنا محمد ألفُ ألفِ صلاة وسلام بعدد أنفاس أمته.

على من جاءت لدعوته الشجرُ، ونزل سرعةً بدعائه المطر، واظلّته الغمامة من الحر، وشبع من صاعٍ من طعامه مآتٌ من البشر، ونبع الماء من بين أصابعه كالكوثر، وانطق الله له الضب، والظبي، والذئب، والجذع، والذراع، والجمل، والجبل، والحجر، والمدر، والشجر. صاحب المعراج ومازاغ البصر: سيدنا وشفيعنا محمد ألف ألف صلاة وسلام بعدد كل الحروف المتشكلة في الكلمات المتمثلة بإذن الرحمن في مرايا تموجات الهواء عند قراءة كل كلمة من القرآن من كل قارىء من أول النزول الى آخر الزمان واغفر لنا وأرحمنا ياإلهنا بكل صلاة منها: آمين.

[إعلم: إن دلائل النبوة الأحمدية لاتعدّ ولاتحدّ، ولقد صنّف في بيانها اعاظم المحققين. وأنا مع عجزي وقصوري قد بيّنت شعاعاتٍ من تلك الشمس في رسالة تركية مسّماة ب «شعاعات من معرفة النبي ﷺ وفي

المكتوب التاسع عشر». وكذا بينت اجمالاً وجوه إعجاز معجزته الكبرى «أي القرآن»؛ وقد اشرتُ بفهمي القاصر الى أربعين وجهاً من وجوه أعجاز القرآن في رسالة «لمعات»، وقد بينت من تلك الوجوه واحداً: وهو البلاغة الفائقة النظمية في مقدار أربعين صحيفة من تفسيري العربي المسمى بـ «اشارات الاعجاز». فإن شئت فارجع الى هذه الكتب الثلاثة..].

الرشحة الرابعة عشرة:

اعلم! إن القرآن الكريم الذي هو بحر المعجزات والمعجزة الكبرى، يثبت النبوة الأحمدية والوحدانية الآلهية إثباتاً، ويقيم حججاً ويسوق براهين ويبرز أدلة تغني عن كل برهان آخر. فنحن هنا سنشير الى تعريفه، ثم نشير الى لمعاتٍ من أعجازه تلك التي أثارت تساؤلاً لدىٰ البعض.

■ فإن قلت: القرآن، ماهو؟ قيل لك: هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم.. وكذا هو كشافُ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المُضمَرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة المخاطبات الازلية السبحانية والالتفاتات الابدية الرحمانية... وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الاسلامي.. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي.. وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسير واضحٌ وبرهان قاطعٌ وترجمان ساطعٌ لذات الله وصفاته واسمائه وشؤونه.. وكذا هو مربٌّ للعالم الانساني... وكالماء وكالضياء للأنسانية الكبرى التي هي الاسلامية... وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي الى ماخُلِقَ البشرُ له... وكذا هو للأنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الأنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدسٍ مشحون بالكتب والرسائل، حتى أنه قد أبرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة،

ولمسلكِ كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل. . .

■ فانظر: الى بيان لمعة الاعجاز في تكرارات القرآن التي يتوهمها القاصرون نقصاً في البلاغة.

في هذه اللمعة ست نقاط:

(النقطة الأولى) اعلم: أن القرآن لأنه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنّه القاصرون، إذ الذكر يُكرَّر، والدعاء يُردَّد.

والدعوة تؤكَّد. إذ في تكرير الذكر تنويرٌ وفي ترديد الدعاء تقريرٌ وفي تكرار الدعوة تأكيدٌ.

(النقطة الثانية): اعلم! ان القرآن خطاب ودواء[4] لجميع طبقات البشر من اذكى الأذكياء الى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء الى أشقى الأشقياء؛ ومن الموفقين المجدّين الفارغين من الدنيا التاركين لَهوَها الى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا. فإذاً لايمكن لكل أحدٍ في كل وقتٍ قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحدٍ في كل وقت. فلهذا أدرَجَ الحكيمُ الرحيم اكثر المقاصد القرآنية في اكثر سورٍ؛ لاسيما الطويلة منها، حتى صارت كلُ سورة قرآناً صغيراً، فسهّل السبيلَ لكل احدٍ، وينادى مشوقاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرآنَ للذِكْر فَهَلْ من مُدَّكِرٍ﴾ دون أن يَحْرُمَ أحداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

(النقطة الثالثة): اعلم! أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفةٌ في الأوقات؛ فالى بعضٍ في كل آن كالهواء، والى قسمٍ في كل وقت حرارة المعدة كالماء، والى صنفٍ في كل يوم كالغذاء، والى نوعٍ في كل أسبوع كالضياء، والى طائفة في كل شهر، والى بعض في كل سنة كالدواء، كلها في الأغلب، وقِسْ عليها.

كذلك ان الحاجات المعنوية الأنسانية ايضاً مختلفة الأوقات. فالى قسم في كل آن كـ(هو الله)، والى قسم في كل وقت كـ(بسم الله). والى قسم في كل ساعة كـ(لا إله إلّا الله). . وهكذا فقس.

فتكرار الآيات والكلمات: للدلالة على تكرّر الاحتياج، وللإشارة الى شدة الاحتياج اليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج الى تلك الأغذية المعنوية.

(النقطة الرابعة): اعلم! أن القرآن مؤسسٌ لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته، وأساسات لهذا العالم الاسلامي، ومقلِّبٌ لاجتماعيات البشر ومحوّلها ومبدّلها. ولابدَّ للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

وكذا إن القرآن فيه أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة البشرية بألسنة الأقوال والاحوال. . .

(النقطة الخامسة): اعلم! أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب الى الايمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول الى معرفتها. فلابدَّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

(النقطة السادسة): اعلم! ان لكل آيةٍ ظهراً وبطناً وحدّاً ومَطلعاً، ولكل قصةٍ وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فتُذكر في موضعٍ لوجهٍ، وفي آخر لأخرىٰ، وفي سورةٍ لمقصدٍ وفي أخرىٰ لآخر وهكذا. فعلىٰ هذا لاتكرار إلّا في الصورة. . .

■ ثم إن القرآن الكريم في اهماله بعض المسائل الكونية الفلسفية وإبهامه في بعض آخر منها واجماله في قسم منها لمعة اعجاز ساطع وليس كما توهمه أهلُ الألحاد من قصور ومدار نقد.

فإن قلت:

لأي شيء لايبحث القرآن عن الكائنات كما يبحث عنها فن الحكمة والفلسفة؟ فيَدَع بعض المسائل مجملاً ويذكر أخرى ذكراً ينسجم مع شعور العوام وافكارهم فلا يمسّها بأذىٰ ولايرهقها بل يذكرها سلساً بسيطاً في الظاهر؟

نقول جواباً:

لأن الفلسفة عَدِلَتْ عن طريق الحقيقة وضلّت عنها، وقد فهمتَ حتماً من الدروس والكلمات السابقة أن: القرآن الكريم إنما يبحث عن الكائنات استطراداً، للاستدلال على ذات الله سبحانه وصفاته واسمائه الحسنى، أي يُفهِم معاني هذا الكتاب - كتاب الكون العظيم - كي يعرِّف خالقه. أي أن القرآن الكريم يستخدم الموجودات لخالقها لا لأنفسها. فضلاً عن أنه يخاطب الجمهور. وعلى هذا، فمادام القرآن يستخدم الموجودات دليلاً وبرهاناً، فمن شرط الدليل أن يكون ظاهراً وأظهرَ من النتيجة أمام نظر الجمهور. . . ثم إن القرآن مادام مرشداً فمن شأن بلاغة الأرشاد مماشاة نظر العوام، ومراعاة حسِّ العامةِ، ومؤانسة فكر الجمهور، لئلا يتوحش نظرُهم بلا طائل ولايتشوش فكرُهم بلا فائدة، ولايتشرّد حسُّهم بلا مصلحة، فأبلغُ الخطاب معهم والارشاد أن يكون ظاهراً بسيطاً سهلاً لايعجزهم، وجيزاً لايُملّهم، مجملاً فيما لايلزم تفصيله لهم، ويضرب بالأمثال لتقريب مادقَّ من الأمور الى فهمهم. فلأن القرآن مرشد لكل طبقات البشر تستلزم بلاغةُ الارشاد أن لايذكر مايوقع الاكثرية في المغلطة والمكابرة مع البديهيات في نظرهم الظاهري، وأن لايغيّر بلالزوم ماهو متعارف محسوس عندهم، وان يهمل أو يجمل مالايلزم لهم في وظيفتهم الأصلية. فمثلاً: يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لِمن نورَّها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها محوراً لانتظام الصنعة ومركزاً لنظام الخلقة، وما الانتظام والنظام إلاّ مرايا معرفة الصانع الجليل. فيعرّفنا القرآنُ باراءة نظام النسج وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم، فيقول: ﴿والشمسُ تجري﴾ ويفهِّم بها وينبه الى تصرفات القدرة الآلهية العظيمة في اختلاف الليل والنهار وتناوب الصيف والشتاء، وفي لفت النظر اليها تنبيه السامع الى عظمة قدرة الصانع و انفراده في ربوبيته. فمهما كانت حقيقة جريان الشمس وبأي صورة كانت لاتؤثر تلك الحقيقة في مقصد القرآن في اراءة الانتظام المشهود والمنسوج معاً.

ويقول أيضاً:

﴿وجَعَل الشمسَ سراجاً﴾ ففي تعبير السراج تصوير العالم بصورة قصر، وتصوير الأشياء الموجودة فيه في صورة لوازم ذلك القصر، ومزيّناته، ومطعوماته لسكان القصر ومسافريه، واحساسٌ أنه قد أحضَرتها - لضيوفه وخدّامه - يدُ كريمٍ رحيم. وما الشمسُ إلاّ مأمور مسخَّر وسراج منوِّر. ففي تعبير السراج تنبيه الى رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، وافهامُ إحسانه في سعة رحمته، واحساسُ كرمه في عظمة سلطنته.

فالآن استمع ماذا يقول الفلسفي الثرثار في الشمس. يقول: «هي كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي أرضنا وسيارات أخرى فتدور هذه الاجرام العظيمة المختلفة في الجسامة... ضخامتها كذا.. ماهيتها كذا..». فانظر ماذا أفادتك هذه المسألة غيرَ الحيرة المدهشة والدهشة الموحشة، فلم تُفِدْك كمالاً علمياً ولا ذوقاً روحياً ولا غاية إنسانية ولا فائدة دينية. فقس على هذا لتقدرَ قيمة المسائل الفلسفية التي ظاهرُها مزخرفة وباطنُها جهالة فارغة. فلا يغرَّنك تشعشع ظاهرها وتُعرِض عن بيان القرآن المعجز.

تنبيه: لقد ذكرنا في المثنوى العربي النوري خمسة عشر نوعاً من انواع اعجاز القرآن البالغ اربعين نوعاً وذلك في ست قطرات للرشحة الرابعة، ولا سيما النكت الدقيقة الست للقطرة الرابعة. لذا اجملنا هنا مكتفين بما ذكرناه هناك، فمن شاء فليراجعه.

اللّهم اجعل القرآن شفاءً - لنا ولكاتبه وأمثاله - من كل داء
ومؤنساً لنا ولهم في حياتنا وبعد موتنا، وفي الدنيا قريناً،
وفي القبر مؤنساً، وفي القيامة شفيعاً، وعلى الصراط نوراً،
ومن النار ستراً وحجاباً، وفي الجنة رفيقاً، والى الخيرات
كلها دليلاً وإماماً، بفضلك وجودك وكرمك ورحمتك
يا اكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين أمين.
اللّهم صلِ وسلم على مَن أنزل عليه الفرقان
الحكيم وعلى آله وصحبه أجمعين
آمين. آمين

معجزة انشقاق القمر

[ذيل الكلمة التاسعة عشرة والحادية والثلاثين]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إقتَرَبت الساعةُ وانشقَ القَمَر. وإنْ يَرَوا آيةً يعُرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ (القمر: ١ - ٢)

ان فلاسفة ماديين - ومن يقلّدونهم تقليداً اعمى - يريدون ان يخسفوا معجزة انشقاق القمرِ الساطعة كالبدر، فيثيرون حولها اوهاماً فاسدة، اذ يقولون: «لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم، ولذكرته كتب التاريخ كلها!».

الجواب:

ان انشقاق القمر معجزة لأثبات النبوة، وقعت امام الذين سمعوا بدعوى النبوة وانكروها، وحدثت ليلاً، في وقت تسود فيه الغفلة، وأُظهرت آنياً، فضلاً عن ان اختلاف المطالع ووجود السحاب والغمام وامثالها من الموانع تحول دون رؤية القمر، علماً ان اعمال الرصد ووسائل الحضارة لم تكن - في ذلك الوقت - منتشرة. لذا لايلزم ان يرى الانشقاق كل الناس، في كل مكان، ولايلزم ايضاً ان يدخل كتب التأريخ.

فاستمع الآن الى نقاط خمس فقط - من بين الكثير منها - تبدد - باذن الله - سحب الاوهام التي تلبدت على وجه هذه المعجزة الباهرة:

النقطة الاولى:

ان تعنت الكفار في ذلك الزمان معلوم ومشهور تأريخاً، فعندما أعلن القرآن الكريم ﴿وانشق القمر﴾ وبلغ صداه الآفاق، لم يجرؤ أحدٌ من الكفار - وهم يجحدون القرآن - ان يكذّب بهذه الآية الكريمة. اي ينكر وقوع الحادثة. اذ لو لم تكن الحادثة قد وقعت فعلاً في ذلك الوقت، ولم تكن ثابتة لدى اولئك الكفار، لاندفعوا بشدة ليبطلوا دعوى النبوة، ويكذّبوا الرسول ﷺ. بينما لم تنقل كتب التأريخ والسير شيئاً من اقوال الكفار حول انكارهم

حدوث الانشقاق، الاّ ما بيّنته الآية الكريمة ﴿ويقولوا سحرٌ مستمرٌ﴾ وهو: ان الذين شاهدوا المعجزة من الكفار قالوا: هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا؟. ولما حان الصباح أتت القوافل من اليمن وغيرها، فسألوهم، فأخبروهم: انهم رأوا مثل ذلك. فقالوا: إن سحر يتيم ابي طالب قد بلغ السماء!.

النقطة الثانية:

لقد قال معظم ائمة علم الكلام، من امثال سعد التفتازاني: «ان انشقاق القمر متواتر، مثل: فوران الماء من بين اصابعه الشريفة ﷺ وارتواء الجيش منه، ومثل حنين الجذع من فراقه ﷺ الذي كان يستند اليه اثناء الخطبة، وسماع جماعة المسجد لأنينه. اي ان الحادثة نقلته جماعة غفيرة عن جماعة غفيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب، فالحادثة متواترة تواتراً قطعياً كظهور المذنب قبل الف سنة وكوجود جزيرة سرنديب التي لم نرها».

وهكذا ترى أن إثارة الشكوك حول هذه المسألة القاطعة وامثالها من المسائل المشاهدة شهوداً عياناً انما هي بلاهة وحماقة، اذ يكفى فيها انها من الممكنات وليست مستحيلاً.

علماً ان انشقاق القمر ممكن كانفلاق الجبل ببركان.

النقطة الثالثة:

ان المعجزة تأتي لأثبات دعوى النبوة عن طريق اقناع المنكرين، وليس ارغامهم على الايمان. لذا يلزم اظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم الى القناعة والاطمئنان الى صدق النبوة. أما اظهارها في جميع الاماكن، أو اظهارها اظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس الى القبول والرضوخ فهو منافٍ لحكمة الله الحكيم ذي الجلال، ومخالف ايضاً لسر التكليف الالهي. ذلك لان سر التكليف الالهي يقتضي: فتح المجال امام العقل دون سلب الاختيار منه.

فلو كان الخالق الكريم قد ترك معجزة الانشقاق باقية لساعتين من الزمان، واظهرها للعالم اجمع ودخلت بطون كتب التاريخ - كما يريدها الفلاسفة - لكان الكفار يقولون انها ظاهرة فلكية معتادة. وما كانت حجة على

صدق النبوة، ولا معجزة تخص الرسول الاعظم ﷺ. اولكانت تصبح معجزة بديهية ترغم العقل على الايمان وتسلبه من الاختيار وعندئذٍ تتساوى ارواح سافلة كالفحم الخسيس - من امثال ابي جهل - مع الارواح العالية الصافية كالماس - من امثال ابي بكر الصديق رضي الله عنه - اي لكان يضيع سر التكليف الالهي.

ولأجل هذا فقد وقعت المعجزة آنياً، وفي الليل، وحين تسود الغفلة، وغدا اختلاف المطالع والغمام وامثالها حُجباً امام رؤية الناس لها. فلم تدخل بطون كتب التاريخ.

النقطة الرابعة:

ان هذه المعجزة التي وقعت ليلاً، وآنياً، وعلى حين غفلة، لاشك لايراها كل الناس، في كل مكان. بل حتى لو ظهرت لبعضهم، فلا يصدِّق عينه. ولو صدّقها، فان حادثة كهذه وهي مروية من شخص واحد لاتكون ذات اعتبار للتاريخ.

ولقد ردّ العلماء المحققون ما زيد في رواية المعجزة من أن القمر بعد انشقاقه قد هبط الى الارض! وقالوا: ربما ادخل هذه الزيادة بعض المنافقين ليسقطوا الرواية من الاعتبار وينزلوا من قيمتها.

ثم ان في ذلك الوقت: كانت سحب الجهل تغطي سماء انكلترا، والوقت على وشك الغروب في اسبانيا، وامريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفس في الصين واليابان.. وفي غيرها من البلدان هناك موانع اخرى للرؤية. لذا فلا تشاهد هذه المعجزة العظيمة فيها. فاذا علمت هذا فتأمل في كلام الذي يقول: « ان تأريخ انكلترا والصين واليابان وامريكا وامثالها من البلدان لاتذكر هذه الحادثة، اذن لم تقع!» ايّ هذرٍ هذا.. ألا تباً للذين يقتاتون على فتات اوربا..

النقطة الخامسة:

ان انشقاق القمر ليس حادثة حدثت من تلقاء نفسها، بناء على اسباب طبيعية وعن طريق المصادفة! بل أوقعها الخالق الحكيم - رب الشمس والقمر - حدثاً خارقاً للسنن الكونية، تصديقاً لرسالة رسوله الحبيب ﷺ،

واعلاناً عن صدق دعوته، فابرزه سبحانه وفق حكمته وبمقتضى سر الارشاد والتكليف وحكمة تبليغ الرسالة، وليقيم الحجة على مَن شاء من المشاهدين له، بينما اخفاه - اقتضاء لحكمته سبحانه ومشيئته - عمن لم تبلغهم دعوة نبيه ﷺ من الساكنين في اقطار العالم، وحَجبه عنهم بالغيوم والسحاب وباختلاف المطالع وعدم طلوع القمر، أو شروق الشمس في بعض البلدان وانجلاء النهار في اخرى وغروب الشمس في غيرها. وامثالها من الاسباب الداعية الى حجب رؤية الانشقاق.

فلو أُظهرت المعجزة الى جميع الناس في العالم كله فإما انها كانت تبرز لهم نتيجة اشارة الرسول الاعظم ﷺ واظهاراً لمعجزة نبوية، وعندها تصل الى البداهة، اي يضطر الناس كلهم الى التصديق، اي يُسلب منهم الاختيار، فيضيع سر التكليف، بينما الايمان يحافظ على حرية العقل في الاختيار ولايسلبها منه. أو انها تبرز لهم كحادثة سماوية محضة، وعندها تنقطع صلتها بالرسالة الأحمدية ولاتبقى لها ميزّة خاصة.

الخلاصة: ان انشقاق القمر لاريب فيه. فلقد أُثبت اثباتاً قاطعاً. وسنشير هنا الى وقوعه بستة براهين قاطعة [1] من بين الكثير منها، وهي:

- اجماع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين وهم العدول.
- اتفاق العلماء المحققين من المفسرين لدى تفسيرهم ﴿وانشق القمر﴾.
- نقل جميع المحدّثين الصادقين في رواياتهم وقوعه بأسانيد كثيرة وبطرق عديدة. [2]

---

(١) اي ان هناك ست حجج قاطعة على وقوع انشقاق القمر في ستة انواع من الاجماع ولكن للاسف لم نوف هذا المقام حقه من البحث فظل مقتضبا. (النورسي)

(٢) نذكر ثلاثة احاديث متفق عليها (راجع « اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان ج ٣ ص ٢٨٠)

● عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ: « اشهدوا » - متفق عليه -

● وعن انس رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر -متفق عليه-

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان القمر انشق في زمان النبي ﷺ - متفق عليه. ومن اراد التفصيل فليراجع: مسند الامام احمد ١/٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧، ٤٥٦ و٣/٢٠٧، ٢٢٠، ٢٧٥، ٢٧٨ و٤/٨١ ورواه الطيالسي برقم ٢٩٥، ١٨٩١، ١٩٦٠. وتفسير ابن كثير (٦/٤٦٩) لمعرفة تواتر الحادثة. (فلاح)

- شهادة جميع اهل الكشف والالهام من الأولياء الصادقين الصالحين.
- تصديق ائمة علم الكلام المتبحرين رغم تباين مسالكهم ومشاربهم.
- قبول الامة التي لاتجتمع على ضلالة كما نص عليه الحديث الشريف.

كل ذلك يبين انشقاق القمر ويثبته اثباتاً قاطعاً يضاهي الشمس في وضوحها.

حاصل الكلام: كان البحث الى هنا باسم التحقيق العلمي، إلزاماً للخصم. اما بعد هذا فسيكون الكلام باسم الحقيقة ولأجل الايمان. فقد نطق التحقيق العلمي هكذا. اما الحقيقة فتقول:

ان خاتم ديوان النبوة ﷺ وهو القمر المنير لسماء الرسالة، وقد سمت ولاية عبوديته الى مرتبة المحبوبية، فاظهرت الكرامة العظمى والمعجزة الكبرى بالمعراج، اي بجولان جسم ارضي في آفاق السموات العلى، وتعريف اهل السموات به، فأثبتت بتلك المعجزة ولايته العظمى لله ومحبوبيته الخالصة له وسموه على اهل السموات والملأ الاعلى... كذلك فقد شق سبحانه القمر المعلق في السماء والمرتبط مع الارض باشارة من عبده في الارض، فاظهر لأهل الارض معجزته هذه، اثباتاً لرسالة ذلك العبد الحبيب. حتى اصبح ﷺ كالفلقين المنيرين للقمر، فعرج الى أوج الكمالات بجناحي الولاية والرسالة النورانيين. حتى بلغ قاب قوسين أو أدنى واصبح فخراً لأهل السموات كما هو فخر لأهل الارض.

عليه وعلى اله وصحبه الصلاة والتسليمات ملء الارض والسموات.

سبحانك لا علم لنا الآ ما علّمتنا انك انت العليم الحكيم.

قطعة من ذيل رسالة «المعجزات الاحمدية»

لم اختص هذا المعراج العظيم

بمحمد الامين ﷺ

[كتب هذا البحث - ضمن بحوث دلائل النبوة الاحمدية - جواباً عن سؤال ورد في الإشكال الأول من ثلاثة إشكالات مهمة وردت في نهاية الاساس الثالث من رسالة «المعراج» فهو بمثابة فهرس مختصر.]

■ **سؤال**: لِمَ أختص هذا المعراج العظيم بمحمد الأمين ﷺ ؟.

الجواب:

ان إشكالكم الأول هذا، قد حُلَّ مفصلاً في الكلمات الثلاثة والثلاثين - ضمن كتاب سوزلر - الكلمات - الاّ اننا نشير هنا مجرد اشارة مجملة على صورة فهرس موجز الى كمالات النبي الكريم ﷺ، ودلائل نبوته، وانه هو الأحرى بهذا المعراج العظيم.

اولاً: ان الكتب المقدسة، التوراة والانجيل والزبور تضم بشارات بنبوة الرسول الكريم ﷺ واشارات اليه رغم تعرضها الى التحريفات طوال العصور، وقد استنبط - في عصرنا هذا - العالم المحقق حسين الجسر مائة وعشر بشارة منها، واثبتها في كتابه الموسوم «الرسالة الحميدية».

ثانياً: انه ثابت تاريخياً - ورويت بروايات صحيحة - بشارات كثيرة بشّر بها الكهان من امثال الكاهنَين المشهورَين: شِقّ وسطيح، قبيل بعثته ﷺ واخبرا انه نبي آخر الزمان.

ثالثاً: ماحدث ليلة مولده ﷺ من سقوط الاصنام في الكعبة وانشقاق ديوان كسرى وامثالها من مئات الارهاصات والخوارق المشهورة في كتب التأريخ.

رابعاً: نبعان الماء من بين اصابعه الشريفة وسقيه الجيش به، وانين الجذع في المسجد وانشقاق القمر - كما نصت عليه الآية الكريمة ﴿وانشق القمر﴾ وامثالها من المعجزات الثابتة لدى العلماء المحققين والتي تبلغ الألف قد اثبتتها كتب السير والتأريخ.

خامساً: لقد اتفق الاعداء والاولياء بما لاريب فيه: ان ما يتحلى به من الاخلاق الفاضلة هو في اسمى الدرجات، وان مايتصف به من سجايا حميدة في دعوته هو في اعلى المراتب، تشهد بذلك معاملاته وسلوكه مع الناس. وان شريعته الغراء تضم اكمل الخصال الحسنة، تشهد بذلك محاسن الاخلاق في دينه القويم.

سادساً: لقد اشرنا في الاشارة الثانية من الكلمة العاشرة (رسالة الحشر) الى:

ان الذات النبوية المباركة ذلكم الرسول الكريم ﷺ هو الذي اظهر اعلى مراتب العبودية واسماها - بالعبودية العظيمة في دينه - تلبية لأرادة الله في تظاهر الوهيته بمقتضى الحكمة.

وانه هو كذلك - كما هو بديهي - اكرم دالّ على جمال في كمال مطلق لخالق العالم وافضل معرّف لبّى ارادة الله سبحانه في اظهار ذلك الجمال بواسطة مبعوث كما تقتضيه الحكمة والحقيقة.

وانه هو كذلك - كما هو مشاهد - اعظم دالّ على كمال صنعة في جمال مطلق لصانع العالم، وباعظم دلالة واندى صوت، فلبّى ارادة الله جل وعلا في جلب الانظار الى كمال صنعته والاعلان عنها.

وانه هو كذلك - بالضرورة - اكمل مَن أعلن عن جميع مراتب التوحيد، فلبّى ارادة رب العالمين في اعلان الوحدانية على طبقات كثرة المخلوقات.

وانه هو كذلك - بالضرورة - أجلى مرآة وأصفاها لعكس محاسن جمال مالك العالم ولطائف حسنه المنزّه - كما تشير اليه آثاره البديعة - وهو أفضل من أحبّه وحبّبه، فلبّى ارادته سبحانه في رؤية ذلك الجمال المقدس واراءته بمقتضى الحقيقة والحكمة.

وأنه هو كذلك - بالبداهة - اعظم مَن عرَّف ما في خزائن الغيب لصانع هذا العالم ـ تلك الخزائن الملأى بأبدع المعجزات واثمن الجواهر - وهو أفضل من اعلن عنها ووصفها، فلبّى ارادته سبحانه في اظهار تلك الكنوز المخفية.

وأنه هو كذلك - بالبداهة - اكمل مرشد بالقرآن الكريم للجن والانس

بل للروحانيين والملائكة، واعظم مَن بيّن معاني آثار صانع هذه الكائنات - الذي زينّها باروع زينة ومكّن فيها ارباب الشعور من مخلوقاته لينعموا بالنظر والتفكر والاعتبار - فلبّى ارادته سبحانه في بيان معاني تلك الآثار وتقدير قيمتها لأهل الفكر والمشاهدة.

وانه هو كذلك - بالبداهة - احسن من كشف بحقائق القرآن عن مغزى القصد من تحولات الكائنات والغاية منها، واكمل مَن حلّ اللغز المحير في الموجودات وهو اسئلة ثلاثة معضلة: مَن انت؟ ومن اين؟ والى اين؟ فلبّى ارادته سبحانه في كشف ذلك الطلسم المغلق لذوي الشعور بواسطة مبعوث.

وانه هو كذلك - بالبداهة - اكمل مَن بيّن المقاصد الالهية بالقرآن الكريم وأحسن مَن وضح السبيل الى مرضاة رب العالمين، فلبّى ارادته سبحانه في تعريف مايريده من ذوي الشعور وما يرضاه لهم بواسطة مبعوث، بعدما عرّف نفسه لهم بجميع مصنوعاته البديعة وحببها اليهم بما أسبغ عليهم من نِعَمه الغالية.

وانه هو كذلك - بالبداهة - اعظم من استوفى مهمة الرسالة بالقرآن الكريم وادّاها أفضل اداء في اسمى مرتبة وابلغ صورة واحسن طراز، فلبّى ارادة رب العالمين في صرف وجه هذا الانسان من الكثرة الى الوحدة ومن الفاني الى الباقي، ذلك الانسان الذي خلقه سبحانه ثمرة للعالم ووهب له من الاستعدادات ما يسع العالم كله وهيأه للعبودية الكلية وابتلاه بمشاعر متوجهة الى الكثرة والدنيا.

وحيث ان اشرف الموجودات هم ذوو الحياة، وانبل الاحياء هم ذوو الشعور، واكرم ذوي الشعور هم بنو آدم الحقيقيون الكاملون، لذا فالذي ادّى - من بين بنى الانسان المكرم - تلك الوظائف المذكورة آنفاً واعطى حقها من الاداء في افضل صورة واعظم مرتبة من مراتب الاداء، لاريب أن سيعرج - بالمعراج العظيم - الى قاب قوسين او أدنى، وسيطرق باب السعادة الابدية، وسيفتح خزائن الرحمة الواسعة، وسيرى حقائق الايمانِ الغيبية رؤية شهود، ومن ذا يكون غير ذلكم النبي الكريم ﷺ.

سابعاً: يجد المتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون أن فيها

فعل التحسين في منتهى الجمال وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبديهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات، فتلك الارادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته..

لذا فمن البديهي أن يكون أحب مخلوق لدى الخالق الكريم الذي يحب مصنوعاته هو مَن يتصف باجمع تلك الصفات، ومَن يُظهر في ذاته لطائف الصنعة اظهاراً كاملاً، ومَن يعرِفها ويعرِّفها، ومَن يحبِّب نفسه ويستحسن باعجاب وتقدير جمالَ المصنوعات الاخرى.

فمن الذي جعل السموات والارض ترن بصدى «سبحان الله... ما شاء الله... الله اكبر» من اذكار الاعجاب والتسبيح والتكبير تجاه ما يرصّع المصنوعات من مزايا تزيّنها ومحاسن تجمّلها ولطائف وكمالات تنورها؟ ومن الذي هزّ الكائنات بنغمات القرآن الكريم فانجذب البر والبحر اليها في شوق عارم من الاستحسان والتقدير في تفكر وتشهير، في ذكر وتهليل؟ من ذا يكون تلك الذات المباركة غير محمد الأمين ﷺ.

فمثل هذا النبي الكريم ﷺ الذي يضاف الى كفة حسناته في الميزان مثل ما قامت به أمته من حسنات - بسر «السبب كالفاعل» -.. والذي تضاف الى كمالاته المعنوية الصلوات التي تؤديها الامة جميعاً... والذي يُفاض عليه من الرحمة الالهية ومحبتها ما لا يحدهما حدود، فضلاً عما يناله من ثمرات ما اداه من مهمة رسالته من ثواب معنوي عظيم... نعم، فمثل هذا النبي العظيم ﷺ لاريب أن ذهابه الى الجنة، والى سدرة المنتهى، والى العرش الاعظم، والى قاب قوسين أو أدنى، انما هو عين الحق، وذات الحقيقة، ومحض الحكمة[1].

---

(١) لقد ذكرت جريدة اسلامية تهتم باحوال المسلمين بأن رجال السياسة المشهورين والحقوقيين المهتمين بالحياة الاجتماعية قد عقدوا مؤتمراً في اوربا سنة ١٩٢٧، فتكلم في هذا المؤتمر فلاسفة اجانب حول الشريعة الاسلامية، ندرج ادناه نص كلامهم ثم نترجمه بالحرف الواحد، فتصبح لدينا (٢٥) شهادة صادقة حول أحقية الشريعة، وذلك بعد علاوة هاتين الشهادتين الى تلك الشهادات الصادقة البالغة (٢٣) شهادة والمذكورة في ختام رسالة النور والفضل ماشهدت به الاعداء: =

المرتبة السادسة عشرة

من رسالة «الآية الكبرى»

التي تبحث عن «الرسالة الأحمدية».

[لمناسبة المقام أُلحقت هذه المرتبة هنا].

ثم خاطب ذلك السائح في الدنيا عقله قائلا: ما دمت أبحث عن مالكي وخالقي باستنطاق موجودات الكون هذا. فمن الأولى لي أن أزور مَن هو اكمل انسان في الوجود، واعظم من يقود الى الخير - حتى بتصديق أعدائه - وأعلاهم صيتاً وأصدقهم حديثا وأسماهم منزلة وأنورهم عقلاً، ألا وهو محمد عليه الصلاة والسلام الذي أضاء بفضائله وبقرآنه أربعة عشر قرنا من الزمان، .. ولأجل أن أحظى بزيارته الكريمة واستفسر منه ما أبحث عنه، ينبغي ان نذهب معاً الى خير القرون الى عصر السعادة.. عصر النبوة... فدخل بعقله الى ذلك العصر فرأى:

ان ذلك العصر قد صار به عليه الصلاة والسلام عصر سعادة للبشرية حقاً. لأنه ﷺ قد حوّل - في زمن يسير - بالنور الذي أتى به قوماً غارقاً في أشد أمية، وأعرق بداوة حوّلهم الى أساتذة العالم وسادته.

=» وقد اعترف حتى علماء الغرب بسمو مبادىء الاسلام وصلاحها للعالم قال عميد كلية الحقوق بجامعة فينا الاستاذ شبول في مؤتمر الحقوقيين المنعقد في سنة ١٩٢٧ [ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (عليه الصلاة والسلام) اليها، اذ انه رغم اميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون نحن الاوروبانيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفي عام]

وقال برناردشو

[لقد كان دين محمد (عليه الصلاة والسلام) موضع تقديري السامي دائما لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، لأنه على ما يلوح لي هو الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة والذي يستطيع لذلك ان يجذب اليه كل جيل من الناس وارى واجبا ان يدعى محمد (عليه الصلاة والسلام) منقذ الانسانية، واعتقد ان رجلا مثله اذا تولى زعامة العالم الحديث ينجح في حل مشكلاته وأحلّ في العالم السلامة والسعادة (يعني المسالمة والصلح العمومي) وماأشد حاجة العالم اليوم اليها]

وكذا خاطب عقله قائلاً : - «علينا قبل كل شيء ان نعرف شيئاً عن عظمة هذه الذات المعجزة، وذلك من أحقية أحاديثه، وصدق أخباره. ثم نستفسر منه عن خالقنا سبحانه» . . فباشر بالبحث. فوجد على صدق نبوته من الأدلة القاطعة الثابتة ما لا يعد ولا يحصى، ولكنه خلص الى تسع منها:

اولها: **هواتصافه ﷺ بجميع السجايا الفاضلة والخصال الحميدة، حتى شهد بذلك غرماؤه . . . وظهور مئات المعجزات منه؛** كانشقاق القمر الذي انشق الى نصفين باشارة من أصبعه كما نص عليه القرآن **﴿وانشق القمر﴾**، وانهزام جيش الاعداء بما دخل أعينهم جميعا من التراب القليل الذي رماه عليهم بقبضته. كما نصت عليه الآية الكريمة: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** (الانفال/١٧) وارتواء أصحابه من الماء النابع كالكوثر من بين أصابعه الخمسة المباركة عندما اشتد بهم العطش . . . وغيرها من مئات المعجزات التي ظهرت بين يديه، والمنقولة إلينا نقلاً صحيحاً قاطعاً أو متواتراً، فاستطلعها السائح الى (المكتوب التاسع عشر) أي رسالة «المعجزات الأحمدية» تلك الرسالة الخارقة - ذات الكرامة - المتضمنة لأكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزاته ﷺ بدلائلها القاطعة واسانيدها الموثوقة.

ثم حدّث نفسه قائلاً: «ان من كان ذا «أخلاق حسنة» بهذا القدر و «فضائل» الى هذا الحد، و «معجزات» باهرة بهذه الكثرة، فلا جرم انه صاحب أصدق حديث ومن ثم لا يمكن أبداً - وحاشاه - ان يتنازل الى الحيلة والكذب والتمويه التي هي دأب الفاسدين».

ثانيها: كون القرآن الذي بيده ﷺ **معجزاً من سبعة أوجه**، ذلك الامر الصادر من مالك الكون الذي يسلّم به ويصدّقه أكثر من ثلاثمائة مليونٍ من البشر في كل عصر. ولما كانت (الكلمة الخامسة والعشرون) اي رسالة «المعجزات القرآنية» وهي شمس رسائل النور قد أثبتت بدلائل قوية: أن هذا القرآن الكريم معجز من أربعين وجهاً، وانه كلام رب العالمين، لذا أحال السائح ذلك الى تلك الرسالة المشهورة لبيانها المفصل للاعجاز. ثم قال:

ان الأمين على كلام الله، والمترجم الفعلي له، والمبلغ لهذا النبأ العظيم الى الناس كافة، وهو الحق بعينه والحقيقة بذاتها، لايمكن ان يصدر منه كذب قط، ولن يكون موضع شبهة ابداً.

ثالثها: انه ﷺ قد بعث بشريعة مطهرة، وبدين فطري، وبعبودية خالصة، وبدعاء خاشع، وبدعوة شاملة، وبايمان راسخ، لامثيل لما بعث به ولن يكون، وما وجد أكمل منه ولن يوجد.

لأن « الشريعة » التي تجلت من أمّي « عليه الصلاة والسلام » وادارت خمس البشرية على اختلافها منذ أربعة عشر قرناً إدارة قائمة على الحق والعدل بقوانينها الدقيقة الغزيرة، لا تقبل مثيلاً أبداً.

وكذا « الاسلام » الذي صدر من أفعال مَن هو أمّي « عليه الصلاة والسلام » ومن أقواله، ومن أحواله، هو رائد ثلاثمئة مليون من البشر ومرجعهم في كل عصر، ومعلم لعقولهم ومرشد لها، ومنوّر لقلوبهم ومهذّب لها، ومربّ لنفوسهم ومزكٍ لها، ومدار لانكشاف أرواحهم ومعدن لسموها، لم يأت ولن يأتي له مثيل.

وكذا تفوقه ﷺ في جميع انواع « العبادات » التي يتضمنها دينه، وتقواه العظيمة أكثر من أي أحد كان، وخشيته الشديدة من الله ومجاهدته المتواصلة ورعايته الفائقة لأدق أسرار العبودية حتى في أشد الأحوال والظروف. وقيامه ﷺ بتلك العبودية الخالصة، دون أن يقلد أحداً وبكل معانيها مبتدئاً، وبأكمل صورة، موحداً الابتداء والانتهاء، لا شك لم يُرَ ولن يُرى لها مثيل.

وكذا فانه يصف، بالجوشن الكبير - الذي هو واحد من آلاف أدعيته ومناجاته - يصف ربه بمعرفة ربانية سامية لم يبلغ العارفون والأولياء جميعاً تلك المرتبة من المعرفة، ولا درجة ذلك الوصف منذ القدم مع تلاحق الافكار.. مما يظهر أنه لا مثيل له في « الدعاء ». ومن ينظر الى الايضاح المختصر لفقرة واحدة من بين تسع وتسعين فقرة للجوشن الكبير، وذلك في مستهل رسالة « المناجاة » لا يسعه الاّ القول انه لا مثيل لهذا الدعاء الرائع (الجوشن) الذي يمثل قمة المعرفة الربانية.

وكذا فان اظهاره في « تبليغ الرسالة » وفي دعوته الناس الى الحق من الصلابة والثبات والشجاعة ما لا يقاربها أحد. فلم يداخله - ولو بمقدار ذرة

- أيّ أثرٍ للتردد ولا ساوره القلق قط، ولم ينل الخوف منه شيئاً، رغم معاداة الدول الكبرى والاديان العظمى له - وحتى قومه وقبيلته وعمه ناصبوه العداء الشديد - فتحدى وحده الدنيا بأسرها، ونصره الله وأعزّه فكلل هامة الدنيا بتاج الاسلام، فمَن مثل محمد ﷺ في تبليغ رسالات الله؟..

وكذا حمله « ايماناً قوياً راسخاً، ويقيناً جازماً خارقاً، وانكشافاً للفطرة معجزاً، واعتقاداً سامياً ملأ العالم نوراً » فلم تتمكن أن تؤثر فيه جميع الافكار والعقائد وحكمة الحكماء وعلوم الرؤساء الروحانيين السائدة في ذلك العصر، ولو بشبهة، أو بتردد، أو بضعف، أو بوسوسة.نعم، لم تتمكن ان تؤثر لا في يقينه،ولا في اعتقاده،ولا في اعتماده على الله، ولا في اطمئنانه اليه، مع معارضتها له، ومخالفتها إياه، وانكارها عليه. زد على هذا استلهام جميع الذين ترقوا في المعنويات والمراتب الايمانية من أهل الولاية والصلاح، وفي مقدمتهم الصحابة الكرام، واستفاضتهم دوماً من مرتبته الايمانية، ورؤيتهم له انه في أسمى الدرجات والمراتب. كل ذلك يظهر - بداهة - ان ايمانه ﷺ لا مثيل له أيضاً.

ففهم السائح، وصدّق عقله ان مَن كان صاحب هذه الشريعة السمحاء التي لا مثيل لها، والاسلام الحنيف الذي لا شبيه له، والعبودية الخالصة التي لا نظير لها، والدعاء البديع الرائع، والدعوى الكونية الشاملة والايمان المعجز، لن يكون عنده كذب قط، ولن يكون خادعاً مطلقاً.

الدليل الرابع: اجماع الانبياء عليهم السلام واتفاقهم على الحقائق الايمانية نفسها هو دليل قاطع على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته، وهو شهادة صادقة أيضاً على صدق هذا النبي ﷺ وعلى رسالته، ذلك لأن كل ما يدل على صدق نبوة اولئك الأنبياء عليهم السلام، وكل ما هو مدارٌ لنبوتهم من الصفات القدسية، والمعجزات، والمهام التي اضطلعوا بها يوجد مثلها وبأكمل منها فيه ﷺ، كما هو مصدّق تاريخاً. فاولئك الأنبياء عليهم السلام قد أخبروا بلسان المقال - أي بالتوراة والانجيل والزبور والصحف التي بين أيديهم - بمجيء هذه الذات المباركة وبشروا الناس بقدومه ﷺ (حتى ان اكثر من عشرين اشارة واضحة ظاهرة من الاشارت المبشّرة لتلك الكتب

المقدسة قد بُينت بياناً جليا واثبتت في رسالة المعجزات الاحمدية) فكما انهم قد بشروا بمجيئه ﷺ فانهم يصدّقونه ﷺ بلسان حالهم - أي بنبوتهم وبمعجزاتهم - ويختمون بالتأييد على صدق دعوته اذ هو السابق الاكمل في مهمة النبوة والدعوة الى الله، فادرك السائح انهم مثلما يدلّون - أي اولئك الانبياء - بلسان المقال وبالاجماع على الوحدانية، فانهم يشهدون - بلسان الحال وبالاتفاق كذلك - على صدق هذا النبي الكريم ﷺ.

الدليل الخامس: ان وصول آلاف الأولياء الى الحق والحقيقة، وما نالوا من الكمالات والكرامات وما فازوا من الكشفيات وانمشاهدات ليس الآ بالاقتداء بهدي دساتير هذا النبي ﷺ، وبتربيته، وباتباعه، وتعقبّ اثره، فمثلما انهم يدلّون جميعاً على الوحدانية فهم يشهدون بالاجماع والاتفاق على صدق هذا النبي الكريم ﷺ - أستاذهم وامامهم - وعلى أحقية رسالته. فرأى السائح ان مشاهدة هؤلاء قسماً مما أخبر به ﷺ من عالم الغيب - بنور الولاية - ورؤيتهم لجميع ما اخبر به - بنور الايمان - واعتقادهم به وتصديقهم له - إما بعلم اليقين أو بعين اليقين أو بحق اليقين - انما تُظهر ظهوراً كالشمس: ما أصدق مرشدهم الاعظم وما احق رائدهم الاكبر ﷺ.

الدليل السادس: ان ملايين العلماء المدققين الأصفياء، والمحققين الصديقين، ودهاة الحكماء المؤمنين، ممن بلغوا أعلى المراتب بفضل ما درسوا وتتلمذوا على ما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ - مع كونه أمياً - من الحقائق القدسية، وما نبع منها من العلوم العالية، وما كشفت عنه من المعرفة الالهية.. ان هؤلاء جميعاً مثلما يثبتون الوحدانية التي هي الاساس لدعوته ﷺ ويصدقّونها متفقين - ببراهينهم القاطعة - فانهم يتفقون كذلك ويشهدون على صدق هذا المعلم الاكبر وصواب هذا الاستاذ الأعظم وعلى أحقية كلامه ﷺ. فشهادتهم هذه حجة واضحة - كالنّهار - على صدقه وصواب رسالته، وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المئة - مثلاً - الآ برهان واحد فقط على صدق وصواب هذا النبي الحبيب ﷺ.

الدليل السابع: ان الجمع العظيم الذين يطلق عليهم (الآل والأصحاب) الذين هم أشهر بني البشر - بعد الأنبياء - فراسةً واكثرهم درايةً، واسماهم كمالاتٍ، وافضلهم منزلة، واعلاهم صيتاً، واشدهم اعتصاماً

بالدين، وأحدّهم نظراً. . . ان تحريّ هؤلاء وتفتيشهم وتدقيقهم لجميع ما خفي وما ظهر من احوال هذا النبي الكريم ﷺ وأفكاره وتصرفاته بحثاً بكمال اللهفة والشوق، وبغاية الدقة، وبمنتهى الجدية، ثم تصديقهم بالاتفاق والاجماع - انه ﷺ هو أصدق مَن في الدنيا حديثاً، واسماهم مكانة، واشدهم اعتصاماً بالحق والحقيقة. فتصديقهم هذا الذي لا يتزعزع مع ما يملكون من إيمان عميق، انما هو دليل باهر كدلالة النهار على ضياء الشمس.

الدليل الثامن: ان هذا الكون كما انه يدل على صانعه، وكاتبه، ومصوره الذي أوجده، والذي يديره، ويرتبه، ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ، أو كأنه كتاب كبير، أو كأنه معرض بديع، أو كأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لا محالة وجود مَن يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلَم ويعلّم المقاصد الالهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات. أي يقتضي داعياً عظيما، ومنادياً صادقاً، واستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فأدرك السائح: ان الكون - من حيث هذا الاقتضاء - يدل ويشهد على صدق هذا النبي الكريم ﷺ وصوابه الذي هو أفضل من أتم هذه الوظائف والمهمات، وعلى كونه أفضل وأصدق مبعوث لرب العالمين.

الدليل التاسع: ما دام هناك وراء الحجاب من يشهر كمال بديعيته واتقانه، بمصنوعاته هذه؛ ذات الاتقان والحكمة. . . ويعرّف نفسه ويودّدها، بمخلوقاته غير المحدودة ذات الزينة والجمال. . . ويوجب الشكر والحمد له، بنعمه التي لا تحصى ذات اللذة والنفاسة. . . ويشوّق الخلق الى العبادة نحو ربوبيته - بعبودية تتسم بالحب والامتنان والشكر إزاء هذه التربية، والاعاشة العامة، ذات الشفقة والحماية (حتى انه يهيىء أطعمة وضيافات ربانية ما تُطَمئِن أدق أذواق الأفواه وجميع أنواع الاشتهاء). . . ويُدين الخلق الى الايمان والتسليم والانقياد والطاعة نحو الوهيته التي يظهرها بتبديل المواسم، وتكوير الليل على النهار، واختلافهما، وأمثالها من التصرفات العظيمة، والاجراءات الجليلة، والفعالية المدهشة والخلاقية الحكيمة. . .

ويُظهر عدالته وانتصافه بحمايته دوماً البر والابرار وازالته الشر والاشرار ومحقه الظالمين والمكذبين واهلاكهم بنوازل سماوية. فلا جرم، ان احب مخلوق لدى ذلك المستتر بالغيب، وأصدق عبدٍ له هو مَن كان عاملاً عملاً خالصاً لمقاصده المذكورة آنفاً، ومَن يحل السر الأعظم في خلق الكون ويكشف لغزه، ومن يسعى دوماً باسم خالقه ويستمد القوة منه ويستعين به وحده في كل شيء فينال المدد والتوفيق منه سبحانه. ومن ذا يكون هذا غير محمد القرشي عليه الصلاة والسلام.

ثم خاطب السائح عقله: «لَمّا كانت هذه الحقائق التسع شاهدة اثبات على صدق هذا النبي الكريم. فلا ريب اذن: انه قطب شرف البشرية، ومدار افتخار العالم، وانه حري ولائق جداً تسميته شرف بني آدم، وتلقيبه بفخر العالمين. وان ما في يده من أمر الرحمن وهو القرآن الكريم المهيمن جلال سلطانه المعنوي على نصف الارض مع ما يملك من كمالاته الشخصية وخصاله السامية يظهران: ان اعظم انسان في الوجود هو هذا النبي العظيم، فالقول الفصل اذن بحق خالقنا سبحانه هو قوله ﷺ.

فتعال يا عقلي وتأمل: ان أساس جميع دعاوى هذا النبي الكريم ﷺ، وغاية حياته كلها، انما هي الشهادة على وجود واجب الوجود، والدلالة على وحدانيته، وبيان صفاته الجليلة، واظهار اسمائه الحسنى، واثبات كل ذلك، واعلانه، واعلامه؛ استناداً الى ما في دينه من ألوف الحقائق الراسخة الأساس والى قوة ما اظهره الله بيده مئات من معجزاته القاطعة الباهرة.

أي ان الشمس المعنوية التي تضيء هذا الكون والبرهان النيّر على وجود خالقنا سبحانه ووحدانيته، انما هو هذا النبي الكريم الملقب بـ «حبيب الله» ﷺ، فهنالك ثلاثة أنواع من الاجماع عظيمة لا تَغْفل ولا تُغفِل، تؤيد شهادته وتصدّقها:

الاجماع الاول: اجماع الذين اشتهروا، وتميزوا في العالم باسم (آل محمد) عليه وعلى آله الصلاة والسلام. تلك الجماعة النورانية التي يتقدمها الامام علي رضي الله عنه الذي قال: «لو رُفع الحجاب ما ازددت يقيناً»،

وخلفه الاف الأولياء العظام من ذوي البصائر الحادة والنظر الثاقب للغيب من أمثال الشيخ الكيلاني (قدس سره) الذي كان ينظر ببصيرته النافذة الى العرش الاعظم واسرافيل بعظمته وهو بعد على الارض.

الاجماع الثاني: اجماع تلك الجماعة المعروفة بالصحابة الكرام المشهورين في العالم « رضي الله عنهم أجمعين » وتصديقهم بالاتفاق وبايمان راسخ قوي لهذا النبي الكريم، حتى ساقهم ذلك الى التضحية والفداء بأرواحهم وأموالهم وآبائهم وعشيرتهم، وهم الذين كانوا قوماً بدواً يقطنون في محيط أمّي خالٍ من مظاهر الحياة الاجتماعية والافكار السياسية، ليس لهم هدى ولا كتاب منير. وكانوا مغمورين في ظلمة عصر « الفترة »، فصاروا في زمن يسير أساتذة مرشدين وسياسيين وحكاماً عادلين لأرقى الأمم حضارة وعلماً واجتماعاً وسياسةً، فحكموا العالم شرقاً وغرباً ورفرفت رايات عدالتهم براً وبحراً.

الاجماع الثالث: هو تصديق الجماعة العظيمة من العلماء الاجلاء الذين لا يعدون ولا يحصون، المتبحرين في علومهم والمحققين المدققين الذين نشأوا في أمته وسلكوا مسالك شتى ولهم في كل عصر آلاف من الحائزين على قصب السبق - بدهائهم - في كل علم، فتصديق هؤلاء جميعاً له بالاتفاق وبدرجة علم اليقين اجماع أي اجماع!...

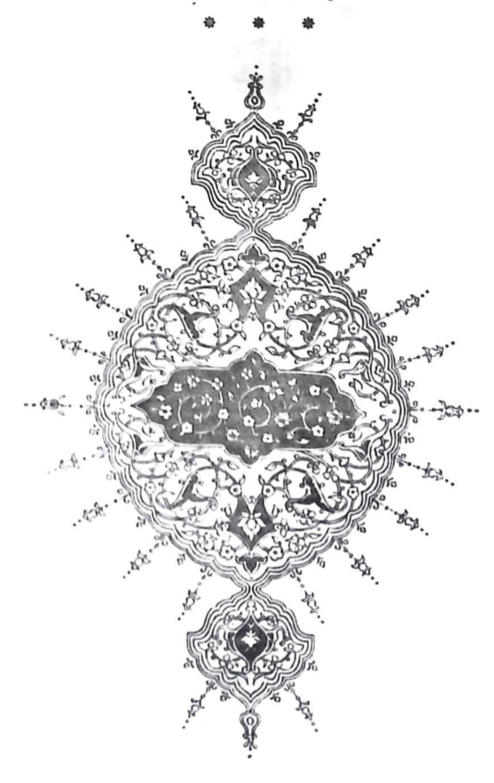
فحكم السائح بان شهادة هذا النبي الامي على الوحدانية ليست شهادة شخصية وجزئية، وانما هي شهادة عامة وكلية راسخة لاتتزعزع، ولن تستطيع أن تجابهها الشياطين كافة في أية جهة ولو اجتمعوا عليها.

وهكذا ذكرت إشارة مختصرة لما تلقاه ذلك السائح الذي جال بعقله في عصر السعادة جوانب الحياة من تلك المدرسة النورانية في المرتبة السادسة عشرة من المقام الاول كالآتي:

«لا إله إلاّ الله الواجب الوجود الواحدُ الاحدُ الذي
دلَّ على وجوب وجوده في وحدتِه: فخرُ عالمٍ
وشرف نوع بني آدم، بعظمةِ سلطنة قرآنِه،
وحشمَةِ وسعَة دينه، وكثرة كمالاته، وعُلويّةِ

اخلاقه، حتى بتصديق أعدائِه. وكذا شهد
وبرهن بقوةِ مئات المعجزات الظاهرات الباهرات
المُصدِّقةِ، وبقوة آلاف حقائق دينه الساطعة
القاطعة، باجماع آله ذوي الأنوار، وباتفاق
اصحابه ذوي الأبصار، وبتوافق محُققي أمّتِهِ
ذوي البراهين والبصائرِ النوّارة».

* * *



مصادر الهوامش

الاحاديث المشكلة في الرتبة - محمد الحوت - عالم الكتب بلبنان ١٤٠٣ .

الاجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة - عبد الحي اللكنوى - تحقيق ابو غدة - مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب ١٣٨٠٤ .

الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة - محمد صديق حسن خان - مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة - ١٩٧٩

البداية والنهاية - ابن كثير. الطبعة اولى - ١٣١٥هـ

تذكرة الموضوعات - محمد طاهر الهندي - دار احياء التراث العربي .

تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي - محمد المباركفوري - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.دار الفكر للطباعة .

الجامع الصحيح للترمذي - تحقيق احمد شاكر - مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٦ .

جامع الاصول في احاديث الرسول - ابن الاثير الجزري - تحقيق عبد القادر الارناؤوط - مكتب الحلواني ١٣٩٢ .

الدرر المنتثرة في الاحاديث المشتهرة - السيوطي - مصطفى البابي الحلبي - ١٩٦٠ .

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل - اللكنوى - تحقيق ابو غدة - دار لبنان ١٣٨٩ .

زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - تحقيق عبد القادر وشعيب الارناؤوط - مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ .

السنن لأبي داود - احياء السنة النبوية .

سنن النسائي بشرح السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - ١٣٤٨

سلسلة الاحاديث الصحيحة - الالباني - المكتب الاسلامي .

سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة - الالباني - المكتب الاسلامي

الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - المكتبة التجارية الكبرى ١٣٩١

شرح الشفا - على القارى - دار الطباعة العامرة - استانبول ١٣٠٧
صحيح البخاري - الامام البخاري - دار احياء التراث العربي .
صحيح مسلم - الامام مسلم - دار احياء الكتب العربية - تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي
صحيح الجامع الصغير وزيادته - الألباني - المكتب الاسلامي ط ٣
الفتح الرباني - احمد عبدالرحمن البنا الساعاتي - دار احياء التراث العربي .
فضائل الصحابة - الامام احمد بن حنبل - تحقيق وصي الله بن محمد عباس - مركز البحث العلمي واحياء التراث العربي - مكة المكرمة
كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس - العجلوني - دار احياء التراث العربي ١٣٥١
كنز العمال في سنن الاقوال والافعال - علاء الدين الهندي - التراث الاسلامي - حلب .
اللؤلؤ والمرجان - محمد فؤاد عبدالباقي - المكتبة الاسلامية - مكة المكرمة .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي - دار الكتاب العربي ١٤٠٢
مجموع فتاوى ابن تيمية . ١٣٨٢
المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - الحافظ ابن حجر - تحقيق عبدالرحمن الاعظمي - المطبعة العصرية - الكويت .
المسند - الامام احمد بن حنبل - تحقيق احمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٣٦٩
مشكاة المصابيح - التبريزي - تحقيق الألباني - المكتب الاسلامي .
المصنوع في معرفة الحديث الموضوع «الموضوعات الصغرى» على القارى - تحقيق ابو غدة - ١٣٩٨ مؤسسة الرسالة . ط٢
نظم المتناثر في الحديث المتواتر - الادريسي الكتاني - دار المعارف -حلب .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض - شهاب الدين الخفاجي - مطبعة عثمانية - استانبول ١٣١٥
نصب الراية لأحاديث الهداية - الزيلعي - دار المأمون - ١٣٥٧
نيل الأوطار - الشوكاني - مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٩
ومصادر اخرى ذكرت ضمناً

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
بين يدي «المعجزات الاحمدية»	٥
خطة العمل في الرسالة	١٢
المكتوب التاسع عشر - تنبيه	١٩
الاشارة البليغة الاولى: ضرورة نبوّة محمّد ﷺ	٢٣
الاشارة البليغة الثانية: المعجزة تصديق رب العالمين لرسوله ﷺ	٢٤
الاشارة البليغة الثالثة: حكمة كثرة معجزاته ﷺ	٢٦
الاشارة البليغة الرابعة: أسس لفهم ما اطلعه الله ﷺ من الغيوب	٢٨
الاساس الاول: لم تكن جميع احواله ﷺ خارقاً للعادة	٢٨
الاساس الثاني: الوحي الصريح والضمني	٢٩
الاساس الثالث: الآثار المنقولة ودور المحدّثين. (مافائدة السند؟- لِمَ لم تنقل المعجزات كالاحكام؟).	٣٠
الاساس الرابع: الاخبار عن جزء من حوادث كلية تقع في المستقبل.	٣٢
الاساس الخامس: حكمة الاخفاء والابهام في الاخبار عن الغيوب	٣٣
الاساس السادس: ينبغي رفع البصر الى ماهيته الحقيقية ﷺ	٣٤
الاشارة البليغة الخامسة: اخباره ﷺ عما يصيب الآل وعن حوادث المستقبل (لماذا لم يقدّم الامام علياً الى الخلافة؟ -لماذا لم تستقر الخلافة في آل البيت؟ -ما حكمة الفتنة الدموية التي اصابت الأمة؟)	٣٧

الاشارة البليغة السادسة : معجزاته ﷺ عن اخباره عن المستقبل (المعنى الحرفي والاسمي في حب آل البيت) ٤٩
الاشارة البليغة السابعة : معجزاته ﷺ في بركة الطعام ٦٠
الاشارة البليغة الثامنة : معجزاته ﷺ في الماء ٧١
الاشارة التاسعة : معجزاته ﷺ في الاشجار ٧٨
الاشارة العاشرة : معجزة حنين الجذع ٨٤
الاشارة الحادية عشرة : معجزاته ﷺ في الجمادات ٨٩
الاشارة الثانية عشرة : امثلة ترتبط بالاشارة السّابقة ٩٤
الاشارة الثالثة عشرة : معجزاته ﷺ في شفاء المرضى ٩٨
الاشارة الرابعة عشرة : معجزاته ﷺ في دعائه ١٠٥
الاشارة الخامسة عشرة : الشعبة الاولى : معرفة جنس الحيوان له ﷺ ١١٨
الشعبة الثانية : معرفة الموتى والجن والملائكة له ﷺ . ١٢١
الشعبة الثالثة : عصمة الله له ﷺ ١٢٥
الاشارة السادسة عشرة : خوارق ظهرت قبل نبوته ﷺ ١٣٤
القسم الأول : ما اخبرت به التوراة والانجيل ١٣٤
الحجة الاولى : تحدي القرآن الكريم ١٣٤
الحجة الثانية : ايمان علماء اهل الكتاب ١٣٥
الحجة الثالثة : امثلة من البشارات ١٣٧
القسم الثاني : اخبار الكهان والعارفين ١٤٤
القسم الثالث : خوارق ظهرت عند مولده ﷺ ١٤٨
الاشارة السابعة عشرة : معجزاته ﷺ في ذاته وشريعته والمعراج ١٥٢
الاشارة الثامنة عشرة : القرآن الكريم ١٥٥
النكتة الاولى : بيان طبقات الناس في ادراك الاعجاز ١٥٥
النكتة الثانية : القرآن يتحدى ارباب المعارف ١٦٠
النكتة الثالثة : تفكر حقيقي في ماهية القرآن ١٦٤
الاشارة البليغة التاسعة عشرة : صدقه ﷺ ودلالته على التوحيد ١٦٩
اكرام الهي واثر عناية ربانية ١٧٥

الذيل الأول: رشحات من شخصيته ﷺ	١٧٦
ما هو القرآن؟	١٧٦
لمعة الاعجاز في تكرارات القرآن	١٨٧
اعجازه في ذكر المسائل الكونية	١٨٨
معجزة انشقاق القمر	١٩١
اختصاص الرسول ﷺ بالمعراج	١٩٦
رحلة الى خير القرون(من رسالة الآية الكبرى)	٢٠٠
مصادر الهوامش	٢٠٩

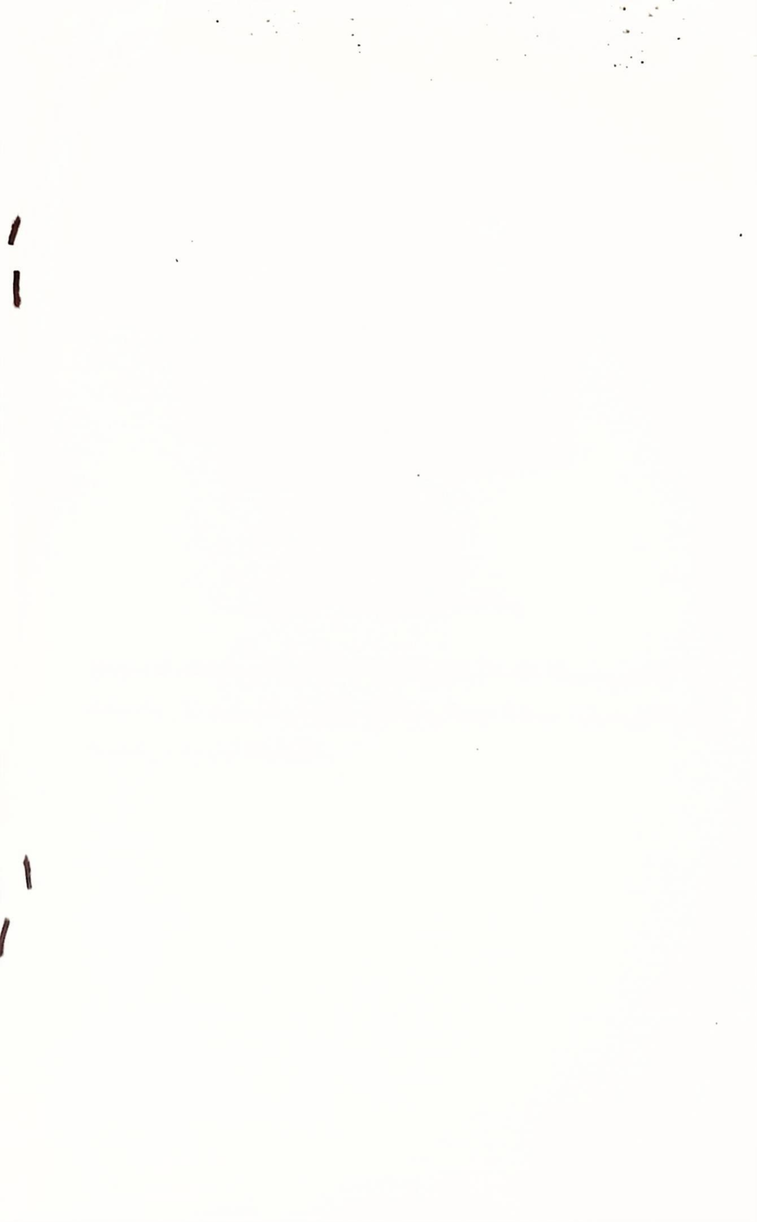
تحت الطبع

مرشد أهل القرآن
الى حقائق الايمان

بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة : احسان قاسم الصالحي

((مجموعة منتخبة من الرسائل الخاصة التي كان الاستاذ النورسي يبعثها الى طلاب النور لتوجيههم الى اساليب العمل في توجيه النفس، ، وترسيخ الايمان التحقيقي ورفع راية القرآن))





اكرام الهي واثر عناية ربانية

على أمل ان نحظى بسر الآية الكريمة ﴿وأمّا بِنعمةِ ربك فحدِّث﴾ نقول:

ان أثر عناية ربانية ولمسة رحمة الهية قد ظهر اثناء تأليف هذه الرسالة، اذكره لقرائها الكرام كي يلتفتوا اليها باهتمام بالغ:

كانت الكلمة (٣١) و (١٩) اللتان تبحثان عن الرسالة الأحمدية مؤلفتين؛ لذا لم يرد الى قلبي شيء حول تأليف هذه الرسالة.. ولكن اذا بخاطرة ترد الى القلب مباشرة، تلحّ عليّ بالتأليف في وقت كانت حدّة حافظتي قد كلّت وخبت جذوتها تحت وطأة المصائب والبلايا، فضلاً عن انني لم اسلك في مؤلفاتي - وفق مشربي - سبيل النقل من الكتب (قال فلان.. قيل كذا)، وعلاوة على أنه ما كان لديّ اي مصدر كان من مصادر الحديث الشريف أو السيرة المطهرة... على الرغم من كل هذا قلت: «توكلت على الله»، وشرعت بتأليف هذه الرسالة متوكلاً عليه وحده، فحصل من التوفيق الالهي ماجعل حافظتي قوية بحيث كانت تمدني امداداً يفوق بكثير حافظة «سعيد القديم» حتى كَتبتُ نحو اربعين صحيفة - في سرعة فائقة - خلال مايقرب من اربع ساعات، بل كُتبت خمس عشرة صحيفة في ساعة واحدة. وكانت النقول على الاغلب من كتب الاحاديث كالبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والشفا للقاضي عياض وابو نعيم والطبري وامثالها. وكان قلبي يخفق ويرجف بشدة كلما ورد حديث شريف خطأ - لما يترتب عليه من اثم - ولكن كُتبت الاحاديث بفضل الله سليمة صحيحة. فادركنا يقيناً ان العناية الالهية معنا وان الحاجة الى هذه الرسالة شديدة. ومع هذا، فاذا ماورد في الفاظ الحديث الشريف أو في اسم الراوي خطأ فالرجاء من الاخوة الاعزاء تصحيحه والصفح عن الخطأ.

سعيد النورسي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٢٢) لسنة ١٩٨٧

السعر: ثلاثة دنانير